Q A S S I M H A D D A D

POEMS

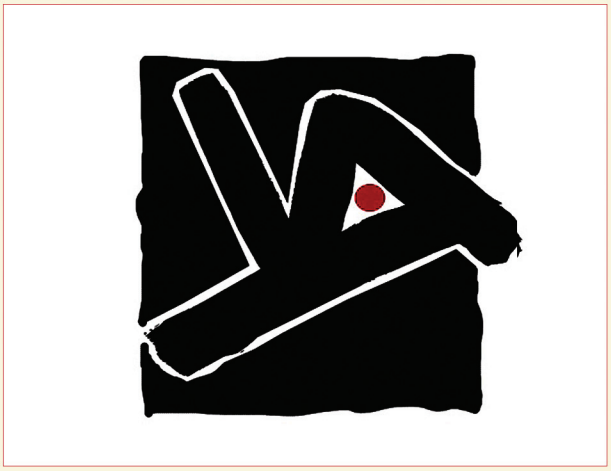

قاسم حدّاد

طرفة بن الورد

طَرفة بن الوَردة

قاسم حداد

شكر

أُنجزت مسودة هذا الكتاب في منحة تفرغ أدبي، بترتيب من قبل الأكاديمية الألمانية للتبادل الثقافي(DAAD)، للإقامة الأدبية طوال عام ٢٠٠٨ في برلين. مما يستوجب الشكر والتقدير لهذه المؤسسة والأصدقاء العاملين فيها، على المبادرة الحضارية الممتازة.

تحية

تحية خاصة للصديق جمال محمد فخرو الذي رافق مراحل هذا الكتاب منذ البدايه، وأبدى موقفا معنوياً مشجعاً، وأشكره خصوصاً على الدعم الكريم الكامل لتنفيذ مشروع هذا الكتاب في طبعاته المختلفة وتابع معي مراحل انجازه.

إهداء

بقلبها الواهن، لفرط الحب، والمفعم بالحنان

شاركتني هذه التجربة، الحياة والكتاب.

أضاءت الليل وصقلت النهار

لتجعل هذا الحلم ممكناً وجميلاً

إليها أهدي هذا الكتاب..

إلى أم طفول

طرفة بن الورد

قَلبي على البحر الطويل

(فصل الأناشيد)

ما تبقّى من اللّٰه فينا

(كتابُ السيرة) - 1

«رَأَيْتُ بَنِي غبْرَاءَ لا يُنْكِرُونَنِي»

طرفة

«وظلمُ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً

على المرءِ من وقعِ الحسام المهندِ»

طرفة

باب الغرائز

- 1 -

أيقظْ غرائزك
الغيومُ بعيدة،
والرملُ أقسى من مزاجِ الموج
والبحارة انقلبوا على ربّانهم عند ارتفاع المدّ،
قلبك ضائعٌ
أطلقْ غرائزك
الخيامُ خديعةٌ، والشعر أن تهذي وتصقلَ سرجك،
الأسفارُ بيتك
والنبوءةُ أن ترى في الغيم خطوتك اندلاعاً نافراً
والبحر أبعد ما يكون

شجرة الخلق

رويَ أن "وردة" كانتْ في نساءٍ، في قافلةٍ، في رحيلٍ، في مسافةٍ بين النخل والخيام. خرجنَ من الرمل إلى طين الله في نهار طازج للنزهة. قيل، فأدرك المخاضُ "وردة" وكانت في تاسِعها. ركضتْ بها النساءُ ناحية ظل شجرة قريبة. يتداركنَ طلقها ويعالجنَ وضعها. فيما ترفعُ صرخةً وتكتم صرخة. والطلقُ يشتدُّ ويتصاعدُ. النساءُ يبسطن تحتها النطُوعَ وحولها الوسائدَ وفوقها الأغطية. تقدمتْ فيهنَّ قابلةٌ تطلبُ منهنَّ جمعَ الأغصان اليابسة وتجميرها لغلي الماء. وكان كلما تصاعد مخاضُ وردة نفح عطرٌ في غيمةٍ خفيفةٍ تغمر

- 2 -

لا تضع حجراً على رملٍ ولا تأمنْ مكاناً
دَع لهم أن يفقدوكَ
فأنت في تيه المهبّ مغامرٌ يهذي..
غرائزك الدليلُ
اتركْ لهم حرية التأويل. غيمك غامرٌ
أطلقْ لجامك هائماً واسكنْ رحيلكَ
لم تعد هذي الخيام خبيئة المذعور
دعهم يسألونَ الماء واذهبْ نافراً
أطلقْ غرائزك..
الغيومُ وحيدة
والبحر يقرأ سرَّك المكنون،
يكتبك الرحيل.

المكان. و"وردة" تتشبث بما تطاله يدُها. متوترة الأطراف محلولة العصائب، تنداح بجسدٍ ينتفضُ ويرتعشُ ويتقوّسُ وتصبُّ منه السوائلُ بأخلاطٍ وتلاوين. النساءُ يعملن على صَدِّ الغيبوبة عن جسدٍ هو الآن في البرزخ بين الاحتقان والخلق. فإذا بالصرخة العظيمة ترجُّ صخور الوادي لتزِلّ أقدامُ النساء في مواقعها، حتى تكاد تنغرس في الطين الرحيم. الوردة تمنح أحشاءها حرية الخلق. تشعرُ بهول الفَقدِ وهي تعطِي وهجَ الحياة بما يشبه الموت. تنتبه النساءُ لصرخة الطفل بين يدي القابلة وهي ترفعه مثل رايةٍ ملطخة بخلائط الخلق، فيدركنَ أن "وردة" قد صَدقَتْ بظنها عندما ترددتْ في الخروج معهنَّ هذا الصباح:

البحر الطويل

قلبي على البحر الطويل
شموخه في هودجٍ،
ويموجُ أكثر خفةً من ريشة التذهيب
يسري كالنبيذ ويصقل البلور
وشمٌ في يدٍ،
ورشاقةٌ لغةٌ
كأن الله صاغَ لشاعرٍ ماءً على البحر الطويل.

عربٌ.
حُداةٌ يمدحون الإبلَ
يحتكمون في الحانات

- "أتركوني.. هذا يومٌ يبدأ فيه الخلقُ. فالسديمُ يغمرُ حواسي".
لكنهن يلححن عليها أن تخرج معهن. فتخرج.
وضعتْ القابلة الوليدَ على صدر أمهِ قائلة:
-ماذا تحبين أن تسمِّيه؟
استردتْ وردةُ أنفاسها:
- أبوهُ غائبٌ في سفر، فهو مَنْ يسمِّيه.
قالت القابلة:
-كل طفلٍ يولد اسمُه معه. هاتِ اسماً نناديه به الآن، وعندما يعود أبوه يخبرنا بما يريد.

ينتخبون بحراً ثالثاً
لولا الفتى
لولا تعفّفه وحكمته الكريمة وانتحارات الرواة
لولا نحاةٌ ينحتون البحر
لم نسمع نحيب رحيله السكران
يذهب في الترنح
في ثمالاتٍ مذهبةٍ على البحر الطويل

ثلاثةٌ في واحدٍ فعلٌ فعولٌ فاعلٌ
والبحر أطول من رمادٍ باردٍ وأقلُّ من موتٍ
كأن الله قال لشاعرٍ سراً على البحر الطويل

أدارتْ وردة نظراتها حولها ورفعتْ رأسَها قائلة:
- ما هذه الشجرة التي تكاد تلامس جسدي لفرط حنوها؟
أخبرتها إحدى النساء
- إنها شجرة "الطرفاء" التي لا تموتُ نارٌ استطعمتْ حطبَها
فقالت وردة
- سَمُّوهُ "طرفة".
رُويَ، أنه لم يُسَجّر العربُ شِعراً بعد ذلك مثلما فعلوا باللهب الذي في قصائد ذلك الطفل.
وروي، أن البحارة الذين أبحروا بسفنَهم مصنوعةً بخشب هذه "الطرفاء" المباركة لم

إن شئتَ حَنَّ الإبلُ
أو أرخى رجالُ البحر تسعَ حناجرٍ في وردةِ الفولاذِ
أكثر خفّة وأشدّ خوفاً من غبارٍ عاشقٍ،
إن شئتَ
كل مجنحٍ بئرٌ. وكل سفينةٍ بابٌ على البحر الطويل
إن شئتَ
هذا الرملُ حبرُ صحيفةٍ تُطوى لنا قبل الرحيل.

تغلبهم غضبات الموج ولا خذلهم السفر. كما قيل إن نبياً يأتي بعد "طرفة" بحينٍ من الزمن. سيأخذُ من الطرفاء أغصاناً يضفرها منبراً يصعدُ على درجته الثالثة ويكرُز في الناس.

ورُوي، أن ثمة أربعةً من ذلك الزمان أخذوا هذا الاسم وضاعوا به في سديم العرب. فقد ذكر الآمدي في "المؤتلف والمختلف" من اسمه طرفة من الشعراء أربعة، أولهم هذا، والثاني طرفة بن ألاءة بن نضلة بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم. والثالث طرفة الجذمي أحد بني جذيمة العبسي. والرابع طرفة أخو بني عامر بن ربيعة.

قيل، فلما انبثقَ خيطُ الفجر الأول انتبهتْ وردة لطفلها فإذا به يتلمظ بعطشه، فمدتْ

عفة الفيزياء

تضرعتُ للفيزياء،
لأسمائها،
وهي تهدي الخُطى في سديم النجوم
كأن التخوم التي تفصل البيت عن آلهِ.
يا بلاد الغيوم
اكسري سَيفَهم
أيتها البدوية في الموج،
في صمتها عن بلادٍ توزع أبناءها في الدماء
تضرعتُ.
صُدّي عن القلب نيرانَهم
يقتلون دمي

يدَها إلى أوراق شجرة الطرفاء وراحتْ تعصر الوريقات الخضراء في فم الطفل، فإذا به يرشفُ القطرات النديّة كمن يرضع اللبن.

قيل، فلما انتصفَ النهارُ وهَمَّ الركبُ على العودة إلى الحيّ، قالت وردة للنساء:

- ادعكوا باطنَ قدمي الطفل بوريقات الطرفاء، فربما طَرَقَ هذا الطفل سبلاً كثيرة ساعياً للحياة، والموت في انتظاره.

أخذتْ النساءُ يدعكنَ قدمي الطفل بورق تلك الشجرة، فراح ماءٌ وفيرٌ يطفرُ ويسيل ويغسل القدمين الصغيرتين. قيل، فلما صار طرفة شاباً يافعاً، وراح يرحل في البرية، كان ينبت في أثر خطواته زهرٌ أصفر صغير، يمكن الاستدلال به على المسارات التي يرتادها

يشهرون على الشعر ليلاً يموجُ،

فينتابني.

وارأفي أيتها الفيزياء قبيل انحسار المساء

عفيفٌ هو الدمّ،

هاتي،

افتحي للنشيد الشريد انتماءاته.

الشاعر.

تتقدم وردةُ، تضعُ عطرَها في أردانِه. تحكي له، وتصقل قلبه بالحجر الكريم. وتُعدُّه للجرح الغادر. تقول له عن النوم النادر وهو يصوغ أحلاماً مرتجفةً في ظلام الوديان. تقول له. وتنهار بين يديه كلما همّ بالسفر.

تقول له: لا تذهب عني. لا تذهب عني. لكنه يذهب.

نهاية الأرب

- 1 -

مثلَ صوتٍ
جئتُ محمولاً على ليل المراثي أسبقُ الأخبار
قرآنُ الغبار قرينتي
والمعجزات صحيفةٌ تُتلى
وكنتُ بداية القتلى

تداعتْ أمّةٌ،
أرّخَتْ رباطَ خيولِها للروم
غضَّتْ طرفها عن سيرة الأسرى
وسَمَّتني شهيداً فائضاً

اكتشاف الأب

يُروى أن طرفة لما بلغ الخامسة التفتَ فلم يجد له أباً. وكان كمن اكتشفَ حقيقة اليتم فقد أصبحَ وحيداً مع أمه. فسألَها: أين أبي؟

فاضطربتْ وردة لسؤال طفلها الذي كان يقف أمامها لأول مرة ليطرح عليها هذا السؤال الشاق. وهو لا ينوي أن يذهبَ من دون جوابٍ شافٍ.

أخذت وردة يدَ طفلها ودخلتْ به الخيمة. رفعتْ تختها الخشبيّ القديم عن حفرةٍ صغيرةٍ وأخرجتْ صرة قماشٍ حائلةِ اللون معقودة بعناية الحريص. وضعتها على الأرض وفكتها

رَجَعَتْ تَعدُّ المعجزات وتكشف الأسرار
تمحوني لتنسى،
أمّةٌ ثكلى.

- 2 -

هنا،
في منحنى الأشياء،
كنا في اندلاع البحر عند جزيرة العرب،
فقدتُ أبي
وكان قرينة أخرى على أسطورة الكذب،
على أن الغبار حقيقة تخفي نصوص الموت في الكتب.

ثم بسطتها. وطرفة جالس بجانبها ينظر بدهشة الطفل المأخوذ. ثم رفعتْ من الصرة ثوباً قديماً نشرته في حضنها وراحتْ تتحسسه بأصابعها وهي تنظر إلى طرفة: هذا هو والدك. هذا ثوبه الأخير.

وضعَ الطفلُ يدَه على الثوب كمن يجسّ جسد أبيه. ثم نظرَ إلى عينيّ أمه فعرِفتْ أنه يسألها.

فقالت: في هذا الثوب قصة العبد كاملة. أنظر إلى هذا الأثر اليابس في صدر الثوب. إنه دمُ أبيك. فقد ماتَ مقتولاً غدراً.

– ومن فعل ذلك يا أمي؟

هنا،
عبثاً نَرُدُّ الموتَ وهو ذريعةُ الأحياء..
مثل الماء،
مثل بداية الصحراء وهي نهايةُ الأربِ.

- إخوته.
- عمومتي؟
- بعد ولادتك بدأتْ مشاكلهم. فقد اختلفوا مع العبد على خيرٍ كثيرٍ تركه لهم جدك من التجارة. فكمنوا له أثناء عودته من الشام. وزعموا أن قطاعَ طرقٍ قد فتكوا به. غير أن فتىً كان يرافقه جاءني بالخبر. وحمل لي هذا الثوبَ بدمِه في خُرْجٍ صغيرٍ كان أبوك يحفظُ فيه زاداً وبعض هدايا كان حملها معه من الشام.
- وكنت تقولين لي طوال الوقت إن أبي في سفر؟
- يا ولدي. هذا سَفرٌ لا يعود منه أحد.

آية الرمل

سمَّيتُك الرملَ، وكنتُ أعرفك حبةً حبة. أكاد أحصيك وأميزك في التراب. فالرمل يصغي ويحنو. نعومة تشفّ عن زجاج وشيك. أقداح قديمة تفيض بالخمرة الجديدة. وكنت إذا اختلجت ريحٌ سمعتُ انثيالك، وتحسستُ وقعك الهش فوق الخباء. وقع حباتك المضطربات مثل حفيف الفَراش ينزل على درج. وكنت إذا وضعت قدميّ العاريتين في ليلِك سَرَتْ برودتك الطريّة في العظم المتعب واعتراني غيمٌ غامضٌ. كلما سمعت برقاً ينادي شعرتُ بعطشك ساعة الظهيرة، وهرعت أتضرع إلى السماء أن تسكب مطرها موجةً موجةً تبلّ نسغك وترويك. أجلس، أصغي لنشيش حباتك وهي تسكر، فإذا ما انتابك غضبٌ وجلدت الصحراء بالغبار، شرّعتُ مسامّي كاملة لكي أتنفسك مثل طفل يكتشف الحلمة والثدي وحنان الصدر وأُمّاً شاهقة في الأناشيد.

في وصف الصورة

لفرط الطين الذي تمرَّغَ فيه لحظةَ التكوين، صارَ جسده زجاجةً صهباء تشفُّ عن الأحشاءِ والأخلاطِ والعناصر. جرمٌ لا مكتنزٌ ولا نحيل. رأسٌ أصغر من طيرٍ على كتفين. لولا منديلُ الرمادِ المطوي لما تسنى لسيفٍ أن يدركَ رأسَه. شَعرُه حالكٌ يعول عليه الليل. يتركه هَمَلاً لئلا يظلَ كتفاه عاريين في البرد. شفتاه صائمتانِ عن الكلمات السود منذ كلامه الأول. أسنانٌ ناعمةٌ تَجرحُ الماء. مصقولةٌ بمساحِلَ الثلجِ وبلورِ اللبن. أنفُه الهاجم اللطيف يكاد يسيلَ لفرط بَوحه باندفاقٍ في شُرفةِ الوجه مثلَ صَقرٍ وشيكٍ. وللعينين لونُ

لن تصدق ما يحدث لي وأنا أحدق في سرابك
برقٌ مثل امرأة توقظ الآلهة لكي ترأف بالأرض
التراب لا يفعل ذلك
أسميك الرمل ..
وأعرف أنك لستَ رملاً.

الأسى والخسارة. تحديقٌ. توجسٌ. وذعرٌ مقيمٌ فمٌ أقلُ من المَحارةِ، أكثر حرصاً منها. لسانٌ داكنٌ صقيلٌ فرغ تواً من قصعة الدبس. يذرعُ المسافةَ بين اللؤلؤ والصَدَفِ وعتمة الأعماق. جوهرةٌ أصغرُ من خاتم العرس يداه فارغتان إلا من الريح والكأس واللجام وعطر نساء لا يحصين. ذراعان مشرعتان في جناحين يحفظان للجسد رشاقة السكون والسفر. دليله توازنُ الخمرِ والقدح. قدمان يَخُبّانِ في الخُفِّ. لم تسعيا إلى بابٍ عالٍ. لا تسأمان الرحيل، لا تأمنان الإقامة، وينبتُ في حوافِهما ريشٌ ناعمٌ. قدمان خلقتا للإقدام والتقدم.

رداء الرعشة

- 1 -

أبسطْ رداءكَ.
هؤلاء تهيأوا، بدأوا مديحك،
ربما سمّوك يوماً نرجساً في الماء
شَقُّوا نزهةً في وحدة الصحراء وانثالوا طرائدَ مسرعاتٍ خلف ظلك.
دَع رداءك وارتعشْ
تسمعْ زفيرَ النرجس المغرور يتلو في قميصك آية
تنسى، كأنك خارج التقويم.

ابسطْ للصعاليك الفضاءَ.
الوحشُ يستهدي بهم

أرادَ أحدُهم أن يصفَ هيئة الشاعر فقال إنه (أدم، أزرق، أوقص، أفرع، أكشف، أزورُ الصدر، متأوّلُ الخلق)

وفي لسان العرب:

آدم: والآدَمُ من الناس الأَسْمَرُ

أزرق: والزُّرْقة خضرة في سواد العين

أوقص: والوَقْصُ قِصَرُ العُنُقِ

أفرع: وأَفْرَعَ فلانٌ طالَ وعَلا

أكشف: وأَكْشَفَ الرجلُ إكشافاً إذا ضحك فانقلبت شفَته حتى تبدو دَرادِرُه.

وازجرْ ضحاياهم يوارون الفضيحة
تبدأ الفوضى وهم يحصون أخطاء الطبيعة
تسعةٌ في منحنى النيران.
خمسةٌ ضائعين.
ثلاث طفلات سقطنَ من الهوادج وهي تلهج بالرحيل
ابسطْ رداءك في ضياعهم الطويل.

أزور: الزَّوْرُ الصَّدْرُ، وقيل: وسط الصدر، وقيل: أَعلى الصدر، وقيل: مُلْتَقَى أَطراف عظام الصدر حيث اجتمعت، وقيل. هو جماعة الصَّدرِ من الخُفِّ، والجمع أَزوار.

- 2 -

نسوةٌ يمدحنَ جرحك
أنت في مرمى انتخاب قلوبهنَّ
قميصك المقدود من قُبُلٍ
لهنَ شجاعةٌ في قلب منتحرٍ
كأنَ مديحك الباقي نجاةٌ من فرارٍ مستمرٍ.

دَعْ رداءك
هؤلاء يرين فيك سبيلهنَّ. ارأفْ بهنَّ.
افتح قميصك مثل خيمة فارسٍ مستغرقٍ في الفقد
امنح هؤلاء ذريعةً أو جوقةً
حَرِّرْ قميصكَ، تصرخ المستذئبات:
افتحْ لنا جرحاً جديداً في عذابك.

ما تبقى من الله

جئتُ من ثوبِ مهلهلٍ، من رُقَعهِ الكالحة
جئتُ من خيطِه الألمعيّ،
من الريحِ مغزولة بالرؤى السانحة
لم أكنْ مُشتهى فكرةٍ كنت قبل السديم
تبطنتُ شعراً نافراً ينهر الخمر
خبأته في الخطى الجارحة

قبل الحبّ

لا تمتْ قبل اندلاع الحب في قلب الجزيرة
لا تغادر هذه الغابات قبلَ النار
إن كانت قصيدتُك انتهتْ في وقتها،
فاتركْ لها أحلامَها
واتركْ لنا وقتاً لنقرأها.

قصيدتُك انتهتْ !؟
فلتبدأ النيرانُ في قمصاننا
وعليكَ أن تصغي لنا قبل الرحيل
سيبدأ الجرحى وجمرُ النوم
والجغرافيا تبقى لتحرس صبرنا.

جئتُ، كان النشيدُ صدى الحرف والحجرُ الأوليِّ سيقرأ
والأبجدية في آلة فاضحة
كنتُ مثل التعاويذُ تترى ومَنْ كان يقرأ لي،
قال لي. شعرُكَ الآن في ما تبقى من الله فينا
شعرك السحرُ قبل النبيّ الذي يصطفينا
قرأَ الشعرَ لي جَديَ الأوليّ
مثل بحرٍ يعمِّدُني بالرؤى الراجحة.

جرحُ الجزيرة وانجرافٌ جامحٌ والخوفُ في أخبارنا
فانظر إلينا نحن في الأسرى.
فإنْ سافرتَ أو أهملتنا متنا انتحاراً
فاكترثْ.
نصحو قليلاً.
لا تمتْ قبل اندلاع الحب.

الفتى المستوحش

خائفٌ، كشرارةٍ في الدم، في بلّورها المذعور،
في وحشٍ، وفي جرحٍ يلوبُ
ولا يدٌ تمتد لي
صحراءُ شاخصة، وكُلُّ فرائصي في الريح
هذا البردُ ضارٍ والحجارة جمرةٌ والجنسُ مأوى.
صحراءُ تزدردُ المدى. فأطير وحدي هارباً. خَوِفٍ دليلي

نخب خولة

سهرتي كأسان
واحدةٌ لخولة وهي تفتح نجمةً في خيمة النسيان،
كي تمحو دماً وتغضّ طرفاً عن بكاء قصيدتي
يدُها النحيلة نجمةٌ في الليل في نهر الزجاج
مزيجُها عطرُ البَهار وجنةُ الرمان تحرسُ عرسها
غنوا لخولة في هزيع الليل.
لي كأسان
كأسٌ فَصُّها في خاتم التيجان،
تشفي علة في القلب
والأخرى لموتٍ كامنٍ في الحان
أو في دفتر السجان

جمّة تلك الشراك. أظلُ وحدي تحتَ هذا الليل
أحداقُ الحَصى وجنادبُ الأخطاء تحصِي لي وجيبَ الخوف
زهرُ الزمهريرِ يهزُّني كي أدركَ الكابوس.
ليلٌ داهمٌ
فأخوضُ مثل تثاؤب الجاثوم في هذا السواد.
كأنَّ خوفي خائفٌ قدماي في الفولاذ
والوحشُ الطليقُ يشدُّني بالخيط مثلَ النوم
هذا الكونُ مَيْتٌ. هذه جَبَّانَةٌ

يقظة المعنى

أيقظْ حصانك واستعنْ بالناي
رحلتك انتهتْ
فابدأ بكأسك ريثما يرويك غيمٌ غامضٌ
أيقظْ حصانك. نخبك التالي رؤىً وشقائق النعمان.
تِسعُ ممالكٍ، ومدائنٌ تسعى برمتها لصَلبكَ قبل صوت الطير
أيقظْ سرجك الملكيّ
هذا الغيم بحرٌ من مجاز المكر في باب الغموض
أيقظْ حصانك وانهرْ المعنى.
قصيدتك الطويلة أقصرُ الخطوات نحو الموت. لا تغفلْ.
لديهم ما يشفُّ عن القرائن.
وامتحانُك في كتاب الطيش يكفي لاستثارتهم.

وأسيرُ وحدي عبرَ هذا الخوف
صحراءُ انتحارٍ واستفاقة جثةٍ وتَشَبُّهٌ بالخيلِ
لو أنَّ الظلام ذريعة القتلى لَمِتُّ نكايةً بالموتِ
لم أتركْ بلاداً جئتُ في جُرحٍ أخافُ كأنما خوفي بلادي
في دمي المذعور، في بلّورةٍ.
قلبٌ يَقِفُّ إذا دَنا أنسٌ إليه.

طريقك تنتهي.
فلتبتكر سفراً،
لتستثني الممالك حيث يحتربون.
فلتوقظ حصانك ولتدع للناي أجنحة الغناء.
غموضَ موسيقاك. إيقاع التهدج واحتمال الفقد
دَع للناي أن يرقى بأحلام البراق
ودَع لهم يتوهمون الصلبَ والفتوى
لتصعدَ في قصيدتك الأخيرة بارئاً
أيقظْ حصانك واستعنْ بالناي.

غربة الغيم

كلما توغلتُ في الغيم شَحَّ الزادُ في القبيلةِ وازدادَ النسلُ في الملوكِ وازدحمَ الجندُ بالمناكب وضَجَّ صليلُ الأسلحةِ في المداخل. غيمٌ كريمٌ يشفُّ أكثر مما يخفي. يلهمُ الغريبَ بالبيتِ ويشدُّ الغربة عليه.

سؤال الموت

إذا متنا معاً مات الخزامى في تعرِّيهِ وغطتنا الرمالُ
إذا متنا انتهى سيلُ الجنائز عن غناءٍ صاخبٍ
وانهالَ إيقاعٌ وصاح النعشُ فينا: يا شمالُ
إذا متنا معاً
ماذا سيبقى للقبائل كي تباهي في انتصاف الليل.
ما المعنى الذي تحظى به الأشعارُ إن طُرحَ السؤالُ.

إذا متنا استحالَ رحيلُهم سفراً بلا ماءٍ ولا عشبٍ
إذا متنا إذن
فليسقط الندماءُ في ندم وتُكسرْ أجملُ الأقداح
لا خمرٌ غداً يجري ولا أسطورةٌ إلا محالُ

آلة الشاعر

تنوء بي. ثم تخفُّ مثل هودج. مثل موج. وهي مركب الكون. طيفٌ لا تطاله سلطة. لا يجمعه ملك ولا يمنعه. وحدي لها. امرأةٌ في المرايا. كائنٌ يغمر الروح. لا يصيبها العطبُ ولا تبلى.

سنبقى وحدنا في الموت
لا تفتح لمن يأتي إلينا
وحدنا متنا معاً
كي ننقذ القتلى وكي تسعى إلى الماء الرجالُ
معاً في الموت تلك حياتنا
وشمٌ وفقدٌ غادرٌ مثل انتحارات مؤجلةٍ
إذا متنا معاً متنا ..
لنا شعرٌ يؤلفه
ويمحوه الخيالُ.

المرقش الثالث

وحدك في سديم الخلقِ.
شيطانٌ وسربُ ملائكٍ.
لتهدج الكلمات خفقٌ ضاربٌ في التيه
سوفَ تضيعُ.
لكنَّ القصيدةَ وردةُ القنديل تسعف رمية في النرد
فاعلمْ كيفَ تكتبُ. كيف تقرأُ نجمةً في الشمس. إنَّ لديكَ ما يهفو هناك. لديكَ جَدٌّ رَقَّشَ

كاسٌ شقراء

كأسك شقراء، وجندك يقسون عليّ
كأسك تصخب وتعربد.
كأسك سيدةٌ في الغربة.
كأسك تكتب أحلامي.
ليتك تفتح قنديل الخطوات. فجندك فوق كتابي.
ليتك تكسر بابي،
ينهال عليك الشعرُ،
فتصحو من غفوتك العطشى،
وحدي
أنتظر الليلَ اللاهي والكأس الشقراء أمامي.

المعنى لكي يغريكَ بالكلمات. درسٌ ينتهى بالفقدِ،
مثلك. بعد أنْ أوصى بكَ النساك في الحانات. حيثُ الأبجدية تنقذ القتلى، وتقرأ سيرةَ الشعراء. فاعلمْ كيف تصغي للملائك برهةً في الصمت.
بيتك في ظلامِ الشرقِ
يقتلك الكلامُ وتسعفُ القتلى بشِعرِكَ بالمرايا مشرئبات
كأنَّ شُجيرةَ النارنج تؤنسُ غرفة الأسرى
ووحدُك مرةً أخرى
ستعرفُ كيف تكتب وردةَ الأنخاب

شهوة الخيل

أيقظْ حصانك
ربما اشتهتْ الخيولُ الغزوَ أو رَدتْ على أعقابها حذراً،
فبعضُ الحرب أهليجيةٌ
تخفي الخصومَ وتكشفُ الأعداء.
أخطاءٌ مفخخةٌ ونصرٌ للهزيمة وانتحار غامضٌ
والخيل في الشهوات
والموتُ الصديقُ يحوم قبل الطير
أيقظْ ريشك المغدور وامنحنا جناحاً في حصانك.
قلْ لبعض الحرب أن تصغي لهندسة الحياة
فربما كان «المشقّر» غرفة للغدر.
أو كانت حصونهمُ ملاذاً للوقيعة.

كأسٌ وانتعاشة خالقٍ ورماد أخطاءٍ ملفقةٍ
كفِعلٍ ساكنٍ يصحو
وفصحى عند يقظتِها
وباب أول للفتح.

ربما ضاقتْ بك الأرضُ الوسيعة
كنْ مكانكَ عندما توقظ حصانك
وانهرْ القتلى وهم يهذون في حربٍ تقاوم نفسها
كنْ في مكانك ربما يكبو حصانك
بعضُ هذي الحرب طائشةٌ عن المعنى.
وكل فهارس الصحراء سعيٌ في الغبار. فخذ مكانك واسعفْ العطشى
وفسّرْ للسراب دلالة الأسرى.
فهُم حسرى على ماءٍ يناقضُ نفسه.
اهمزْ حصانك
واتخذْ شكلَ القصيدة وهي في غيبوبة القاموس
خُذْ وضعَ الكتابة،
واغفرْ الأخطاء في جيشٍ يقاتلُ نفسه،
واسألْ حصانك عن صديقٍ يصقل الأعداءَ
كي تسأل ثلاثاً شمعةُ الفانوس.

الكلمة هي أن تكتب

وضعتْ الكلمةُ يدَها على رأسي وأخرجَتني من النوم
أيقظتني الكلمة وقالت: اكتبني.
قلتُ: كيف وأنا لا أعرف.
قالت: اعرفْ أن تفعل، أن تكتبَ، فالكلمة هي أن تكتبَ، والبدء فيها، ومنها تنشأ حياتك وبها تصير.
ارتعشت بي الأوصالُ والفرائصُ. نهضتُ مشدوهاً كأن الغيم يخترقني وتنال مني حرائق

بوصلة

كلما هَبَّتْ شمالاً عابساً
اذهبْ جنوباً
كل قلبٍ في جنوب الأرض بيتك
أيقظْ «الرقلاء»*
واخرجْ من «تهامة»
عندما «صنعا اليمن» .. إذهبْ هبوباً.

* الرقلاء، ناقة طرفة بن الوردة

الصهد. وقفتُ إلى ""وردة أسألها: كيف أكتبُ؟
قالت: يا بُنيّ، لا تبلغُ الحلمَ إلا حين تكتب، ولا تكتب إلا إذا قرأت الكلمة، ولا تقرأ إلا بعد أن تعلم. فمن توقظه الكلمة لا يعرف الغفلة أبداً. الكلمة أول الكتابة وفاتحة الكلام.
سألتها: كيفَ، ومن أين لي أن أفعلَ ذلك؟
قالت: أخرجْ من نومِكَ إلى حلمك، واذهبْ إلى "الحيرة".

كأن الحلم أطول من الليل. كأن لم يكن ليلاً. وأول عهدي "بالحيرة" عندما سمعتُ عنها من "وردة"، التي سهرت بي بقية الليل تحدثني عن جدي "المرقش" الذي عرف الكتابة هناك، فأدركتُ أن "الحيرة" مكانٌ يقصده أناس مختلفون لغايات كثيرة.

نظام الكلام

ليس هذا كتاباً
إنه لغةٌ تشغف كلما حرَّك اللّه فيها كلاما
كلما غيَّر إيقاعها في الطبيعة
لغة كالوشيعة تنهال ألوانها،
كلما نام خيطُ الضباب بها،
كلما اختلَّ فيها نظامٌ
كل هذا كلامٌ من اللّه
يخرج عبر حدود الكتاب.

قالتْ: إذهبْ إلى هناك وابحثْ عن البيت الذي عرف فيه المرقشُ القراءةَ والكتابةَ وستجدْ من تأخذ الدرسَ عنه،
دَعْهُ يضعُ لك الكلمةَ في القلب.

تاجٌ مُضاعٌ

الليلة انتصفتْ
ونصفُ زجاج أشعاري يلاعب خولة
كي تكفَّ عن الذرائع
وهي تمحو كاسرات الضوء في ريف
القصائد.
نصفُ أشعاري يؤانسها
ونصفٌ في مديح الوشم يغزل شعرها
لتهبّ عاصفة وخولة في هيامي.
كتبتُ أشعاري لها
منذ الظهيرة في نشيدٍ ضارع حتى انتصاف الليل
وهي تخالني شبحاً فتقرأني وتمحو كاسرات الماء

انظروا الرواة

لوَّحَ طرفة بيده شاهقاً، ممسكاً بموجة عارمة من الكحول تترنح منتشية به في مرآة الكأس. خَبطَ بكأسه صاخباً تختَ الحانة فطاشتْ فضة الذهب وطارتْ أسرابُ الملائكِ في نجوم وفي حباحب تملأ فضاءَ المكان.

" تعالواً انظروا ماذا يفعل هؤلاء وهم يذهبونَ بنا كل مذهبٍ في غيومٍ وغيبوبات، تعالوا انظروا الرواة يروون".

بحرٌ طائشٌ في لوعة الشطآن.
يسمع صوتها، ويغضُّ طرفاً عن ضياعي تائها.
تاجٌ مضاعٌ في هياج الموج
بحرٌ مستحيلٌ سوف يسمعها وينساني،
وخولة في خيامي.

زهرة العنفوان

رُوِيَ أن طرفة كان جريئاً على كبار قومه الذين يهادنون ملوك الحيرة ويسكتون عن ظلمهم وعسفهم، بل ويخضعون لدورات الجباية والعشور المهينة التي يستخلصها جُباةُ البلاط غصباً يصل حَدَّ النهبِ. وقد تمكن طرفة من التوغل في نفوس شباب أهل البحرين، وحازَ على حبهم. وهُم تولعوا بطريقته في القول والحياة. يتداولون أشعاره ويعيدون إنشادَها. صاروا يُقبِلونَ على السهر في لياليه، ويَسْعُونَ لحضور مجالسه، والتشبُّه بتحرره، معجبين بجرأة خياله وطرافة أفكاره. وهذا أمرٌ استثار زعماءَ القبائل ورأوا فيه خطراً يتهددُ سلطتَهم. وهم يرقبون تململَ فتيانِهم وتزايدَ تذمرهم وتفشي ذلك في الأحياء والعشائر،

على جرحي

مَرّوا على جرحي يرون نزيفه،
ويؤلفون نشيدهم من عزفه
مروا يوارون المعادنَ حول حزني قبل أن أبكي ويسقون الحديدَ
نشيجُهم ريشُ الغريب على حَمَام البيت
مروا
كلما مروا على جرحي انتشيتُ
كأنهم مرضُ المحارةِ وهي تمنحُ صُدفة الأحياء
ذاكرة الجواهر
كلما مروا نسيتُ الموت
عطرٌ في غموض الصوت
أجنحةُ الملاك ونزهةُ المنفى وشعرٌ شاردٌ.

مما يَشي بتزايد نزعة الخروج على سلطة القبيلة وأعرافها. وجدوا في هجاء طرفة للملك ورهطه تطاولاً من شأنه أن يعرضهم لانتقامات البلاط واقتصاصه منهم، فاشتغلوا على شبكة المكائد التي تسعى لمنع طرفة عن بيت قومه بتشويه صورته، وتمكين سلطة الملك منه بإنفاذ الانتقام فيه.

ورأيتهم. مروا.
رأيتُ رفيفَهم
ورأيت ريفاً وارفاً يحنو على جرحي ويرسم رايةً.
ورأيتهم يسقون جرحي زعفران اللّه. ينتخبون أقداحاً على حزني.
إذا مروا
يرون قصيدتي تبكي، فيدخرون بعضَ نبيذهم
قتلى قضوا حباً. ولا يتأخرون عن الزيارة
كلما جاءوا إلى سجن «المشقّر»
يسألون اللّه عن أسمائهم
مروا خِفافاً عند جرحي يستعيدون النشيدْ.

صادفَ عندما قِيل

يُروى أن المتلمس خالٌ غير مؤكدٍ لطرفة.
(وصادف أن وردة لا تلتفت ناحية المتلمس إلا لكي لا تراه)
قيل إن طرفة لم يكن يعرف أن المتلمس خالٌ له.
(وصادفَ أن رواةً أشاروا بأنَّ المتلمس قد حمل لطرفة ضغينة مبكرة منذ أن كان صبياً، لكونه تجرأ على انتقاد تعبير له لا يصلح في المعنى ولا يصح في الصورة، مما جعل بعضُ الرواة يُعدُّونَ المتلمس في الإبل أكثر منه في الشعر)

قنديل الأخطاء

فتىً في حكمة السبعين
صحراءٌ تموجُ به وطقسٌ كالذبيحة
هذه الأخطاء قنديل العذارى
يبتهجن وتنتشي أعطافهنّ.
شفيفة تهذي
لمن هذي القرابين؟
اشتهتني وردة تبكي
سألتُ الماء
صحراءٌ تصلي للملوك وللحجارة
حكمتي بيضاء. أخطائي
أرى مستقبلاً ينثال مثل الرمل والأحجار سيدة

قيل إن أولَ من تَحَدَّثَ عن حضور طرفة في بلاط عمرو بن هند هو المتلمس لا غيره. وهي الرواية الأولى الوحيدة التي نقلها الأصمعي وابن السكيت عن مصدر وسيط مجهول.
(وصادفَ أن شكاً سوف يخالط شخصية المتلمس من جهة أنه من مبتكرات الرواة الذين استهدفوا تأثيث الحكاية برمتها بأسباب وعناصر تريد أن تجيز قتل الشاعر من قبل الملك)

قيل إن الرواة وجدوا في شخصية المتلمس عنصراً حاسماً "شاهد ملك" تقوم عليه مجمل سيرة طرفة، فعملوا على استنطاق المتلمس عن رفقة طرفة له في بلاط الملك. وراحوا

ويأتي من يؤسس للسراب على الكتاب.
انتابني شكٌّ بأن المذبح التالي من النص القديم جنائزٌ:
(ويكون أن يأتي / إذا جاءَ..)
انتحابٌ جارفٌ يستشرفُ الأخطاء
حكمةُ ناسكٍ
وسلالةٌ ترثُ الحجارةَ كي تُعيدَ الذبحَ والقربان:
(.. أن يأتي/ إذا جاءَ..)
الفتى في نزوة السبعين والأشعار تقتله
فتى يبكي لنا، يبكي ...
العذارى ينتشين به إذا غامتْ ملامحه
سديمٌ أو صهيلٌ في كتاب الليل.

يبنون على ذلك ويجمعون القرائن، لا ليؤكدوا ذهاب طرفة إلى بلاط الحيرة فحسب، ولكن ليجدوا للملك الأسبابَ التي تبرر لجوءه لإيقاع العقاب بالشاعر، من لحظة دخوله المستهتر على الملك حتى تجرئه على هجائه القاسي له ولأخيه قابوس.
(وصادف أن خيال الرواة في شتى العصور ومختلف السياقات قد تفتق عن أسباب عديدة لمقتل طرفة، نخصُّ منها خمسة، كل سبب يضرب شططاً في ناحية، فيجعل الحكاية قائمة على تهافتٍ يَشي بالنية المبيتة لقتل شاعرٍ خارجٍ عن سلطة القبيلة وتقليد المجتمع وحكم السلطان. رواة اجتهدوا للاتفاق على تأييدٍ مضمرٍ فظّ لفعل الملك والقبيلة.

وردة النساء

- 1 -

هل تلدني وردةٌ كي أستعيرَ حزامَها في وحشة التذكار
هل تحنو على دميَ المضاع لكي أعمّدَ بالنبيذ شهيق شهوتها
فكم تلدُ النساءُ وكم ستثكل وردةٌ أحفادَها
أثلاث مراتٍ ولدتُ، وضاع لي قبرٌ، وتِسعُ وقائعٍ تُروى لقتلي
كنتَ مثلي يا نبيَّ الناس
أمُّكَ ثاكلٌ. صليتَ سراً وادَّعتْكَ الأمهاتُ جميعهنَّ.
ربطنَ سرك في حزام الرضع يوماً،
وانتهتْ أسطورة التأويل في دار الولاية.
في سراب الماء والأسماء في الدول الخفية

قيل، فلما التقط الرواة الأوائل شخصية المتلمس، بحقيقتها الهشة، دون أن يتريثوا للتيقّن من مصداقية تاريخها في ذاتها أولا، ثم التبصر في إمكانية قبول حديثها وروايتها كحقيقة لاحقة وناتجة عن ذاتها ثانيا. إنما سارعوا إلى تكريس شخصية المتلمس من أجل أن يتسنى لهم إنشاء الرواية واستكمال القرائن التي تجعل من تلك الأسباب حكماً ناجزاً.

(وصادف، أن الخيال الهامد سيقبل هذا السرد الهشّ لوقائع الأحداث. روايات ابتكرتْ شخصية المتلمس من أجل الفتك بطرفة)

قيل، وضع الرواة الشاعر في قفص الإدانة بتهمة الاستهتار بالملوك وعدم احترامهم،

كنتُ مثلكَ

والملوك يمجِّدون قصورَهم بقصيدة من شِعري الوحشيّ

يا أمي حزامُكِ شدَّني في خيبة الرايات

وانهارت فتوّةُ ساعدي في خيطكِ المحمي بالنايات

يا أمي انتهتْ، لولا حزامُكِ، أجملُ الغاباتِ

تسعٌ.

ضَمَّني قبرٌ.. وقيل على صليبٍ.. قيل أطرافي مقطعةٌ.

وقالوا إن فَصْد الدمّ أنهاني. وقالوا شدَّني خيطُ النجاة. وأيقظتْ روحي ذبالتها.

رأيتك تغزلين الشمسَ، مثل خطيئة النارنج وهو يصوغ صفرته

رأيتك تزجرين النفسَ. وحدك سر قافلة القبيلة

تفضحين لطائم التجار

وهي تائهة بِخيلٍ جامحٍ يَنْزو ويَشبقُ،

صادرين دائما من رواية المتلمس، هذه الأكذوبة التي ستواصل سرد الأكاذيب، فيما هم يواصلون جمع القرائن، رواية بعد رواية وعصراً بعد عصر، دون العناية بشروط تماسك الروايات ومنطقيتها أدبياً وتاريخياً.

(وصادفَ أن جميعَ الرواةِ كانوا، فيما يسردُون أسبابَ ضَغْنِ عمرو بن هند على طرفة وسعيه إلى تدبير قتله. إنما يضمرون كراهيةً خارجةً عن حدودِ رواية الأخبار وسردِ الأحداث، ليبدو الأمر جمعاً للقرائنِ التي تُجيز الفتك بالشاعر. وفي ذلك سلوكٌ قمينٌ بالقضاةِ والجلادينَ لا المؤرخين والأدباء)

قيل، هذه هي أسبابُهم التي توافقوا عليها، دافعين بها، مجتمعةً، بحيث إذا لم يُقنع سببٌ واحدٌ أقنعَ الثاني أو أكّده الثالث. وبهذا يسوقون لنا تبريراً لغضبة الملك لئلا يفلت الشاعرُ

وهي غافلة وتخسرُ أو تضيعُ.
رأيت في غيم الولادة
كنت في فيض المخاض وتكتمين الطلق.
شَدُّوكِ على وهم السلالة
شدني خيطُ الدلالة.
كلما في يوم ميلادي .. تأكد مقتلي
واشتدَّ نزفُ الطلق وامتدَّ الحزامُ
غادرتني شهوة النسيان
وانبثق الكلامُ.

من مصيره المحتوم.
(وصادفَ أن أسباب غضب عمرو بن هند وقرائن الرواة الرائجة ضد طرفة كانت:
الأول/ عدم تواضع طرفة، وتكبره واعتداده بنفسه في حضرة الملك.
الثاني/ تغزله بأخت الملك..
الثالث/ هجاؤه لعمرو بن هند وأخيه قابوس
الرابع/ وشاية عبد عمر بن بشر مستشار الملك بالشاعر بسبب ما قاله في هجائه.
الخامس/ مرافقة طرفة لعمرو بن أمامة، الأخ غير الشقيق للملك، إلى اليمن مناصرة له ضد أخيه.

- 2 -

يا أمي،
حزامُكِ حَزَّني في النَّحرِ
هل كنتُ النهاية في البداية؟
حَزَّني حُزْني على موت «المرقَّش» قبل أن يمحو حجارته
ويبكي.
كلما أوشكتُ ضاعتْ جنتي في آخر الفتوى،
وضاءتْ في الأقاصي كي أموت مبكراً
قال النبي قبيل أن يهذي بنا:
تسعاً قُتلتُ
ومرةً قلتُ القصيدةَ كي أبالغَ في ابتكار العشق
أذهبُ في الشغاف

لعمري، أن كل تلك الأسباب كفيلٌ الواحد منها بفضح جميع الملوك. وهي كلها لا تسوّغ مصادرة حق شاعرٍ واحدٍ في حريته.

ومرة أخرى قُتلتُ على الضفاف
ومرة أخرى أخافُ،
ومرة أخرى..

أنظر إليَّ وخلصني

صرخ في وجهه ممسكاً به يرجّه رجّاً. هل هو صنمٌ أم وثنٌ. ها أنا أدعوه أن يساعدني أياً كان. أي إلهٍ هذا، لا يسمع ولا ينظر ولا يتكلم ولا يُخلّص الناس من عذابهم. ما حاجتي لأحجار وأخشاب ورسوم تصدر عن الوهم وتذهب إليه أريد أن أحلم.

ترك طرفة المكان وخرج يدمدم بكلمات هي بين الغضب والنزيف. فاض به الشكّ وتفجرت الأسئلة. ليلته الماضية كانت أقسى عليه من لحظة خروج الروح من الجسد. توغل بأسئلته كثيراً وهو يتحقق مع راعي كنيسة "دير العذارى" الأسقف "مار يوحنا الأزرق". في صمت

على وطنٍ يخشى الفتى

هذي بلادٌ لا أميِّزُها
دخانٌ أم يدٌ مغلولة أم فكرة تهوي؟
بلادٌ،
كانت الصحراء تمضي فاستحالت حاضراً..
مستقبلاً ..
من أين لي. ماذا أسمّي خيمة في الرمل
لا ماءٌ ولا غجرٌ
ولا يصغي إليك الغيمُ حين تقول.
نمضي للأفول
فكيف لي،
كنا على وشك الحديقة، مثل حلم عابرٍ
فاستيقظ الكابوسُ

الآلهة عن شعوبها، مستعصياً عليه هذا الصمت فهو لا يفهم لم لا تكالم الآلهةُ الناسَ الذين يعبدونها. أليس من حق الإنسان أن يكالم سيده يناشده ويساجله. الحديث هو ضربٌ من الحب، هو الصلاة في لحظة العمل. غير أنه لا يرى آلهة تعبأ أو تكترث بمن يصلي لها ويعبدها ويتضرع إليها.

حين بسط طرفة للأسقف سلامَ الاحترام، سأله عن صمت الآلهة إزاء بطش الملوك في الناس. سأله عن تكاثر الأديان ونقص الحب، وعن تناسل رجال الكنائس والمعابد من دون أن تردّ الآلهة التعاسة عن بشرٍ لا يتوقفون عن الصلاة والشكر ولا ينجون من العذاب.

واختلط اليتامى بالثكالى
دارتْ الفتوى وحَلَّ النعشُ في عرشٍ
بلادٌ لا أميزها. حياةٌ أم تموتٌ.

هي انتحارٌ صارمٌ.
يا ليت لي – هل كنتُ مقتولا ومتُّ
أم كنتُ في سفرٍ وعُدتُ –

لم يعد لي،
هذه الصحراء تفقدني،
وكل تراثي المنهوب يمحوني،
وصوتي وحده في هذه الأرجاء يسمعني.

كانت تلك الليلة محمومة بفعل الأسئلة التي حسبها الأسقفُ الأزرق ضرباً غير مسبوقٍ من التجديف الذي لم تعهده كنائس الحيرة ولا أديرتها. لقد وصل جدالُ الشاعر حدود الفزع، فاضطر الأسقف أن ينزع الصليب من يديّ طرفة فيما كان يصرخ في المذبح.

"إن كنتَ تسمعني،
أنظرْ إليّ وخلصني"

تمكن الأسقف الأزرق من الحيلولة بين طرفة والخشبة، خرجَ به إلى حديقة الدير يتلو له كلمات تردُّه عن الغَيّ مما جعل طرفة يترك "" دير العذارى إلى حانة قريبة.

طفق طرفة يبوح بكوامنه في فضاء المكان الذي يذهب إليه في البحر والبحرين. يطلق

أشلاء

صَنَعَ الشِعرُ بي
مثلما تفعل الريحُ بالرمل
بَدَّدَ أشلاءَ روحي
مضى بي إلى تهلكاتٍ
وأغرى بي النارَ
أودعني وحشة الغائبِ.

أشعاره ويوقظ أسئلة الناس المحبوسة. لا ليصقل الحياة في الأرواح المستسلمة فحسب، لكن ليضع القناديل للخطوات المذعورة في طريق الخروج على آلهةٍ تُعِينُ الطغاةَ على الناس.

غير أن أحداً لا يقرأ قلبَ الشاعر ولا يرى إلى نبوءاته، فأتاحَ ذلك للملوك أن يستفردوا بالشاعر ويغدروا بأحلامه.

الدرس

صعبٌ على الشعر أن ينتهي
مثل أسطورةٍ في البكاءِ النحيل
بكاء يخيط الظلام
ذريعة خولة في خيمة الليل.
هذا هو الدرس:
«أن تستعيدَ غيابكَ،
كلما ينساك قومٌ، سوف يقتتلون،
كي تنسى سلالتك البعيدة.
كلما في وشم خولة،
كلما تطوي عباءتها وتبكي مثل ثاكلة الظلام»
هل حفظتَ الدرسَ.

فهرس النزوات

كنتُ في الحيرة. في حاناتِها.
في القصيِّ الخفيِّ من الرمزِ. ممّا تأبّى على القتلِ
حيث الغيومُ التي امتزجتْ وانتهتْ في يدِ اللّه
خمراً وحبرا.
وكنتُ انتهيتُ إلى فهرسِ النزوات
نهاياتها هودجٌ يترنحُ

«صعبٌ، مستحيلٌ، خارقٌ.
والموتُ أن تبكي وتبكي كي تخيط الليل بالدمع الطويل»
فدع لخولة درسَها
واقرأ كتابك واستعنْ بالمستحيل.

يأخذني
أتهجاه أهجو وأهتاجُ
كنتُ ابتدأتُ بعيداً، تقمصتُ ناياتها
حرسٌ حائرٌ. تقمَّصتُها.
قال لي صمتُها:
«فلتكنْ يقظةً
إنهم يتبعونك يُحصُونَ أنخابَك الساهرةْ
نداماكَ بيضٌ، فلا تأمنْ السحرَ والساحرةْ»
كنتُ في الحيرة. في دَيرها

الطفل في الخوف

تخطيتُ الغبارَ وصرتُ مائياً
تجلى لي سحابٌ في الهوادج
وهي تهتف بالسماء لكي تسيل.
قلبي عليها قبل أن ترتد روحي في جروحي
لم يعد لي في رماد الغيم بيتٌ
صار بيتي جنة التذكار
أعطتني يداً أبكي عليها
مثل خوف الطفل في ليل الغريب.

أبحث عن جنة الشعر في خمرِها
عن رؤاها المصانَة بالصمتِ
في مهبطِ الطينِ والكاغد الحُرِّ
في دهشةِ القصبِ المستهامِ بأحبارِها
بالكتابة ترفعني للسماء
قال لي:
«غيمةُ اللّه تحنو عليكَ
ولكنهم يبصرون.

تاج الموج

جاءتْ تموجُ
تجرُّ كوكبةً من الأعراس من ماء المرايا
سوف تستثني طبيعتها لترقى أن تكون ذريعة للرمل
تحنو مثل بحرٍ شطَّ في ماء الضحايا
توقظ الأسرى
تموج وصوتها في راية الذكرى
تغني هذه أسطورة أخرى
ستبدو بعدها الصحراء نائية عن الشعراء
تبدو مستقَراً للرحيل ونزهة للماء
كي تحظى بمحتملٍ،
تموجُ وتخدعُ الحراسَ

فأقوى من الغيم صوتك
يستعجلونك للموت،
فاسبقْ دم السيف في غدرهم».
فانتهيت
انحنيتُ على كتفِ أمي
وأدركتُ سِرَّ حكاياتها الحائرة.

يقتتلون في غيم المسافة
بين زرقتها ورملٍ سادرٍ لا ينتهي.

يا غيم دعها تنتمي
دعْ خولة الفرسان تصغي مرةً أخرى لوقع خطاك
تفقد نجمةً كانت دليلكَ نحوها
وتضيعُ في تيهِ القبيلة كالقتيلة
أيهذا الغيم دعها وردةً في الكأس،
تسبق خطوها.. وتموجْ.

آية المائدة

كنتُ في غجرٍ وصعاليكَ وجَرحى وطُهاةٍ جبارينَ
كنتُ إذا جَنَّ الليلُ، تذكرتُ رفاقاً رَحلوا، ورفاقاً وصَلوا
ورأيتُ رفاقاً شَقُّوا راياتِ قبائِلهم،
وأقاموا في محرابِ كنائِسهم، يقتَتِلونَ قُبيلَ الذبحِ
فما صَلُّوا عند البابِ وما دَخَلوا
غَجرٌ في الحب إذا خَجَلوا

خمسون ماءً

سَكبتُ لك خمسين ماءً لتغتسلي بغير الصهد
حيث الأنهار تزخرف جسدك. تداعبه وتوقظ فيه الفتنة
خمسون ماء تتحدر من أعطاف الطبيعة. متموجة تحفُّ بمركبك اللطيف وتمنحه نعمة الأجنحة. لكأن هذا الجسد المتوهج بفعل الوشم وصليل الذهب يبحر بالشهوة نحو سديم الشغف.
خمسون
لا يكفيك
ولا يطفئ لك ناراً
ولا يلجم دورة الدم المجنون في الأروقة.

تلمَعُ تيجانُ الشِعرِ بِهِمْ
يَهْجُونَ الريحَ، وينحرفونَ عن الغيم
أدِلاءُ يَضِيعُونَ ولا يمتثلونَ
فكنتُ إذا جَنَّ الليلُ سمعتُ نحيبَ جنائِزهم
تَسعى هائمةً في هيئةِ محّاراتٍ ثاكلةٍ،
تنسى البحرَ وتخشى غزوَ الصحراء
أدلاءُ،
وأسمعُ أجراسَ صلاةِ الخوفِ تَفُرُّ بهم
غجَرٌ في سَفَرٍ والعمرُ قصيرٌ

شهلاء

تفتح شرفةً وتقول لي: هذا سريرك، عرشك الجسدي
خذني قبل هذي الكأس، قبل رحيلك التالي
فلي خمرٌ لديك أريده لأريقَ عطري في كيانك
شهلاء فاتحة النعيم تسرُّ لي
شهلاء شهوة شاخِصين إلى الجحيم
تردُّ لي نَزْدَ المغامرة القصية
كلما مدتْ يداً أرخيتُ أعضائي لها،
لتقول لي: عرشي ينالك
وانتعاشة جنتي تاجٌ يسير إلى مكانك
ماذا يريد الشعر أكثر من يدٍ ممدودةٍ وثلاث جنيات،
أخطاء ملفّقة ومغفرة الحنان وشاهدٍ ينسى..
وشهلاء الشهية زهرة في عنفوانك.

وأطباءُ يداوونَ القلبَ بماءِ النشوةِ
يَدَّخرُونَ رثاءَ العطشى لمديح البحر
دواءُ الغجر المهدورين
كتابٌ يَحظى شعبُ المفؤودين به
غجرٌ وصعاليكَ وأسرى
كنتُ أعالجُ خوفَ الروحِ بهم
غجرٌ يرتعشونَ لفرطِ الدهشةِ
في الجَرحِ وفي التعديلْ.

فرسي إليك

فَرَسِي إليكِ تخبُّ، فارويها بعطرك
حمّليها ما يقالُ عن القصيدة وهي تسمو
واشفعي للغافلين فسوف يغفر سيدٌ للعبد
وحدي في انتظارك،
جللي فرسي مطهمةً
بماءٍ نادرٍ من جنةٍ في آخر الصحراء
وحدي
والرسائلُ ذاهبات مثل قافلةٍ بلا معنى
بلا أسطورة
مثل انتظاري أنْ أموت.

انجراف المسعَى

أجيءُ منجرفاً
على طللٍ ولا أبكي عليه
وَقْعُ أقدامي حروفٌ
ويدي في عُنقِ الخيلِ
وأخباري طريقٌ
وأمامي أفقٌ أسعى إليه.

تأتيك أخبار المراثي وهي خائبة
فإنْ جاءت إليك الخيل عارية،
خذي ثوب القتيل وجللي خيلي
كأن قرينة تكفي لكي أبدو قتيلاً قبل موسمِه.

يقظة الرماة

أخطأتُ في التقدير
أسماءُ السُلالةِ بابُها السري
مَنْ يقفو سُلالته سيبقى خارجاً هَمَلاً.
ومَنْ ينسى الهواءَ يضيعُ في برد المنافي،
في فيافي الريحِ، منسياً على جُرحِ الطريق
وكلُ منْ ينسى يُذَكّرُه الرماةُ

نجمة اللّٰه

(دفتر خولة)

فلا ملائكةٌ يَرفُّ جناحُها لا أغنياتٌ سوفَ تكترث،
ولا تَرِثُ الرمالُ
ولا تنالُ سوى النواجذ
واحتمالات المقاصلِ كلها تمحوه من حبرِ الكتابة
لم أكنْ أتلو كتاباً
كلما حاولتُ تأويلَ الصَدى، أخطأتُ في التقدير.
نصفُ الشمسِ يكفي. لو أضأنا الليلَ قبل تَشَرُّدِ الأطفالِ من أحلامهم
حاولتُ رسمَ الماءِ في غيم الجحيمِ

«جَنُوحٌ دِفَاقٌ عَنْدَلٌ ثمَّ أفْرِعَتْ»

طرفة

كأنني أخطأتُ في التقدير
لم أدْرِكْ سوى ظلِ الهواء. كأنما شخصٌ يؤلِّفُ غابةً من وردةٍ،
ويسوقُ قافلةً من الأخبار في صخرٍ
تُرى أخطأتُ في ليل من الأخطاء؟
أن تهجو الطريقةَ،
أن تَرُدَّ عن الطريق،
وأن تَرى في غرفةِ الأحلامِ وحشاً
إنْ تكنْ فرداً تجدْ فيكَ القَبيلةُ خصمَها اليوميّ أنتَ عدوُّها

أدلاء

غَرَّرَتْ بالأدلاء قصاصي الأثر،
وهم يجوبون الكتبَ. يقرأون في الوشم نكهةَ الإبريسم وملح الإثمد
يتقرُّون مواقعَ أحلامي ويصبُّونَ لكل قدحٍ خمرةً ويروزون إبرةَ الميزان
أدلاءُ يتهدجونَ في شهوةِ الغيمِ والتأويل.

غرررتُ بهم حتى أوشك الندم أن ينال منهم.

إن كنتَ قد أخطأتَ فارجع، واعتذرْ واخضعْ لتقويمِ السُلالةِ
لا تصدقْ غفلةَ المرآةِ
عندَ بقيةِ المعنى رَؤىً تفنى
وأسرارُ السُلالةِ كلها مكشوفةٌ
إن كنتَ قد أخطأتَ في التقدير
لن يكفيكَ أن تنسى جناحَكَ كي تَطِير
الماءُ بحريٌّ
ونصفُ الأرضِ لا يكفي لشعبٍ شاخصٍ كالشمسِ

نزهة الناقوس

جئتُكَ أتبعُ صوتَ النواقيس، كنتُ في الطرف البعيد من الجزيرة. جئتُ مأخوذةً بنحاس قديم يفرُّ من الصدأ ويصرخ. كنت كلما وصلتُ أشاروا إلى تخوم أبعد:

«انظري إلى ذلك الضوء، انه هناك، يتصاعد في معبدٍ مهجورٍ».

أرى شعاعاً يتصاعد مثل الشواظ، فأسعى من صحراء بعيدة. أسعى وأنتحبُ. كمن يُحصي حبات الرمل. قادمةً إليك. تقودني حنجرةٌ في نحيبٍ لا ينال منه تعبٌ ولا يبلى. وكلما تقدمتُ تكشَّفتْ تخومٌ قريبةٌ تبتعدُ. وكلما أوشكتُ أشاروا :

«إنه هناك...».

أراك في الوهج شاعراً يكتب عن أنبياء يستيقظون. فأقرأ ما تشي به نواقيسُ تعول في صحراء تكاد تطبق بوحشتها على شفتين مفعمتين

حانة شهلاء

ليست ساقيةً في حانةٍ. هي امرأةٌ تُحسنُ صقلَ الأقداح باللطف، وسكبَ الراح بالظرف، وملاعبة أرواح المولعين باللهو والعبث. وَرَثَتْ الحانةَ من أبيها وأتقنتْ عنه المِهنةَ وبَزَّتْ أمَها في الجمال والحيلة. فلم يبق شاعرٌ مَرَّ الحيرةَ إلا زارَ «حانة شهلاء» و تولعَ بها. ولا عاشقٌ إلا تدلَّه بغنجها. حتى قيل: ليلتان في الحيرة تغنيان عن العمر الباقي. ليلةٌ في هوائها وليلةٌ في هواها»

وكانوا يَعنُونَ حانة «شهلاء» بهوى الليلة الثانية.

بالرسائل. أجدّ في السعي خشية أن ينال الوقتُ من يقظة الحجر، فيترمَّدُ البركان ويقع نبيٌّ في الوهدة.

من بعيد الرمل أسعى بقلبٍ مضطربٍ، أقيس الشغف بالنواقيس، وأنتَ تتأججُ في حبلٍ موصولٍ بالسماء. تشدّه تُرخيه تشدّه وتضربُ الأرجاء الزرق به. تطلق النحيب الصارخ مثل وترٍ نشيطٍ وحيدٍ في المعزف العظيم. فأعرفُ أنني في الطريق إليك، أدرك صوتاً يوقظ الخلق ويعيد الخليقة إلى رشدها.

ناقوسُ فتىً يَشِي ويبوحُ ويُفضي بشعرٍ ينهر الآلهة.

فما إن انتهى طرفة من كأسِه الثالثة حتى التفتَ إلى «المتلمس»

قائلاً: يا متلمس، أظنكَ ستذهبُ إلى ملكك وحدك.

انتفضَ المتلمس كمن استشعرَ تخلي طرفة عن الأمر برمته.

وقال: لكنهم حَمَّلوكَ رسالتَهم وأودعوكَ أمانةً لابد لك من أدائها.

فقال طرفة مستخفاً: ها أنتَ أحرصَ مني عليها وأقدَرَ على صونها، ولك خبرةٌ في حضرة الملوك. أما أنا فلا قِبَلَ لي بالملوك. لا أقصدُ ملكاً ولا أقفُ بباب ملكٍ ولا أنتظرُ ملكاً ولا أطلبُ شيئاً من ملكٍ. فاذهبْ عني.

ثم مالَ ناحية شهلاء مداعباً: يا مليكة الليل والنهار. بحق ملكٍ لن أذهب إليه تعالي

انتظار

كنت انتظرتك في نهايات القصيدة،
كي نسافرَ في الذهبْ
كنْ لي انتظاراً واحداً
ناراً مولَّعةً
لأنتظر اللهبْ.

أتزوجُكِ هذه الليلة.

وقع هذا القولُ صاعقاً على شاعرٍ يقال له «الأقيشر» كان حاضراً في الحانة ليلتها، وكان مأخوذاً بشهلاء، فالتفتَ منقضَّاً بكلامِه على طرفة:

«لكنكَ نصرانيٌّ يا طرفة».

فردَّ عليه طرفة:

«وماذا يعني هذا؟».

وكانتْ شهلاءُ قد اشتملتْ كأس طرفة لتسكب له. فيما تقول له مستجيبةً لدعوة طرفة:

«أهذه الليلة، أمْ لهذه الليلة؟»

حصة الموت

كنتُ خمسين انتظاراً يائساً
وعرفتُ أنكَ لن تجيءْ
كنتُ امتحنتُك في غيابِ الدرسِ في القاموسِ
وهو ذريعةُ التأويلِ
أسألُ عنكَ نسيانَ الدفاترِ
كانَ يستثني قصيدتكَ الجميلةَ
ينتقي للحرب أشلاءً
ويمنحنا ضِعافَ الخيلِ كي نكبو
فيأخذنا بكاؤك لانتظارٍ صارمٍ
خدي على باب الكتابة ربما تأتي.
انتظرتكَ جنَّةً في حصةِ الموتِ البطيء.

طارَ عقلُ «الأقيشر» صارخاً بها:
«ولكنكِ يهوديةٌ يا شهلاء».
فالتفتتْ إليه مستنكرة:
«وماذا يعني هذا؟»
فارتجتْ أرجاء الحانة ضاجَّةً لفرط الترنّح الذي بعثه بوحُ طرفة، والغنج الذي استجابت به شهلاء. فأمعنَ طرفة تحديقاً في جيبِ شهلاء، الذي يَفْسحُ لصدرها العارم ما يكفي لاندلاعة نمرين هاجمين يتجليان في مرمى نظرات الثملِ وبصيرةِ السكرانْ. حتى إذا ما تجاسَرَ طرفة على مَدِّ يده لجَسِّ الجسد البضّ. نهرته شهلاء:

غصنٌ مريضٌ ومكسور

كانت الريحُ تفاحتي
وهي مرتاحة في انتصاف الحروف
كنتُ في الغيم
في الكلمات التي تسبق الوقتَ في المنتهى
أحتفي بالغصون المريضة مكسورة في الطريق الموازي
هل كان لي بيتها. والصدى واهنُ الصوتِ
شخصٌ يرتِّبُ أخطاءه في الحديقة
هل كانت الريحُ أعلى من الوقت
والرملُ في ساعتي
في الخفيِّ من الخوفِ
والشاعرُ المستهامُ يضيعني ويضيع

«لا أسمعُ كلامَ السكارى ولا أقبلُ تطاولهم».

رَمَقَ طرفة المتلمس المذهول، الذي كان قد بدأ يتخبَّط في وحشة مهمته المتعثرة. منحه ابتسامة صارمة. وأمسك يد شهلاء بثبات كمن يؤدي طقساً: «كوني بيتي في الحيرة كلما قصدتُها. تعالي أبني بكِ وأكتب عليك».

فرَدَّتْ شهلاء:

«أخرجْ من خمرتك الليلة تدخل بي غداً. فعلينا أن نذهب إلى من يشهد على ذلك. فهل تأتي نحتكم إلى النار؟».

فقال طرفة:

تسّمِية

سَمّاكِ زنبقةً وسَمّاني صدىً
ففتحتُ نافذتي على ليلِ الحديقة
كي أرى عطراً يغني للسماء.

«هل تأتين أحتالُ بكِ أمامَ الجنة؟»

هبّ المتلمسُ صارخاً كمن فاضَ به:

« أيها الغلامُ الفاجرُ. تترك رسالة قومك لتذهبَ الى جحيم هذه اليهودية. ما أجبنك عندما يطلبك الموقفُ الشجاع ».

فانفجرَ طرفة:

«فلتأخذك شجاعتك إلى ملكك. وليذهب كل منا إلى ما يُحبّ. أما أنا فلستُ من باب الملوك. ففي الحياة ما يُغني عنهم. وقلْ لقومي أن يعدلوا في ما بينهم قبل أن يطلبوا عدلاً من ظالم».

تفجرَ الغضبُ بالمتلمس. وعرف أنه لا محالة ذاهبٌ بالرسالة وحدَه. فعمد إلى ترهيب

الحائر

كلما عادَ من حيرةٍ
جاء مستنفراً
تسبقه الشكوكُ،
وتتبعه الأسئلة.

طرفة:

«اعلمْ أن الملك يعرفُ انك قادمٌ معي غداً للقائه. فإذا بلغه رفضُك الذهاب فلن يغفر لك»

فعاجله طرفة:

«أبلغه ألا ينتظرَ مني زيارةً ولا مديحاً».

قال المتلمس:

«بحق المسيح إنك تلعبُ بالنار مع ملك فاتكٍ. هذا الذي يدعونه «مضرِّط الحجارة» لفرط بطشه».

ضَحكَ طرفة مستجيباً لنزوع السُخرية والعبث في كيانه. فيما الخمرةُ تصعدُ به:

لكَ

مثل أحلام الفلكْ
أبحرتُ نحوكَ قاربي جسدي
وقمصاني شراعٌ
وانتحاراتي انتعاشٌ صارمٌ
والقلبُ لك.

«لا أفهمُ كيفَ أن ملكاً يقبل بمثل هذا الوصف. لولا أنه فعلاً كيسُ ضراطٍ كبيرٍ».
ثم نهض متألقاً بخمرته:
«اِذهَبْ إلى ملكك وقل له إنني ذاهب إلى العرس وعليه أن يذهبَ إلى ما يُريد».
هاجَ المتلمسُ خارجاً من الحانة. كمن يهرب عن سَماع كلامٍ يُضاعفُ ذعرَه، راكضاً نحو مهمةٍ أدرك بغتةً أنها أثقلُ على كاهلهِ من القتل.
رُويَ أن أحداً لم يعرف ما الذي كان يذهبُ إليه المتلمس. غيرَ أن روايةً قالت أن قوماً صادفوه هائماً على وجهه في طريق الشام بعد أيام. ورَوى بعض السابلة أنهم صادفوا شخصاً يعبر دجلةَ يهذي سائلاً عن أقرب طريقٍ إلى الجزيرة. ويتلفتْ مذعوراً كمن

تاويل

وردةٌ / لغةٌ
زفيرُ قاموسٍ لها
وتبادل الأنخاب في تأويلها
عطرٌ وإرثُ قبيلةٍ منهوبةِ الأخبار
مثل سلالةٍ تهذي
وكأسُ الغيم يُسكرنا
ويوقظُ ليلها.

يهرب من نارٍ تلحقُ بثيابه. وقيل أن طرفة هو الآخر قد فَرَّ هارباً بعد ليل شهلاء. تاركاً الحيرة نحو الأرجاء الشاسعة. وقيلَ أن عمرو بن هند قد سَمعَ عن وقائع حانة شهلاء. فغضبَ وعزمَ على مطاردة طرفة والفتك به. فأرسلَ إلى عماله في طلب طرفة وملاحقته بعد أن دخل عليه المتلمس وحده.
ماذا يريد ملكٌ من شاعرٍ لا يريدُ شيئاً؟

ألفة

غصنان مخضوضران
والحديقة تفْرط في الحب
بيتٌ تؤجلهُ وحشةٌ
والشجيراتُ تؤنسُ وحدتَه النادرةْ
جمرةٌ صابرةْ
كل هذا الجليد المريض على الباب
هذي الوريقات تبكي على خضرة حاسرةْ .

شهلاء تشهق

شهلاء،
شُرفةُ طرفة على حريات اللذة وفتنة النزوات في فضاء الحيرة.
قال لها: أتزوجُكِ الليلة.
قالت له: تأخذني بشَرطي، أكونُ لك بشرطك.
وجدَ فيها حضنَ حرياتِه الفاتنة تسكُبُ له فينهلُ منها ويغمرها فتذهَلْ.
شهلاءُ،

قدمان في حلم

لم تخرج خولةُ من حلمها. استسلمتْ للنوم وتركتْ قدميها تؤنسانني حتى الصباح. لخولة قدمان صغيرتان. طفقتُ أتأملهما في دهشة من يكتشف قدمي ملاكٍ لأول مرة.

يا لقدميك الصغيرتين في البرد. ترتعشان بين يديّ وأنا أدعَكُ لهما الكعبين بجمرة الولع وأغسلهما بماء القصائد.

قدمان صغيرتان حتى إنني أخفيهما معاً في كفي، وأدثرهما بفروة الذئب كلما جَنَّ ليلٌ وتشهَّتْ قلوبٌ. وأظلُّ أسردُ لهما الحكايات لأرى أصغر قدمين تصغيان إليّ وتنسربان في نوم ناعم، وسربٌ من الملائك يحرسهما.

قدمان صغيرتان تنامان في أحلاميَ.

أسهر على أحلامهما فيليق بهما التأويل.

امرأة في حانةٍ في حيرة الليل. ستأخذُ طرفة إلى المعلم الحَيريِّ العجوز، حيث كان الشاعرُ يبحث عنه ليأخذَ على يديهِ الكتابة، حسبَ وصية جده عن أبيه على لسان وردة: "ابحثْ عن بيت رجلٍ في الحيرة يقال له (الكامل)، أخذ عنه جدُّك المرقش الكبير رسمَ الخطِ والقراءة".

سمعتْ شهلاءُ طرفة يروي تلك الوصية فشهقت:

"إنه جدّي أيها الشاعر، سآخذكَ إليه".

ما لا يفنى في الذي يموت

(دفتر طرفة)

في حضرة الكتابة

وقفَ يسترد أنفاسه بين يديّ صاحب الكتابة. مرخياً كيانه المتعب، وهو ينظر إلى الشيخ الوقور الجالس على حشيةٍ في حوش الدار، ويداه مرخيتان أمامه على تختٍ أصغر من كفّه ذات الأصابع المستعرضة لفرط الخطّ. فوق التخت دواةُ الحبر وبعض أوراق الكتان المصمتة بصفرتها العتيقة. احترمَ طرفة صمتَ شخصٍ استقبله عارياً من الاستغراب والترحيب معاً. كأن العجوز قد اعتاد اقتحام الغرباء عزلته بهذا الشكل الداهم. لكن ابتسامة صغيرة مرّت على شفتيه عندما رفعَ رأسه ينظر إلى الزائر الغريب. تنحى طرفة

«ما زال تشرابي الخمور ولذتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتنـــــــي العشيرة كلها
وأفردت إفـــــــــراد البعير المعبد»

طرفة

عن مدخل الحوش. اختار ركناً في جانب المكان وجلس.

- هل تعرف أني ذرعتُ الزمان وقطعتُ المسافات لكي أصل إليك؟

اتسعت ابتسامة العجوز

- أعرفُ، وكنتُ انتظرتك

- تعرف؟ من أين تعرفني؟

- أخبرني أبي أن شاعراً أوصاه بشاعرٍ من أحفاده يقصده ليأخذ الكتابة منه. ولم أتوقف عن انتظارك مع الكتابة منذ البدء. إن الكتابة تنتظر من يسعى إليها. فهي النعمة التي لا تذهب إلى أحدٍ لا يطلبها.

نهار نافر

بيني وبين الأناشيد ليلُ
بيني وبين الأساطير سيفٌ وخيلُ
ولي نحو بيت الحريق طريقٌ
سينفر في خطواتي النهارُ
وينهارُ في ليل شِعريَ وحشٌ جميلٌ .. ويحلو.

الفضاء والطير

ذهبتُ إلى صاحب الكتابة، وقفتُ بين يديه، أسأله أن يعلمني النظام في رسم الكلام فأخذ كلامي يمتحنه، ثم قال: ها أنت ترسمُ الكلامَ بنظامٍ من عندك، فلماذا تريدُ نظاماً من غيرك. أنت لا تحتاجُ في كتابتك لسواك.

قلت: سمعتُ أن ثمةَ حدوداً موضوعةً لكي تكون الكتابة مقيدةً حسبَ نظامٍ مجموعٍ مسموعٍ، وأريدُ أن يساعدني هذا على صنيعِ الكتابة.

قال: يا بُني، اذهبْ إلى الكتابة وحدَك. أخشى أن أعلمكَ نظاماً تهتم بتخومِه فلا تعودُ

شرفة كونية

أكتب الكلمات مخلوقة تواً

خارجة في لحظة الكون يتكوّن تخوماً بعيدة عن مرمى الآلهة. صادرة عن الإصغاء الحميم لدبيب الدم في الروح. اكتب فأنجو معك من حيفٍ وَشِيْكٍ يصوغه الآخرون. لسنا لهم، يسعون إلينا بالوسائل والغايات، ويولمون بنا قبل الحفل وبعده. غير أني من شفيف الشرفة الكونية، أكتب إليك فتشهقين، تدفعين وشمك في أعطاف الخيل، وترخين العنان هائمة في انتظاري.

أنصبُ خيمتي في ليل المكان كي نسهرَ العمرَ الباقي في الزمان كله.

تكتبُ نفسَك. اذهبْ فإن كلامَك نظامُك.

من ساعتِها وأنا أضعُ الكلامَ وحدي، والكتابةَ وحدي، والخطَّ وحدي، وكنتُ كلما ذهبتُ إليه بكتابتي، مرسومةً مرقومةً، أخذَها وخَلَّصَها من خجَلِها وترددها وأطلَقها من إسار الدرس، وقال: اذهبْ فأنتَ الفضاءُ والطير.

عروة بن الورد

قل لي يا عروة كيف أهيئ الصحراء لخيمتي وأزرع فيها أوتاراً تشدني إلى جهة الأقاصي وأنال القدرة على الحلم.

عليك أن تقول الفهرسَ كاملاً، والعذابَ كله، وبقيةَ الورد، أجلَ أن تضمَ سهرتُنا صعاليكَ الأرض وخوارجَ السماء، وتَسعَ العشاقَ المقتولين بحناجرهم العارية.

عليك أن تفتح مملكتك لنقائضها وتضعَ دمي في أبجديتك.

عليك يا عروة أن تلقاني في يومِك وساعتِك وقراحِ مائِك نتقاسمه معاً، فقد أمضَّني العطشُ وذبحتني الوحشة.

كأنّ الحرف طفلك

تعلمتُ الكتابةَ قبلَ أن أُحصي شروطَ الموتِ
صارتْ جنتي لغتي.
وجَدّي قادني في الأبجدية مثلَ مشكاةٍ.
وزَيَّنَ لي القراءةَ كالثمالة في مساء الكأس
قال: ابدأْ كتابَكَ بالحروف المشتهاة
اكتبْ كأنَّ الحرفَ طفلك

صداقة

كلما فقدتك في غيابٍ،
وجدتك في كتابْ.
صديقٌ مثلك لا أحدَ مثله
يكتبني حين يمحوني الآخرون.

واجعلْ الباقي من الكلمات رفقتك الصديقة.
هذه لغةٌ تضاءُ وتُصطفى وتنوبُ عنا
كلما تُهنا بها.
افتح لها في قلبك السريّ مملكةً
لتحفظَ حقها في حبك. اصقلها بماء الروح،
واطلقْ في حجارتِها الكريمةِ شِعركَ المجنون،
واكتبْ باسمِها ما يجعلُ التأويلَ حُراً كي ينوبَ عن الملاك.
وأنتَ تهذي بالمعاجم. تفتحُ القاموسَ كي تنسى
دَع الفوضى النبيّة في دليلَك كلما أبحرتَ

"الرقلاء"

مِنَ الإبل إلا قليلا
منَ اللّه أكثر،
من صُلبِ آلهةِ الناسِ
من حلمهمْ
من رؤاهمْ.

مَنْ رأى ناقةً نارُها درجٌ صاعدٌ نحو برج السماء
مَنْ رأى الندماءَ يُصَلُّونَ للّه ؟

غُصْ حُراً وحيداً في وريدي
يا حفيدي
عندما تأتي بعيداً في قصيدتك الوحيدة نحو غيم النص
حين ترى الكتابةَ جنةً أعلى، وتنهالُ اللغاتُ عليكَ مثل الحلم
لا تخشَ المغامرةَ. انتعلْ برقاً
فدُرُّكَ في حديدي يا حفيدي
سوف لن يكتبَ سواكَ قصيدةً تحنو على غدرِ القبيلة
لا تخفْ

ناقتي هودجُ الشعر
والأنبياء ..
يجيئون بعديَ .. جيلاً فجيلا

واقرأ كما يدعو الملائكةُ
انتبه واكتبْ كما يُملى عليك
وما يفيضُ الوحيُ فيكَ
هذه لغةٌ تَرى لكَ ما يُضيء وتصطفيك
اذهبْ بها حراً بعيداً
سوف يأتيك الملوكُ ويقتلونك
كنْ بعيداً في حِمى الكلمات،
وارسمْ في كتابك شرفةً، فالموتُ دونك

أحفاد

إلى أحفادٍ كثيرين
أقربَ من أسلافٍ غير مكترثين.

أطلقْ حروفَك غيمةً في وحشة الصحراء
تملكها وتؤنسُ روحَها وتصيرُ جيشاً واحداً
إقرأ لهم.
اكتب كتابَك في زجاج الرمل
وأتركْ في «النمارة» ما يفيضُ عن الإشارة
هذه لغةٌ تُحبُك كلما صليتَ في محرابِها
ستصدُّ عنكَ الموتَ
إقرأ غيمها. أكتب لها

أخت قلبي

رأيتك يا أخت قلبي في غيم وفي أنين. ينالك العذابُ مثل وجع الماء في الكأس. إرثك الحزنُ والمراثي. بين يديك تنشأ ولائدُ النمور، وفي كتفيك تبزغ الأجنحة وتفرُّ النجومُ في عينيك.

يا أخت قلبي
انبثقَ حولك نهرٌ. فطلعتْ الغاباتُ وازدهرَ نحيبُ النايات في عرسٍ وفي مرايا. وكلما استيقظ ليلٌ تصدّين الضباع عن سريرك وتذودين عن بيتك بالضوء والشعر وشهوة السفر.

أوصيكَ
يبقى الشِعرُ رَقشاً في قميصِكَ كالشهادة
فليكن نقشاً على قداسها.

حجاز

لا تكنْ في مُلوك الحجازِ
ولا تطلب المُلكَ
كنْ خارجاً خارجاً
في الرسائل في ريشة الطير في أوجِهِ
نافراً نافراً
لا تكنْ في أقلَّ من الرمز
أو في المجازِ؟

من الله

لم أكنْ في مكانْ
كانت الريحُ تتتابُني
والقوافلُ تسعى لقتلي على مهلِها
أملك الآن أن أمنعَ الموت عنِّي
لأنِّي من الله
في السرِّ والآلهة.

الحيرة

قلتُ أذهبُ إلى الحيرة اليومَ. أقرأ عليها سؤالاً لا تسمعه، وأكشف لها جرحاً لا تراه. فغداً لن يعود ثمة متسع للسفر ولا مسافة للكلام. فهي لا تعرفني وأنا لا أثق بها.

قلتُ أذهب إلى الحيرة لأمرين:

خمر حاناتها وحبر كتابتها.

قلت أذهب إلى الحيرة لئلا يقال إني تأخرتُ عن إيقاظ الجمر في أوانه. أذهب إلى مملكةٍ سمعت أنها تزخر بِحُرّية العدل. حيث يروى عن ملكٍ هو فيها الأول بين متساوين في شعبه. قلت أذهب. لكي أعرف. لا أطلبُ منهم شيئاً وليس لهم عندي شيء. قلت أذهب إلى الحيرة. إنْ صادفتُ ملكاً يصغي، حملتُ له رسالة الناس.

حرٌ من الإثنين إن فشلتُ وحرٌ معهما إذا نجحتُ.

«المشقّر»

مثلكَ،

برهةٌ أتوجهُ فيها إليك. برهةٌ تشعُّ مثلكَ. شمسٌ متعامدةٌ على سجادة الرمل فيسطع نورٌ كثيفٌ،، على حباتٍ لانهائية. تكادُ لفرط تأججها تنفرز حبَّةً حبّةً. تلك شقرةٌ غامضةٌ ممتزجةٌ بالفضاءِ الملتهب. كان الذهبُ ينهمرُ في الطريق إليك. شغفٌ يغمر المكان. الشمس من أعلى والرمل ينبسط برحابته الصارمة. تلك هي الشقرة الأزلية. تلك البرهة أدركت من أين أخذت هذا الاسم الفاتن الذي استحوذ على حواسي حين قالت لي «وردة»: تثبَّتْ من مواقعَ أقدامك، فثمة بوابة اسمها «المشقر» لابد لك أن تعبرَها ذات يوم، فتعرف

قلت لبني بكر: أذهبُ، على أن ينظروا بحق وردة كما يَعدِون
عدتُ أمْ لم أعُدْ.
قلتُ أذهبُ للملك فالشعر ملكٌ أيضاً
.....
.....
قلتُ ... ،
ولم أذهبْ أبعدَ من ذلك.

أن الحياةَ تستحقُك كلما اكترثتَ بها».
أيها "المشقّر" الشامخ. من أين أتيت وإلى أين ستأخذنا في آخر المطاف.
من أنت ما أنت.
تذرع بنا المسافةَ بين السجنِ والسوق والقصر والحصن وتستعصي على الدلالة.
وقفتْ «الرقلاء» بي وهي تنفثُ رغوتها الفضيّة موجاً طائشاً في أشفارها المتهدلة، ملتفتة ناحيتي لكي أكفَّ عن هذا المسير الطويل المتواصل.
تسأل: «ماذا تريدُ من الصحراء أكثرَ مما أخذت؟»
فيا أيها "المشقر" الشقي، هل نجد لديك مكاناً آمناً نتبادل فيه الأنخاب معك؟ هل أنت معهم أم علينا؟ وهل لدينا خيارٌ آخر في مفازاتٍ تحرسك وتصدنا عنك؟

العنبر

ليس لي من جراحيَ غير هذا الزجاج الذي يتحدَّرُ.
هذي النجوم التي تُنثرُ.
ليس لي أن أُسَمِّي دماً.. فضةً تسكرُ
فاجرحي
واحرقي ..
يَصعَدُ العنبرُ .

ثمة من يجد لذة في كونك الزرد، فنتضرعُ من أجل أن تنبسطَ لمسارنا القلق نحو النزهة والتجارة واختبار الغياب عن الأحباء كلما فاضَ علينا السفر. فأنت في الطرف الرحيم من مضارب البدو وعلى مشارف النجاة من ملوك الحضر.
أيها "المشقّر" الشاهق. ينالك القويُّ ببأسه وتنالُ المطارَدَ ليأسه. أية ذريعة للمصابين بالصحراء أمثالنا، ونحن نسعى إليك مضمَّخينَ بعطر الغضب،
مجللين بتاجِ الشمس، صدرك سريرُ أحلامنا
مثلك
نجمةُ أحلامِنا تسطعُ كلما احلولَكَ الليلُ حولنا
مثلك.

الزفير

وضعتُ لها كتابي كي تراني غائماً
هي امرأة، لها خوفٌ من الإيقاع
فاستثنيتُ في قلقٍ تفاصيلَ القصيدةِ
وهي تنمو في قميص الليل.
أججتُ الغوايةَ كي أفِي بالوعد،
حتى إنها في ذروة التجديفِ مَسَّتنِي بباقي شهوةٍ
بزفيرِ أنثى.
أبلغتْ روحي رسالتَها الأخيرةَ
ثم مالتْ بانعطافٍ،
واشتهتْ وَهَذَتْ،
فأوشكنا نذوبُ لفرط لذتنا

أبٌ مغلوب ومالٌ مغصوب

الصحراءُ ذاتها

التي نالتْ من أبي عندما غادرَ لكي يمتحنَ طاقته على السفر، فاستقرت به الرمالُ في غدرِ الأهل.

لماذا ينبغي على الرجلِ أن يكونَ وحشاً لئلا تغلبه الصحراء، أو يكون ضبعاً ليصدَّ الأهل؟

لم يبق لي منه سوى ريشةِ دم يابسٍ في قميصٍ ممزقٍ، وقطعة جلدٍ عتيقةٍ مثقوبةٍ، مثلَ رسالةٍ تائهةٍ لا تصلُ إلى مكانٍ. أيُّ طفلٍ هذا الذي يرثُ تركةَ لا إرثَ فيها سوى أبٍ مغلوبٍ

تُرى مُتنا قليلاً دون أن ندري
هي امرأةٌ. تسمي غيمَ أحلامي حقيقتها الأثيرة
فانتبه لي أيها المجنونُ بي
زَعزعْ يقيني
يا قريني في كتاب الشك واقرأ في جنوني.

وحقٍ مغصوبٌ. ألهذا كلما وقفتُ عند بابٍ أغلقوه، أو سألتُ عن حقٍ أنكروه، أو طلبتُ طريقاً قطعوهْ. وجعلوني أمضي حياتي شخصاً سَقطَ من سريرِ الكونْ. مائي بلا قدحٍ وطعامي بلا قصعةٍ، ولا نارَ لي، وليسَ للخيلِ رباطٌ في خيمتي. الشِعرُ وحدُه أنقذني من العدمْ. شعرٌ هو الليلُ والنهارُ والمكانُ والوقتْ. وحدُه القرينُ الذي خَصَّنِي بحياةٍ في هذا العالم، ومنعَ عن روحيَ الغيابَ والمحو، وعندما استطاعوا أن ينزعوا مني كل شيء، امتنعَ عليهم أن ينالوا قريني الوحيد. الشعر هو حصنِي القويّ على ضَعفِه، العظيمُ على صغرِه. شِعرٌ هو القلبُ في الجسد، يَصُونني ويصدُّ عني ويصقلُ الأملَ في روحي. يأخذونَ مني كلَّ شيءٍ، فيأخذني الشِعرُ عنهم. ليس أشدُّ من الشاعر في شعرِه. وليسَ أمضى منه عندما

دار اللّه

كنت سّمَيتُ السماءَ دار اللّه
ضاهيتُ الملاكَ بالحلم
لونتُ الدمَ الشريدَ في الوريد
وانتحيتُ خارجَ القبيلة
عارياً من التفسير والوسيلة
جاورتُ دار اللّه كي أراه
فخصَّني بالأبجدية الأولى
قُبَيلَ النص والصلاة.

يضعونَ الغمدَ عنه.
هذا طفلٌ يشبُّ قبل أوانه
وفتىً يَرْقى إلى رجولتِه خفيفاً كمن يسبق أيامَه
قالت: ماذا ستفعلُ بأعمام قتلوا أخاهم؟
عرفت أنها لا تريدني أن أذهبَ إلى القتال، فذهبتُ إلى الشعر. إن حاولوا أن يفعلوا بي ما صنعوا بأبي، فسوف لن ينالوا من القصيدة.
كأني ابنُ القصيدة أكثرَ من كوني ابن العبد
في الشِعرِ ينبغي أن تكون حريتكَ باسلةً.

حجر جامح

لك هذا الحجرُ القديمُ
كتبتُ في نسيانه صاعقةً عابرة. رأيتُ فيه أسمائي بحرفٍ ناقصٍ. شخصٌ ضاقتْ عليه طبيعة النيران، واختبرته آلة الوقت. هديتي إليك
حجرٌ جامحٌ تسندين به قلبك في وحشة الناس. تمحين لهو النسيان وشطرنج الذاكرة.
لك.
من غير ندم على الغياب. وبأجنحة لا تُحصى من معاجم أصدقاء ينتخبون لي السبلَ القصية.
قبل الموت .. وبعده.

حق الوردة

«هل قتلوا أبي حقاً. من أين لهم كل هذا الذي يرفلون به ولا ننال منه شيئاً؟
فقالت له: كنتُ الزوجة «النزيعة» قادمةً من قبيلةٍ أخرى، محصورةً بطفلين تائهين، فاستضعفونا وشحنوا النساءَ والرجالَ علينا. أتقدم في العمر وتتوغلُ في هجائهم، خارجاً على وصاياتهم لا تكترث بحدود مجتمعهم. خرقت سلطتهم. فيرون فيك طيشاً يُجيز لهم حماية القبيلة دونه. فأحكموا حصارَهم بتعضيد أصحاب الجمع والمنع هنا وهناك. لا أحد يطيق الشاعر صامتاً، فكيف إذا كان جهير الهجاء للسلطان. مما جعلهم يستقوون عليك

وصفها

عينان ساهمتان
وبحر السماء رداءٌ لها
للنبيذ الشفيف
لعري البكاء النحيف
لها البدءُ والمنتهى
ليتني في الحرير على شالها
يموجُ بنا الليلُ نرحل مثل المرايا
تسيل إلى الماء والخوف
حتى ننال من الحب ما يُشتهى.

ببلاط الحيرة، في سبيل عدم المسّ بمصالحهم، متواطئين مع ملكٍ لا تعوزه القرائنُ. يَضغِنَ عليكَ ويسعى إلى الانتقام منك.

دمٌ يبكي

لديَّ ما يكفي
عدوٌّ محْدقٌ يختارُ أخطائي ويفتكُ
كلما غنيتُ رَنَّ الخمرُ في أقداحه
ولديَّ ما يكفي
لي امرأةٌ بكى الوشمُ القديمُ على يديها.
فانتهتْ بي ضائعاً
ومضتْ تضلل نجمتي وتدلني بالغيم
لي أمٌّ ستثكلني قريباً كي يقال بأنها:
«يا وردةَ النسيانِ
ينساكِ الفتى وتنالُ منكِ جمرةُ الحسرات»
قالت. وانتحتْ بي في ظلامِ اليأس

مهندس الدسائس

ثمة رواية تقول إن قبيلةَ «بكر» اجتمعتْ على أن تطلبَ من طرفة أن يكون رسولها إلى بلاط «الحيرة». يسعى لدى عمرو بن هند الملك، بالدفع إلى استرضائه، للنظر بعين العدل إلى حال حيِّهم، زاعمين لطرفة أن ذلك من صُلب مهمات الشاعر في قبيلته. وليس من اللائق أن يتخَّلفَ عن ذلك، وعليه أن يرافق المتلمس الذي ظل يقصد بلاط الحيرة منفرداً. غير أن طرفة استنكر طلبَ «بني بكر» واسترابَ في مقاصدهم، وهُم الذين صنعوا به ما صنعوا. فلما أبلغ أمَّه بما يريده القوم. صرختْ برأسٍ محسورةٍ:

لي أختٌ على مرآتِها شجرُ البكاءِ. لعلها تبكي.
لئلا يغفل الموتى عن التذكار
هل يكفي صديقٌ ساهرٌ يمحو الخطايا مثل باب النوم
ينساني ليذكر أنني أنسى وأحلمُ

ربما يكفي دمٌ يبكي
ونفسي تشتري نفسي ونفسي لم تبع نفسي

دمٌ يكفي
أضاعوا وردةً في الريح
ضاعوا نجمةً في الليل.

«يا ويلهم ويا ويلكَ معهم. إنهم يبعثون بك إلى مكيدةٍ دبروها مع الملك، فخذ حذرك من الجميع».

قيل فلم يذهب طرفة إلى الحيرة إلا لاهياً في حاناتها، أو ساعياً لتعلم الكتابة. وقيل إنه لم يزر بلاط الملك. فقد أدرك أن «بني بكر» لم تكن لتريد إنصافاً من عمرو بن هند، وهي من بين أكثر القبائل صلةً بالملك. ولديها من الامتيازات ما جَعلها شريكاً كاملاً مع ملوك الحيرة، في اللطائم التي تجوبُ جزيرةَ العربِ والشامِ بالتجارةِ، الذين كانوا يحكمون ويملكون في آنٍ. ولأن طرفة لم يقصد بلاط الحيرة، اعتبره عمرو بن هند شاعراً متكبراً ينزعُ إلى تمردٍ يصلُ حدَّ الاستهتار. وهذا سلوكٌ لم يعهده ملوكُ «الحيرة» ولا يقبلونه ولا

رؤيا الملك

أمضيتُ هذا النهار بتأويل أحلامه
فمما رآه الملك، شُهبٌ هاوية، وبحرٌ عظيمٌ من الرمل تنداح فيه الخيامُ،
وتنثال فيه الخلائقُ كالطين
مما رآه الملك، ذئبان في غرفةٍ من حجرٍ،
ينقذان البشرَ،
يغسلان الحقيقة بالوقت، حتى يجفّ النهر.

مما رآه الملكُ، شعبٌ يطلق ضحكة الشياطين ويطبق بيد على عنقه المذعورة. ينفضُّ عنه حرسُه ويتركونه وحيداً في قصرٍ مهجورٍ تئزُّ فيه الرياحُ وتمرحُ البوم.
كان عليّ أن أفسِّرَ هذه الرؤى قبل الشمس، غير أن النبيذ لم يتح لي الوقت كي أنهي التأويل.
وهو في الكوابيس لا يزال.

يصبرون عليه. فما كان من الملك إلا أن حرّض «بني بكر» على شاعرهم، وزيّن لهم المزيدَ من الامتيازات والعطايا عندما يستكملون تلفيقَ ما يؤدي إلى النيلِ من الشاعر، بما يشي بأن طلب بني بكر من طرفة الذهاب الى بلاط الحيرة لم يكن سوى مشاركة واضحة في مؤامرة القصر لإخضاع الشاعر.

هل متّ حقّاً

- 1 -

هل متُّ حقاً
هل حياةُ المرء أقصرُ من قصيدته
وهل عبثٌ ولادةُ شاعرٍ
كحياةِ عصفورٍ يرى في الكأسِ بحراً
غيرَ مأمونٍ
وهل غيري يموتونَ ارتجالاً مثلما يبدو؟

إذا قالوا : «تعشْ عمراً ..»
فأين العمر.

قصيدة

وكان إذا كتبَ قصيدتَه ووضعها على جسدِه، يكونُ قد وَضَعَ جسدَه كاملاً فيها. وتكون استبطنته وتقمَّصَها. تدرَّعَ بها مثل خوذةٍ. وتقدم بها. فيبدو كأن جسدَه محجوبٌ عن النظر. محصّن بالكتابة. لا تراهما أعينُ الناس، ولا تصيبهما السيوفُ، ولا تنالُ منهما الرماحُ، ولا يكونُ للزمن سلطةٌ عليهما. يتقدمان معاً. الشاعرُ وقصيدته. متلابسان. متماهيان. يجتازان المسافات. يذهبان إلى التحولات اللانهائية: القصيدة إلى الشعر كله،

- 2 -

كان الهواءُ يزيح أوراقي،
وأكادُ أُنهي آخرَ الكلمات
مَنْ يُكمل قصيدتي الأخيرةَ
كنتُ أوشكُ أن أُقبِّلَ خولة،
وأقيس أحلامي بخيطِ ردائِها
بالكادِ كانَ الضوءُ يوقظني
كما البوح الحميم لقلبها
هل حقاً يموتُ الناسُ قبل نهاية الدنيا
وأيةُ حكمةٍ في الخلقِ إنْ كانَ الفَناءُ بهذه الجدوى
فهل لي أن أصدقَ خالقاً يقضي طويلاً في ابتكاري
ثم يقتلني.

والشاعرُ إلى الكون جميعه،
وهذا ما يجعل الشعرَ عائشاً والشاعرَ حياً.
فلا أحد يعرف حدودَ الشخصِ من حدودِ النصّ.

- 3 -

هل مِتُّ حقاً؟
لا أصدقُ.
كنتُ في باب الحياةِ أهيئُ الأسماءَ للأطفال
أحلمُ أنني مستقبلٌ
وخرافة الصحراء ماضيةٌ
وطيشٌ قادمٌ
فلديّ ما يكفي من الأشعار
بحرٌ واسعٌ.
لو أن هذا القلب ليس حقيقةً
هل متُ قبل الموتِ
هل عُمرُ القصيدةِ قادرٌ أن يبلغ العشرين.

توأم الدم

كلما جاءَ راوٍ زادني شِعراً وقالَ روايةً أخرى عن القتل المبكر
لم تَعُدْ ترنيمةً تكفي لمرثاةٍ
بكتْ زنزانةٌ وتذكرتني شبهةُ الأسماءِ،
هل بيني وبين دمي علاقةُ توأم
هل ينتمي خوفي لمملكةٍ يؤلفُها رواةٌ خائفونَ
هل سينجو شاعرٌ من موتِه

- 4 -

يخلقني ويقتلني
ويزعُمُ أنني عشتُ الحياة.

وهل قَصَبٌ لوراقينَ معتدلينَ فضلُ الكاغدِ الروميّ
كي تحظى قصيدته الوحيدةُ مرة بالمصحف الشَفّافِ والحبر المَطَيَّب
زَعفرانٌ، عَنبر، مِسكٌ.
وراويةٌ له حقُ ابتكارِ الوَصْفِ
هل جاءَ الرواةُ لكي يُسَمُّونَ الكنيسةَ حانةً والبيتَ منفى؟

شطح

ما الذي ينتابني
وينال مني
كلما أرخيتُ شعري في نبيذكْ.

أرى الموت فيها

أتقرّى.
هذه طريقي إلى الموت
تلمستُ أحجارَها
شجرُ الزنزلختِ يسوِّر أخبارَها. فأراها طريقي
أرى الموتَ فيها صديقي
وأرسمُ بالخطو آثارَها

شغف الطين

كلما متنا
اشتهتْ في طينةِ الكلماتِ بوصلةٌ
وشاختْ طفلةٌ
وتباطأتْ لغةٌ
لكي تصفَ اليتامى في انتظارِ الموتْ.

مثلها.
كنتُ أمحو وأكتبُ نسيانَها في القصيدة
تاريخَها
أيها الموت
ألمسُ مثل الحنين المهدَّم
أعلمُ
هذا سبيلي إليك
تقرَّيته موحشاً. شارداً. شاخصاً

بلا آلهة

ليس لاسمي مكانٌ ولا غيمةٌ
لي ألقٌ يضيءُ خطواتي
وتيهٌ سيدٌ. انتهَبَنِي كونٌ يضيع
انتهبتني سُلالةٌ
ويداي فهارسُ الغيب
كلما التهبَ وردٌ في كتابٍ صَعَدَ الحنينُ في الناسِ
كلما بكتْ امرأةٌ جنيناً، احتضنتني قلوبٌ تضيعُ
أسمّي مكانيَ زماناً وأغفو
يداي مشغولتانِ صلاةٌ بلا آلهة.

كنتُ أعلمُ هذي طريقي
أرى الموتَ في ما تبقى من الكأسِ في الرأسِ
هذي طريقي. تلمستها. ضِعتُ فيها
أرى الموتَ فيها.. حريقي.

تركُ الأثر

ذاهبٌ أبعد مما تنالُ الأقاصيَ مني
كأنيّ أمزقُ أخطاءَ روحي أوزِّعها في شهيقِ الضحايا شظايا
بعيدٌ
وفي النفس سيفٌ يغني
سأذهبُ عن عتمةٍ
عن تمائم مهتاجةٍ تطلبُ الدمَ في نجمةٍ حرةٍ
لستُ مُلْكاً لكم. لستُ إلا الصدى والبقايا
سأذهبُ
أتركُ ما يُسْتَدَلُ به خلفَ خطوي
لئلا ينالَ الهدايا.. سِوايا.

شهادة الغائب

نصُّ شهادةٍ واحدةٍ وحيدةٍ. اختلقها المتلمسُ في رواقٍ معتمٍ من الملابسات. لكي يشيرَ إلى مرافقة طرفة له في بلاط الملك. زاعماً أنه لم يكن هناك وحده. رواية هي على قدرٍ من الخِفَّة والخُبث وسوء الطوية. لماذا وجبَ على المؤرخين الثقة والأخذ بهذه الرواية بوصفها الشهادة الناجزة، دون أن يتعثروا بما يشوب أفكارَها ولغتها من الافتراء والمبالغة الخرافية وقصد الإساءة، بما لا يليق بوصف رجل لابن أخته المفترض. فما بالك بوصف شاعرٍ شاعراً آخر. بل إننا نكاد نرى في وصف المتلمس لطرفة باعتباره شخصاً يتخلَّجُ

رسالة

قل لهذا الملكْ
أن يُعَدّلَ في تاجِه المائلِ
عِفةَ السائلِ
قلْ له، وقته شاغرٌ
والرسائلُ ضائعةٌ في الطريقِ
فحراسُه يحجبُونْ
والذي يكتبُ النصَّ
ينسى التفاصيلَ
في يأسنا الماثلِ.

بحركة القيان، لا رجلاً معتداً بنفسه، جريئاً واثقاً في رجولته ومكانته في الشعر والحياة. لكن يبدو لنا فعلاً أن طرفةَ لم يكن هناك،
وأن المتلمس كان قد ذهبَ، إذا كان حقاً قد ذهب، وحدَه. سَعياً إلى العطايا وحدَه. تحَمَّلَ المهانةَ وحدَه. حَمَلَ رسالة الغدر بمفرده. وليس أدلُ على ذلك من أن الرواة قد تناقلوا القول، الذي ذهبَ مثلا، على تلك الرسالة بوصفها «صحيفة المتلمس»، كناية عن ذهابِ المرء إلى حتفهِ بنفسه، ولم تذكر الصحيفة مقرونةً بطرفة وهو الأشهر شعراً ومكانةً، يفترض أنه قد حَمَلَ صحيفةَ القتل ذاتَها. لكن يبدو أن المتلمس قد بَيَّتَ نيةَ الإساءة إلى طرفة، وتصوير الحكاية على أنها قد جمعتهما معاً، لئلا يبدو وحيداً في سياق سَعيه إلى

غربة

أبقى بعيداً عن بلادٍ سوف تهجوني
أبقى بعيداً عن مليكٍ سوف يقتلني
أبقى بعيداً عن بحارٍ عذبُها دوني .

بلاط الملك.

يبقى القول ثانية،

لماذا علينا أيضا أن نقبلَ تلكَ الروايةَ الفاجرةَ بَمَكرِها الخبيث، فنُصَدقَ الرواةَ جميعاً وهم يضعون الشاعرَ في مصاف الحمقى، كما سيسجل ذلك أبو القاسم حبيب النيسابوري صاحب كتاب «عقلاء المجانين».

لابد أن شبكة توافقات عديدة قد شارَكَتْ فيها الأطرافُ المختلفة ذاتِ المصالح المتقاطعة، لتحكم خناقها على الشاعر، وتنفذ قرارات القتل المتعدد المستويات، العابر للزمن، المتنوع الغايات والمآرب.

قُبّرة

شَكَتِ القُبَّرة
عندما فاتها الفَخُ
في المقبرة
وحين استعادتْ توازنها في الكتاب
بَكتِ المحبرةْ .

بحر يحزّ الكاحلين

كلما ضاعوا برملِ ملوكِهمْ رَدُّوا بعكسِ التِيه:
هل قالَ طرفةُ حزنَه المائيَّ
كنا مُسرعينَ. وكانَ جرحٌ. والغبارُ يضللُ الرؤيا
ونحن أمةٌ تَهذي. إذا كانَ السَرابُ يقودُها
هل قال طرفة عن يَدٍ في الليل
عن بحرٍ يَحِزُّ الكاحلينِ

لا تهلك

يقولون لا تَهْلَكْ وهم يفتكونَ بي
وهندسة المهاميز تجتاحني، بالعضلات والفرائص،
حتى إذا ما انتبهتُ لسرب النصال،
ارتبكَ الهجومُ والتفتَ يغيّرُ الآلة بأدوات لا تهلك
في صوتِهم لهجةُ الضواري وعريكة المحاربين
كلما أزَّ سيفٌ لهم فقدتُ شلواً
أتعافى لأرفع جرحاً عن الموت أعرف أنه عبث الأقفال والمفاتيح
اثنان في جسدٍ
يفترقان في نظرتين:
القفلُ للحَجْبِ والمفتاحُ للكشف.
يقولون لا تهلك.

عن المعادنِ وهي تطفو والخدائع تستميلُ الخيلَ
عن سيلِ الخرابِ
عن الكتابِ.
هل قالَ طرفةُ كل ذلكَ دونَ أن نصغي إليه؟
هذا الفتى الفتانُ
كان قرينةً
كانَ الأدلاءُ الذين يؤججونَ غيابَنا يهجُونه
ويَرُوْنَ في أخبارِه عن مَدْحِنا خَوفَ الملوك.

الأقانيم

مما تشتهي الروحُ
ادخرتُ لكم أيها الشعراء فاكهة الغيم
جعلتُ القصائدَ في جمرةِ اللّه. في جنةِ الناسِ
تشعرون بها. رشفة الكأس في نشوة الرأس
أيها الشعراءُ
تخيرتُ للحرف، للكلمات النبيذَ القديم وبجَّلته
من ماءِ روحيَ هذي اللذائذ

أجلتُ موتي وروّيتها.

فيصقلونَ الماءَ في المرآة. نلتهم السَرابَ كأنه أسماؤنا الأخرى
وطرفة يطرق الأرجاءَ
كنا في العَدُوِّ ولا نرى غيرَ العَدُوَّ
كأننا شخصٌ سيقطعُ زِنْدَهُ
هل قالَ طرفة. لم نَعُد في كوكبٍ يجري
فقد شَطَّ الملوكُ بنا
وطرفةُ فاتنا. عُدنا بعكس التيه.

خارجاً مع خولة

أسمّيها انتعاشاً فاتناً في باب أحلامي
شراعاً خاطفاً يهفو
وشالاً أخضراً من لازوردِ البحرِ قدّامي
فلم أزعُمْ
سَعَتْ لي خيمةٌ لتضمني في خدرِ خولة هارباً
وتصدَّ عني السيفَ
يا وحدي. ولا أن أستجيرَ
ولم تكُنْ أوهامُهم في بعض أحلامي
بعيدٌ،
سوف لن يأتيك بالأخبار إلا خارجٌ من ليل أيامي.

الوشاية

رُوِيَ أنه لما طار غضبُ الملكِ عمرو بن هند شَراراً، التفتَ إلى المتلمس الماثل أمامه، يسألُه عن ابن أخته المترفِّع المتمنِّع عن البلاط دونَ سائر الشعراء. ولما كان في سؤالِ الملكِ غيظٌ لم يرحمْ النفس الصغيرة التي ينطوي عليها المتلمس، شَعرَ هذا أنَّه ليس في مقدورِه حمل وزرَ طرفة في حضرة ملكٍ تفجَّرَتْ نيرانُ غضبِه، وليس لأحدٍ الصبر على أسبابه. قيلَ إن المتلمس في ذلك الموقف تشبَّثَ بتلابيبِ كيانِه الهشّ، وصَفَنَ برهةً محملقاً في مَنْ حوله، محدّقاً في الوجوه المسمّرة عليه. ثم استجْمَعَ أشلاءَ روحِه التي بَدَتْ كأنهّا تتفسَّخ

وشمها

فتحتُ لها بابَ قلبي
لونتُ هالاتِ أقمارها
قبَّلتُ وشماً لها
آهِ منِ ليلها.

في مسكنها، وتتحدَّرُ من بدنِه. ثم بدأ ينهضُ من جثوتِه ببطءِ المذبوحِ كمنْ عزمَ على أمرٍ ذاهبٍ به لا محالة. وما إن اكتملتْ وقفتُه وخرجَ من صفنَتِه، استدارَ على عقبيه دورةً كاملةً، ماسحاً بنظره الوجوهَ الشاخصةَ، لكي يصلَ أخيراً بعينين ذاويتين إلى الملك، الذي كان يرقبُ من مكانه لحظةَ التحولات العنيفةِ، التي كان المتلمس يكابدها بقدرٍ محسوسٍ من العويل المكتوم. فيما يكمل دورته، كأنه يريدُ أن ينتقلَ بكاملِ كيانِه وحواسِه، من كوكبِ الشعرِ إلى حضيضِ الوشايةِ، مستعيناً بأقصى ما يمتلكه من فذلكةِ الطهاةِ الدهاةِ، وهُمْ يُولِمُونَ بأقربِ من يَحِبّونَ في مائدة أقصى مَنْ يَرهَبُونْ. ورُويَ عمَنْ جاوَرَ موضع المتلمس في تلك الوقفة، أنه سَمعَ ما يُشبُه صوتَ زُجاجٍ يتهشَّمُ، صادرٍ عن جسد المتلمس ويتحَرك

متلمس

كذَبَ المتلمسُ
لم أرافقه إلى قصرٍ ولم أمدح بلاطاً
ربما ضعنا معاً
كان النبيذُ نديمنا في الليل
كنتُ مؤرقاً
متلمس الأوهام كان مُخالِطاً
يَرعى ضغينته وينسى كأسَه المكسور
شخصٌ خائفٌ
ويسير في قوم مضوا
يستنوقون جِمالَهُمْ ويَشُونَ بالأسرى

حوله، في حَتٍّ وفي شظايا، وأن صَريراً انبثقَ لحظتها من أعطافِه، يُضاهي صريخَ الكواحلِ منحولةً بفعل صليلِ أصفادٍ باهظةٍ حول العظام البشرية، وقيل إنَّ بعضَهم سَمِعَ المتلمس يكتمُ صوتاً غريباً هو مزيجٌ من النحيب والتضرُّع، فيما يُخرِجُ رقعةً مُهَلْهَلةً من ثنايا قفطانه ويرفعها في فضاء الأحداق المترقبة، كمن ينشر أرشيفاً حائلَ اللون والطبيعة، متوجهاً بجماع حضوره إلى الملك:

«مولاي، لا أعرف كيف تكترثون بشاعرٍ مثله كل هذا الوقت، وهو الذي قالَ فيكم وفي آلِكم ما تمنعني الخشيةُ من مجرد ذكره في حضرتكم».

فهبَّ الملكُ ناهضاً في تخته:

أرى شخصاً مضى يمحو كتابي مرةً أخرى
ويمحوني. فلا أصغي إليه
متلمسٌ يروي كما يحلو له
وله الرواةُ وجنة الهذيان حين يَفرُّ من غدرِ الملوك
متلمسٌ،
يحتاجُ درساً في السلوك.

«لا تخفْ. أخبرنا بما لديك، فالكلامُ كلُه مهما ارتفع لا يصلُ إلى كعبِ هذا العرش».
انتفضَ جسدُ المتلمس برهةً، وأغمضَ عينيه وهو ينفصل عن لحظة المكان وحقيقة الأمر.
منطلقاً في حالٍ من الهذيان والغفلة:
« يا مولاي، انه يُخادِنُ ضدَّكُم الصعاليكَ قراصنةُ البرِّ ويستقوي بهمْ عليكم. ولديَّ في هذه الرقعة ما يمحق القائل».
فاستعاد الملكُ مقعدَه كمن يتحصَّنُ لمواجهة الكلام:
«اقرأ.. ولنسمع».
طفق المتلمس يقرأ كأنه يطلقُ نواحاً يرثي نفسه. مرتعشَ الفرائصِ لفرط الخوف. خوفٌ

مجرة

سافرتُ في غيم الفرارِ
جناحيَ الناريُّ شِعري
فانتهيتُ مجللاً بالثلج في ليل الغرابِ
وطوحَتْ بي شهوةٌ في سلسبيل الموت
غامضةٌ
كأنَ مجرة منسية تصحو على صوتِ العذاب.

يتجاوز الملكَ والبلاطَ والجندَ والعسسَ والكوكب برمَّتِه. فخشيةُ الواشينَ في موقف الغدر تتجاوز المكانَ وتعبرُ الزمانَ. راح المتلمس يتلو أمام الملك ورجال البلاط ما تيسَّر له من سورة الغضب التي تنتابُ كلَّ شاعرٍ يشهدُ على الدم في الناس، وهي قصيدة ذاعَ صيتُها في البدوِ والحضرِ.. يهجو فيها طرفةُ عصراً كاملاً ويمدَحُ البحر جميعه.

أصدقاء القمر

أيها الأصدقاء
عندما تكتبون ليَ الشعر قبل امتداح القصيدة
لا تغفلوا عن دمي
ربما تطفر الخمرةُ في كأسكم، ويروق لكم،
أن تروا في القصيدة مخطوطة في كتاب السفر
أيها الأصدقاء الذين ستحلو لهم ليلةٌ حول كأس السهرْ
لا تغفلوا عن فمي
كلما حاولَ الغادرون استعادةَ شِعري لتأنيبِ أحلامنا،
ومديحَ الحجرْ
أيها الأصدقاء انتهيتُ. انتشيتُ.
وطار بي الشعرُ
لم يبق لي غير ظل القمر .

الذريعة

قيل،
فلما استحكمتْ حلقات طرفة عن يدِ عمرو بن هند ولم يطقْ صبراً عليه، وتيقنَ أن شاعراً مثلُه لن يمتثلَ لسلطة ملكٍ مثلَه، ولن يسكت عليه، ناهيك أن يسعى إلى مديحه، اجتمعتْ لدى الملك الأسبابُ التي تجعله يرى في الشاعر المتمنع عن بلاطه خارجاً عن كل سلطةٍ وكل عُرفٍ وكل قانون. فلكأن عمرو بن هند يرى في الشاعر سماءً بعيدة عليه، لا يطالها ولا هي تنظر إليه.
قيل،

هاوية

لم تكن الهاوية،
غير الدرج الحر نحو الأقاصي
امشي، يدي تشخص في خشبٍ يتهرأ،
وينقطع ويتلاشى
بدتْ الهاوية. أبعدَ
أبعدَ مما يريدُ الغبارُ
سديمٌ ونارٌ
كأني بها نَعَمُ النافية.

بعد أن اطمأن الملك إلى أن قوم الشاعر يستبعدون عنه، وأن قبيلته وأعمامه ضاقوا ذرعاً بسلوكه المتحرر، الذي يشيعه في الناس ويجتذب إليه الفتية ويسحرُ به الجميع، وبعد أن أصابَ مقتلاً بعدم مرافقة المتلمس إلى بلاط الحيرة، اعتبر الملكُ ذلك قمةَ الاستخفاف ونقضاً لاحترام المقام وشذوذاً عن شعراء ذلك الزمان.

قيل،

وكان من عادة ملوك الحيرة أنهم نَهّازونَ للفرَصِ، واستغلال الخلافات والمنازعات الداخلية بين أحياء وقبائل البحرين، في سبيل توطيد سلطة بلاطهم وتمكين سطوته في هذه البلاد.. «فالشعر من وسائل الخدمة السياسية التي استعان بها ملوك الحيرة

يا نصف أمي

مازلتَ تولغُ مثل ضبعٍ في دمي
يا نصفَ أمي
كيفَ
من أينَ استقيتَ الويلَ قبل الخيل
سوفَ تنالك الصحراء حتى تندم
فإذا سعيتَ بأرضِ «بُصرى» تستجيرُ وتحتمي
تنتابك الحسراتُ
شِعرُكَ شائكٌ
ويداكَ ضارعتان
مثل محاربٍ لا ينتمي
مازلتَ، والدمُ شاخبٌ في شاربيكَ، تلغّ في قتلي

في بسط نفوذهم في جزيرة العرب» (حسب جواد علي في «مفصل تاريخ العرب قبل الاسلام»).

ولم يفوّت عمرو بن هند ذلك لكي يحكم قبضته فيهم وتحقيق نيته المبيتة في التنكيل بطرفة بأيدي قبيلته وأدوات قومه. حتى قيل إن أعيان قبيلة «بكر» قد وعدتْ الملك أنها ستعمل على دفع طرفة لمرافقة المتلمس للقدوم إلى القصر.. وهي القبيلة التي عُرفَتْ باعتدال صلتِها بالحيرة، وميلها إلى التفاهم والمهادنات مع الملوك اللخميين والتواطؤ معهم، حتى قيل إن طرفة هو الاستثناء الأبرز في «بكر» لمعارضته سياسة عمرو بن هند، الأمر الذي سيشكل الشذوذ المحرج للبكريين في علاقاتهم التقليدية مع الملك، إذ إن أول

وتنسى أننا في الليل والحانات
في كأسين يصطفقان مثل العلم والمتعلم
من أين جاءتكَ الشجاعةُ واخترعتَ رسَالةً أخرى لتوصي الموتَ خلفي
كلما لفَّقتَ شِعراً لَفَّكَ العارُ الطويلُ
عَلِمْتَ أمْ لمْ تعلمِ
مازلتَ فاشربْ
ليس في الشعراء ما يرويكَ
أن تسعى إلى كأسٍ وتطلبَ خمرةً
سأموتُ حراً في نبيذي
كلما تهذي تسفُّ الرملَ..
حتى تهرم.

ما سيُضربُ في تلك العلاقات هي المصالح التجارية لشيوخ البكريين، وذلك لما يعرفُ عن ملوك الحيرة من أنهم عصب التجارة، حيث تجوبُ لطائمُهم أرجاءَ جزيرة العرب والشام.

قيل،

إن طرفة كان يعي كل تلك الملابسات التي ستكون ذريعةً لقبيلته من أجل التنكيل به. فلم يزده ذلك إلا رفضاً للامتثال لصلف عمرو بن هند ورغبته الجارفة في اضطهاد أهل البحرين، التي ستكون الهدف الدائم للاستغلال والاضطهاد والظلم وإهانة الشعراء وتكريس امتثالهم.

فصاحة الطين

خُذ يا أبي باقي القصيدة واعتبرها جنةً
فلقد ذهبتَ بغفلةٍ وتركتَ لي هذا الجحيم
خُذْ يا أبي شجرَ الأراك
لكي تُصدقَ أنني أحيا وشيكَ الموتِ بعدكَ
يا أبي خذني لغربتك الشريدة وانتظرني
ثمةَ الماءُ الشحيحُ وقصعةُ السجانِ
والطينُ الفصيحُ يَصُبُّ حنجرةَ الغناء
خذْ ما تيسرَ من رمادي
ريثما أُنهي قصيدتيَ الوحيدةَ آيةً
مُتْ مرةً
واتركْ تفاصيلَ الهلاكْ.

قيل،

فبعث عمرو بن هند والياً جديداً على البحرين يدعى «عبد هند» ليكون عبداً فعلياً يحكم بما يمليه عليه «عمرو بن هند» لكأن الاسم هو أيضاً جزءٌ من تأثيث الأسطورة بما يستقيم مع دور الشخص في الحكاية. فيكون خبرُ موتِ الشاعر متحققاً بأبطاله المعينين، اسماً وفعلاً، بالصيغة التي تمنح الأمر أسطوريته الخاصة. وقد جاءَ والي البحرين الجديد بثلة من الجند المدججين المكلفين بتولي مهمة الفتك بالشاعر.

قيل،

فلم يكد «عبد هند» يصل إلى دار إمارته حتى بعث بالعسس خلف طرفة يتقصّون عنه

"الرقلاء"

ترغو

كأن حنينها بيتٌ وجوقةُ ظاعنينَ
تؤبِّنُ العطشى وهُمْ يروونَ عن رملٍ غريبٍ
وحدَهم.
ترغو، غناءُ الماءِ في الصحراء
في أقدامِهم مؤنُ الضحايا
وانحسارُ الليل عن بعض النهارِ
رأيتها. عنقاءَ ترغو
سَمِّها الرقلاءَ. أو سَمِّ البقايا باسمها
لكأنها أختُ انتظاري
وارتحالي ضائعاً أحدو بجوقة ضائعين.

ويطلبونه. فعرف أنه يعود كل يوم آخر الليل بعد سهرته مع رفقة القصف والمتعة، فترك الجند يذهبون إليه قبل الفجر ويأتون به مقيداً بالأغلال إلى سجن الولاية. وزيادة في الحيطة بعث بصاحب السجن شخصياً منذ منتصف الليل لكي يشرف على تنفيذ أمر القبض.

قيل،

فلما حاصر الجند الدار في ذلك الليل، ووقف كبيرهم يطرق الباب منادياً على طرفة أن يخرج، إذا بفتية يزيدون على العشرين يخرجون من الدار معلنين أنهم جميعاً يدعون طرفة. بوغت الجند وقائدهم بالأمر. وبعد تردد لم يجد بداً من أن يقود الفتية جميعهم إلى دار الإمارة، معلناً للوالي أنه لا يعرف على وجه التعيين أي طرفة فيهم المقصود بأمر

اِبن الوردة

لم أكنْ في مكان
أنا في التحول
في مشتهاة الأقاصي
بعد المدى والفصول
إن يكنْ مقتلي يقظة
مُنِحَ الكشفُ لي
تهجيتُ بالأبجدية شعباً
تخطيتُ بابَ الزمان
ولونتُ ماء الأصول.

القبض. وأن على الملك أو أصحاب الأمر ممن يعرف طرفة أن يختاروه من بين العشرين طرفة المتقدمين.

قيل،

فأدرك صاحب السجن المكلف، بأن ثمة من هم على أهبة الاستعداد للدفاع عن طرفة والذود عنه وتحمّل العقاب فداء له. افتر ثغره عن ابتسامة رضا مكتومة متخففاً من شعور الوحشة في هذا الموقف الصعب. ثم أخذ يجول بين الفتية كمن يستعرض كائنات أليفة، مستعيناً بصلابتها على اجتياز ما هو فيه. فإذا بطرفة يبرز من بينهم مبتسماً متوجهاً إلى صاحب السجن:

مَسَّني رَجَزٌ

(دفتر النساء)*

* نساء وردن في حياة طرفة وشعره.

- على الملك أن يعرف ماذا يريد. أما أنا فقد عرفت، فماذا تريدون مني؟

فقال له صاحب السجن:

- أنت تعرف أيضاً أننا لا نريد منك شيئاً، إنما هو الملك الذي يريد. وهذا أمر بينك وبينه. فالملوك لا يطلبون. إنهم يأخذون فحسب.

ضحك طرفة وأشاح بيده قائلاً:

- فليأخذ عمرو بن هند ما يريده من طرفة، واترك هؤلاء الفتية يذهبون. إنهم لأحرار هذه اللحظة أكثر منا.

قال صاحب السجن:

«عددنـــــا له ستاً وعشرين حجة
فلما توفاها استوى سيداً ضخما
فجعنا به لما رجونا إيـــــــــابه
على خير حـال لا وليداً ولا قحما»

الخرنق

– جاء الفتية بمحض إرادتهم، ويذهبون متى يريدون. الملك لا يريد أحدا سواك.

قيل،

فلما دلف طرفة داخل السجن كان الجند لا يزالون يقفون مثل القيد المحكم خارج السور.

فقال طرفة لصاحب السحن: «ألن يفك جندك حصارهم ويذهبوا إلى راحتهم. ألا تطمئنون لشخصٍ جاءكم بقدميه؟ هل يريدون أن يأخذوني إلى الملك أسيراً؟»

قال صاحب السجن:

– لقد بعث الملك والياً جديداً ليعمل على أمرك.

فرد طرفة:

الرباب

- 1 -

كلما مَرّ بي
مَسَّنِي رَجَزٌ
وارتجَّ إيقاعُ روحيَ
وارتعشَ الوترُ النائمُ،
.. ..
رجلٌ ظالمُ

«إذن لتمنح الجند راحةً للنوم، ثمة كوابيس في انتظارهم.
جلسَ صاحب السجن على أريكته وطلب من طرفة الجلوس ريثما يجهزون له الزنزانة».
قيل،
مرّت الدقائق طويلة ثقيلة. الاثنان ينظران إلى بعضهما دون أن ينبسا بكلمة. إلى أن كسر طرفة جهامة الصمت:
- والآن. ها أنا بين يدي سلطتكم، ماذا تريدون؟
قال صاحب السجن:
- إنه الملك.

- 2 -

غيمتي في متاهات أخبارِه ضائعة
أتقرّى تفاصيلَ طقسِ احتمالاته
أولَ الليل
وهو يُحيلُ انتظاري
على شمسِه الراجعة

قال طرفة:

– إن خضوع مثلي لمثله أمرٌ إذا جاز له فهو لا يليق بي. وإذا قبلته فلا يغفره الشعراء لي.

فنهض صاحب السجن بتثاقلٍ واضحٍ كمن يحمل الجبال على كتفيه:

– لو صح للسجان أن يختار سجناءه، لتخفف من مشقة حبس نفسه في قيد هو الجحيم بعينه. لكأنك تدرك أننا مكلَّفون بما يسحقنا.

فوقف طرفة ينظر إلى صاحب السجن ملياً كمن يريد أن يخفف عنه عبئاً بات محسوساً.

ثم اتجه ناحية نافذة تطل على باحة السجن:

«يهجو شاعرٌ ملكاً، فيذكرون الملك بهذا الشعر. ويقتل ملكٌ شاعراً فيعرفُ الشاعرُ مقتولاً

- 3 -

كلما مرّ بي

....

....

نَهضَ الحُلمُ والحالمُ

بالملك. على عمرو بن هند أن لا يغترّ بهدر دمٍ ليس للنسيان».

رجلٌ غائمٌ،

....

ربيتُ أخطاءَه

وانتخبتُ النشيدَ له

وانتظرتُ

تجرَّعتُه مثلَ جُرح الجناح

تقمَّصتُ أسماءَه

كي أجاري البكاءَ الذي نالني

....

مثلما يفعل الكوكبُ الهائمُ.

فذلكة الرواة

ومما نستخلصه من توارد الروايات المختلفة، المتناقضة، التي هي أقرب إلى الخرافة الساذجة منها إلى النصوص الموثقة، والتي تبدو في معظمها ارتجالاً بيِّناً اخترعه حَكّاؤون يَصْدُرون عن ضَعفِ صلةٍ بالتاريخ وفقرٍ في المصادر من جهة، أو أنهم يتميزون بخفّةٍ لا تليق بجدية الشخصية الأدبية وجذرها التاريخي من جهة أخرى.

ومثل هكذا سلوك سوف لن يعبأ بتماسك التاريخ في النص وموضوعيته وصدقه. بل غالباً ما يلجأ إلى اختراع الأشعار ونقلها على لسان الشخصيات من أجل تلفيق عناصر

- 5 -

كلما مرّ بي
سَلَّنِي سَيفُه الصارمُ
... .
....
وَجَلٌ عارمُ.

رواياته بنصوصٍ توحي بورودها على لسان الشاعر. وهذا ما لاحظناه في غير قصيدةٍ من المنسوب إلى طرفة والمتلمس. حيث تراكمتْ أشعارٌ تؤثث حكاياتٍ مفككةٍ تسردها الروايات المتواترة، ويتداولها الرواة، كما لو أنها الحقيقة الناجزة في تاريخ الشاعر وسيرته. في حين أن هذه الروايات، التي تشي بالتناقض وعدم الانسجام، لا مرجع تاريخياً موثوقاً تصدر عنه، ولا معلومة أكيدة تدعمها، سوى تلك العنعنات التي تتناسل وتتناسخ بأقوالٍ على ألْسِنةٍ ركيكةٍ واهية الحجة، أمتعُ منها أقاصيصُ العجائز الخرافية.

من بين مجموع ما وصلنا من أشعارٍ وروايات عن طرفة، ثمة الكثير الموضوع لغاية واحدة فحسب، هو أن يكون كل ذلك سنداً لفصول ووقائع مختلقة ضعيفة لا مصداقية لها، عمل

هِـرّ

سمعتُ أن له حصةً في العذابْ
فشاطرتُه النصَّ
حتى حدود الضبابْ
رأيتُ القبيلةَ تخلعه
فارتديتُ له قمراً يستدلُّ به
ومَحوتُ الغيابْ

كتبتُ احتمالاته
ثم أصغيتُ للنادبات
يؤرِّخنَ بالدمع شخصاً
سمعتُ بأنَ له سورةً في الكتابْ

الرواة على اختراعها لاستكمال مروياتهم الخيالية المتصلة بالأسطورة المرتجلة. أكثر من هذا، سنجد بعض الرواة قد اخترعوا شخصيات ذات تفاصيل أسطورية ساذجة للغاية ذاتها. وليس أدل على ذلك من شخصية المتلمس التي سوف يحيطُ بها الشكُّ والقلقُ في غير موقع وفي أكثر من جهة. فمثلما كان لامرئ القيس خالٌ اسمه «المهلهل»، أظهرت الرواياتُ صلته بالقصص الشعبية ليكون جزءاً من تراث الأساطير الشعبية المشهورة (الزير سالم)، سوف نصادف، منذ اللحظة الأولى لحكاية طرفة، شخصية خاله المتلمس التي سوف تتشابه مع شخصية «المهلهل»، مع بعض الاختلاف في درجة الأسطورة. سوف نرى، مثلاً، المتلمس يعود في النهاية إلى بلدته «بُصرى» بعد أن هجرها

هداني له العشقُ
والشوقُ والقلقُ المستذابْ.

سنوات طويلة، ليجد حبيبته، ليلةَ وصوله بالذات، تتزوج غيرَه، ولنجد أنفسنا إزاء مشهد درامي بالغ السذاجة مستخفاً بعقل القارئ، من جانبه التاريخي، إذ نقرأ شعراً يتبادله المتلمس مع حبيبته وزوجها الوشيك، الذي سيتنازل بدوره عن زوجته لكي تكتمل الحكاية بلقاء الحبيبة وحبيبها المتلمس الذي ظهر فجأة في ذروة الحدث. مثل هذا المشهد من شأنه أن يدفعنا إلى عدم الاستهانة بالتوقف المتشكك الذي ساقه بعض المؤرخين المتنبهين حول أصل شخصية المتلمس برمتها. حيث لم تكن هذه الشخصية طوال سيرة طرفة سوى عبء موضوعي وعنصر دخيل في حياة الشاعر، ومدعاة لمواقف الحرج المركّب على الصعيدين التاريخي والأدبي، منذ لحظة الشكّ الأولى في حقيقة مرافقة طرفة للمتلمس

خولة

كنتُ قبَّلتُه
وهو يمحو هوامشَه في القصيدةِ
كنتُ تعلقتُ حتى خيوطِ القميصِ
لئلا يغادرَني بغتةً
كنتُ في نشوة النص،
والشَّرَر المستثار
يؤجِّجُني
والكلامُ الشظايا
هدايا مؤجلةٌ لا تُطالْ
كنتُ أنهالُ في ظلِه
وهو في هامشِ الانتحار

إلى بلاط الحيرة، حتى الرسالة المزعومة التي ارتبطت شهرتها بالمتلمس وليس بطرفة.

قال: «يا أولَ النص...»
ثم انتهى ... وانتهيتُ
قبيل النهار.

سلمى

سأسهرُ في بهو انتظاراته
سوف يأتي
ويغمرُني بالذهبْ
ذهبٌ هاجِرٌ
كلما جاءني
يستبدُّ العجبْ.

الذئاب في جلالة الحزن

(فصل التحولات)

«لَعَمْرُكَ إنَّ المَوتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى
لَكَ الطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَـاهُ بِاليَدِ»

طرفة

الذريعة

أَصلحْ غموضَكَ،
سوف تذهبُ سادراً في الغيم. لا سفر سواك إلى مواقع أهلنا الماضين. لن يفهم غموضَك مستجيرٌ بالأدلاء الرماة.
أصلحْ غموضكَ،
كنتَ في بيت الندامةِ قبل أن يأتي صهيلُكَ مستثاراً بالرسائل. قبل أن يروي لهم «حمّادُ» تسليةً فيعتقدونْ.
هل كان الغموضُ ذريعةً يبني الرواةُ بها تفاصيل الهواء ويؤمنون بأننا متنا قُبيلَ أواننا.
أصلح غموضَكَ،
لا تدع نجماً يفوتك
لا المعاجم تدركُ المعنى، ولا الكتبُ الصقيلةُ
لا نداماك انتهوا في حانةٍ،
لا جنة تؤويكَ
خلفكَ إخوةٌ تبعوا خطاكَ
ونحوك المعنى يضيع مشرداً،
أصلح غموضك.

تجليات الياس

هل غادرَ الشعراءُ ميزان القصيدة مرة أخرى
تريثْ واتعظْ واسألْ
ولا تغفلْ عن الشعراء حين يرون في بهو السراب حديقة الدنيا
فثمة فرصةٌ لليأس كي يُخفي دلالته ويسعى بالقصيدة نحو باب القصر
ثمة لحظةٌ كونيةٌ في منتهى التأويل
ثمة شاعرٌ يهوى
يَشُطُّ بآخرِ الأسرى ويزعُمُ مرةً أخرى
بأن بداية المعنى ستكمُنُ في المعاجم.. مثل كهف الله
تنتاب القصيدةَ وحشةٌ في لحظةِ التكوين
حرفٌ تائه في الأبجدية
والكلامُ مؤثثٌ بالهجر
والشعراءُ ينثالونَ مثلَ قبيلةٍ تمحو سلالتَها وتنقرضُ احتفاءً بالنهاية
مثل تقدير المسافة لحظة القاموس،
بين القلب والنسيان.
تريثْ واتعظْ واسألْ
ولا تغفلْ عن الشعراء وقتَ الموت
ينتبذون أقداحاً، ويبتكرون ما يُفضي إلى بيت السلالة
نزهة الذكرى
ولا تغفلْ. تريثْ مرةً أخرى
ستكتشفُ الدلالة وهي تسعى بالقصيدة جوقةً سَكرى.

آية النساء

في انعطافتكَ الأخيرة،
خارجاً من حلمك الفاتن مندفقاً بعنفوان انفعالك الكثيف، ابدأ قصيدتك بالجمل الناهضة ذات المطالع المهتاجة. أطلقها بالحروف الجهيرة وكلمات اللهب ساعة اليقظة. اصقلْ زجاجَها بحفيف الشهوة. تهتاجُ نساءُ النص ويتشبثنَ بذيل ردائِكَ وأنت في غيوم اللغةِ في بهو الكتابة مستعداً للهطول الماجن في طين القصيدة. هطولٌ يهيِّجُ مواقع أحزانك. أرخِ لفَرَسِكَ أن تنتفضَ بعرقك الغزير على مرأى قوم يتوقعون وقوعك. يتلُونَ وصايا زوجاتهم وهُنَّ يغسِلنَ قمصانَهنَّ في عطر الليل، ولا يحفظ ذلك غير الشعر.
دَعْ لقصيدتك أن تكترثَ بنساء الفتنة، لئلا يستفردَ بِهُنَّ رجالٌ مستوحشون بالدفاتر السود والحبر الأبيض. وحين تبلغ المستضيق الثاني من قصيدتك انهرْ، بأكثر الكلمات جرأةً، مخيلةَ الفتية العاطلين في تجاعيد الخيام، وافتح نار أرواحهم على هشيمك. ودَعْ قوافيك تفي بوعودٍ يكتنز بها غيابُك الغامض.
تلك هي انعطافةُ قصيدتك المنتظرة ذات القوافي المذعورة. المنهوبة من أكثر المعاجم نعومة وسرية وشهوانية. منطوية على منحنى اللغة وتحولات المعاني وخسارة الدلالات. تكتشف، مثل بغتة المنجم، البرقَ الخاطفَ في الكلمات وهي تتحرَّرُ وتَشي، بما لا يُدرك، ساعيةً إلى ما لا يُنال،
إرخها،
اجعل القوافي لا تختمُ كلاماً ولا تصدُّ صورةً ولا تكفي لاستعادة الأنفاس.

ليس لها دليلٌ تعرفُ به الطريق. قوافٍ تأسرُ شغافَ الفتية وتغرِّر بالنساء وهنَ يأسرن رجالهنَّ بغوايات وتآويل تأخذ القصيدة نحو المهاوي.

تلك هي شرفة أحلامك.

ترى منها الكلمات في هيئة قطاةٍ تتدافعُ متسارعةً لئلا يفوقَها مكانٌ شامخٌ في النص.

القراءات

سأرى في المرآة سبعَ قراءاتٍ
أنسى فيها النحوَ وصرفَ اللغة الفصحى وهي تشفّ عن الحجر النائم.
سبع قراءات هامَ التأويلُ بها في الجَرح وفي التعديل، ليرسب ماءُ القلب
بقاع الماعون
يشطُّ القراءُ بأهواء النص
يَشِذُّونَ ويُغوون الخطّ بسحر الصوت
أراهم، مثل النقش المُسند في الحجر المنسيّ.
غبارٌ سبعٌ. ويضاهون أمامي
أكثرَ من سِرِّ الشعر وأقصى ما ينتابُ الحقَّ من الشكّ
كأن قراءات اللّه معلقة في غيم القلب
كأن رواة طاشَ الوجدُ بهم،
فتقمصهم جِنٌّ يقرأ سبعاً يقرأ تسعاً.
حتى كاد النصُّ يفيض عن الماعون
ويُفرِطُ في التعليل
أرى التأويلَ يقول:
«قرأتُ على سبعينَ اختلفوا..»
سوف يُجَنُّ الشعرُ، ويهذي عربٌ.
ينتابُ اللّه كتابٌ يختلفون عليه.
سبعاً عشراً
وأرى مرآة الرمل زجاجاً ينسابُ أمامي
ها قد قُلتُ كلامي.
ورأيتُ قراءات الماضي قُدامي.

معلقات

أسيرُ في المعلقات
أسير في سديمها
في الغيم
مما ينتهي فيها
ويبتدئُ.

وجد

كلّ هذا الظلامِ الذي يسبق الموت
هذا السديمِ الذَي يفضح الخلق
نهران
من أين جئتهما
يسألان انتظارات روحي
نهران. خطان للنهاية والبدء
من أين. من أين غيمٌ وغيبوبةٌ
كلما تاهَ بي هودجٌ،
تيقنتُ أني إلى اللّه.

ذئاب

- 1 -

لولا ذئابُكَ وردةُ الميزان، شرطُ الشاعريةِ
فاضت الأحزانُ
لولا جنةُ الأهواء بين الخمر والغيرة
أضحينا بلا عنوان
وانفضتْ بنا السيرة.

- 2 -

لولا كتابك لانتهتْ أخبارُنا وارتدَّ سهمُ الشعر
ضاعَ بريدُنا
وبقيتُ حلماً شاهقَ التأويل
فاستعصتْ علينا حانةُ الحيرة.

وشم وردة

أيتها الكيمياء التي ابتكرتْ إثمداً من ذهبْ،
ما الذي جُنَّ بي كي أرى جنةً في اللهبْ؟

بدأ الخلقُ بي
بدأتْ خولة
وشمُها يَكشفُ المحتَجَبْ..
شجرٌ ناعسٌ
غصنُ ريحانةٍ
خضرةٌ. شهوةٌ
يقظةُ الكيمياءِ الجريئةُ في مستحيلِ العجبْ
خولة حرةٌ وتغرر بالمشتهى
بالعناصر في حلمها المرتقب.

وشم خولة

إبرٌ ناعمة
إبرٌ نائمة
إبرٌ حالمة
تقرأ في الجرحِ ما يستعيدُ الحروفَ الصغيرةَ في الكتب الغائمة
هكذا تبدأ الذكريات
كأن الحياة طريقٌ إلى القتل أولُ أحلامه خاتمة
إبرٌ سوف تغزل أخبارنا بالحميم من الدم،
بالسرِّ في العين،
بالمنتهى وهو يبدأ،
بالمستثار من الخضرة العارمة.

وشم طرفة

كلامٌ يؤلف ألوانه بالخفيِّ من الموت
من فكرةٍ
من بلادٍ تقايضُ أحلامَنا بدمٍ ناعم
من دخان القناديل، من نيلجٍ، من ظلام
كل هذا الكلامْ
بكاءُ النساءِ الوحيداتِ في الليل يغزلن أخبارنا
يكتبن أسماءنا،
ويتركن في البيت آثارنا الباقية
أيهذا الكلام الذي قَبَّلَنا
كيف ألَّفْتَنا
في العصيِّ من الموتِ
في فكرةٍ نائية.

معجز الذئب

ذئبٌ مثلك الآن يؤدي دوره في معجزات الغاب
أشجارُ الغموضِ البيض تغريكَ بأنْ تبقى،
ففي بعض الغموض حصانة تغنيك عن غاباتهم
حرٌ وحيدٌ. فاقدٌ مفقودْ.
ذئبٌ مثلك الآن، انتهى في قاعة الأحزان، باعَ الدمعَ واختارَ المهرّجَ
سيدٌ في الجوع، فيما يولمون.
لمَ الجنونْ
الَذئب ذئبك
إن تعفَّفتَ استداروا
درسك القاسي لنفسك. ربما انصاعوا لقانون الغيابِ
الغابُ أوسعُ ما يكونْ
إذا أردتَ الكفَّ عن جرح الكتابة والكتابْ،
فكلهم كانوا ذئاباً في جلالة يأسهم
وَرِعُونَ يرعَونَ انتخابَ عدوّهم
فأَصابهم سأمُ السلالة وانتحارات الضباب
ماذا تريد من الكتابة واحتمالات الجنون
فهارس الأسماء، بعض الماء
يا الذئب الحنون
ماذا جنيتَ الآن من بيتِ الغموضِ:
جرحاً راعفاً، عرش الضحايا، هامشاً في المتن
هذي غابة. ماذا تريد
الذئب ذئبك
فانتخب أقداحَه وجراحَه واصبرْ عليه.

جنّة الفرار

لم يبق لي في هذه الصحراء غير الظل في شمس الظهيرة
شاحبٌ وفرارُ أشباحٍ ورحلتي العسيرة
لم تبق من حبل الخيامِ وسيلة
لأشدّ ظهرَ الخيل
وهي تطيرُ بي مذعورةً تهذي كأن لجامَها وترُ المسيرة
ضاقت وسيعتهم على روحي
وطاشت عندما خَصُّوا بها من لم يُصِبه الجرحُ في حربِ العشيرة
فرَّتْ خطايَ وجُنَّت الصحراء بي
فتناهبتْ إرثي قبائلهم. ونالتني ذرائعهم هنا
واستفردوا بي كي أرى في مستحيل الموت جنتي الأسيرة
صحراء تزدردُ المدى وتباغتُ الأحلامَ
تفتك بالذي يصحو من الليل الطويل، وينتمي للنوم
أنسى أنها شمسٌ على رملٍ،
فيحرقني رمادٌ كامنٌ، وتجيرني الرمضاءُ
جنتيَ الأخيرة.

المشكاة واللهب

كلما انتهيتُ من طريق، تأخذني طريقٌ إلى ما أمقتُ وما تَعفُّ عنه النفس وما ينزُّ له الدمُ في الرأس. طرقٌ تتناسلُ في قدميَّ غباراً شرساً وماءً شحيحاً. وليس لي أن أكفَّ عن السفر.

كتابٌ هو ما يبقى في العمر من التجربة

أبحث عن شيء. أهربُ من شيء

أمْ أن شيئاً يغرّر بخطواتي ويستدرجني ويزيّنُ لي الطريقَ

سئمتُ نظام الصحراء،

صوتٌ واحدٌ قبيلة واحدة.

والأشكال لا تحصى.

سأرى،

فيما أكتبُ، قصيدةً تَنْقَضُّ على الشعر وتَنْقُضُ النثرَ. تأتي بهاوية المعاجم وتهلكة اللغة. قصيدة هي الطريق والطريقة. المشكاة واللهب. وكل ما يجعل الرملَ صديقاً للرسائل، والماء مرآة للأسئلة.

يقال لك : من أنت؟

فتعرفُ.

يقال لك : اقرأ

فتقرأ

يقال لك : اكتبْ.

فيطيشُ في صدرك الحرفُ

مثل ملاكٍ يأخذ بيديك.

انتشاء

يَخِفُّ عن الأرض
عيناه مفعمتان بالورد واللازورد. والريش تاج الجناح
يمشي.
تكادُ الريحُ في بيتِ الهواء
قالوا له : كُنْ لها
فانهال مثل الهلال
استَخفَّ وشَفَّتْ يداهُ عن النار
عن المستدقِّ من الجمر
يغزلُ
أو تشغفُ الروحُ فيهِ بأخطائها: كُنْ لها.
يا أيها الشعرُ أجِّلْ تآويلها،
كي يتاحَ ليَ الموت من أجلها.

يقظة الخمر

نخبٌ واحدٌ لتهزَّ بابَ الليل
ينداحُ الندامى خمسةٌ في تسعةٍ
كأس المرأة الأولى وتاريخ البكاء مؤجلٌ
افتحْ بكأسك دورة الأنخاب
عند الباب كانت رفقة تهفو إليك، جوار بيتك
واشتهتْ أن ينتهي. وبكتْ معكَ عمراً من العشق
انتخبْ كأساً لها،
واسألْ نداماكَ انتظاراً واحداً كي يحضرَ الأصحاب.

نخبٌ واحدٌ يكفي ليوقظ أمّةً
لتظل تمحو الوشمَ حتى العظم
تنسى ثم تذكر
رفقة ماتوا كثيراً قبل خولة وهي تذهبُ مثل صحنِ المحوِ
ماءٌ هائمٌ وثلاث آياتٍ من الفصحى الجميلةِ
وانسكابٌ فاتنٌ للخمر
صَعِّدْ في نداماكَ انتخاباً، واستعدْ ذكرى، وأيقظْ خمرةً
يكفيك نخبٌ واحدٌ لتهزَّ باب الحلم.

كأسُ المرأة الأولى دليلٌ للغواية
فانتخبه مثل مرآةٍ ترى فيها طريقكَ

كلما صَخِبَ الندامى غامتْ الرؤيا وغابت خولة
في الوشم حتى العظم
لن يكفيك هذا الليل
أنخابٌ ومنعطفٌ
ستهذي
والذي يسعى وراءك يكسر الأقداح كي يمحو خطاك
اشربْ لتُكمِلَ سهرةَ الأصحاب قبل الباب
هُزَّ الليل
لن يدخل سواكْ. أطلق بكاءَكَ
لا تؤجلْ روحَكَ السَكرى
انتخبْ مرآتها
يكفيكَ أن تنسى لتذكر.

ضوء الصعاليك

لغتي سأمُ الخارجين عن الوقت
لغتي مثلُ تاريخها وهي تنهال، أو تتلاشى
تهيم على رسلها وتضيءُ
أضئ أيها الوقت
يخرجُ فيك الصعاليكُ
يبتكرون التفاصيلَ لك
ويمتد فيك الطريقُ البطيءُ.

لحظة الولع

جربتُ موتَكَ،
فانتميتُ ثلاثَ مراتٍ إليكْ
قلادةٌ في عنقكَ المرصودِ
خمرةُ عاشقٍ،
وصداقةٌ تسعى إليكْ
جربتُ موتكَ فانتشيتُ
كأنَّ في نهرِ النبيذِ قصيدة
وكأنَّ مَنْ يَسعى لقتلكَ، واهماً،
سرعانَ ما يبكي عليكْ.

مملكة

وزعتُ أخطائي على حاناتها، واحترتُ فيها
أمّةٌ، مجدٌ من الحسراتِ
أنتخبُ القيودَ وأفتديها.
كلما خمرٌ. مدينة خاطئين يؤثثون غيابَهم
هل أمّةٌ مفقودةٌ، وجميع أخطائي مؤجلة
وأبعدُ حانةٍ في الحيرة البيضاء
رقعةُ حالكٍ يسعى إليها النردُ
والأفعى شباكُ خديعةٍ والماءُ منفى

أمّةٌ تخشى زفيرَ الشعر
هل زنزانةٌ. ولعٌ بجلادين محترفين
كنتُ مجدّفاً في هيبة الملكوت
قرآنٌ وجوقةُ أنبياء وأشقياء
يزوّجون الموجَ للصحراء
أخطاءٌ. بلادٌ. حانةٌ.
بجَّلتها واحترتُ فيها.

حزام الفقد

اِصقلْ حزامَكَ يا بهيّ السمت
خمرُ الموتِ أقربُ من وريدك
فانتعلْ برقاً يَقِيكَ
وقُلْ لهم:
ماءٌ ووردةُ ضائعٍ تبكي فتىً.
اصقلْ حزامكَ
لا تصدِّقْ أيها المجنون
هذا البحر مركبك الأخير
اذهبْ تجدْ ماءً وتفْقدْ وردةً
وتشدَّ في حبل الكواثل
مركبَ اللذات والشهوات والنزوات قبل الموت
خُذْ ما يستعين به حزامُك عندما تنهار
لا ماءٌ يقيك
ولا ترى في وردة الأيام غير البحر مركبك الأخير.
اِصقلْ حزامك
واستعنْ بثلاثةٍ تَفقدْ ثلاثاً.

روحٌ تموجُ

لم أزلْ أصغي إليكْ
شجرُ الأسماء صوتٌ ويدي منسيةٌ بين يديك
فأرى هودجكِ البحريَّ في الأفق
كأن الموج أعراسُ ملاكٍ
سيغني كلما رَفَّ الجرسْ
شغفٌ قلبي وأحلامي تآويلُ
ولي فيكِ احتمالُ الليل
أن ننسى يدينا كلما اصطفَّ الحرسْ
كلما مالَ بكِ الهودجُ طاشَ الموجُ كي يزهو انتظاري
بدويٌّ طائرٌ يكتشف البحر ويصغي لاصطفاق الروح.

وحدي
كلما شَطَّتْ بيَ الشطآنُ أرخيتُ الفَرَسْ .

عبث

أحرسُ الليل وحدي
أترجمُه
في هذه العتمة النبويّة
أشتهي أن أموت
مثلما ينتهي كوكبٌ موغلٌ
مستوحشٌ في السماء القصيّة
راحلٌ
في انتظارٍ طويلٍ
وأعرف أنه ليس يُجدي.

من الأنبياء

فيكَ منَ الأنبياء وتفْدي
تَرى يتراءى لكَ
أم جوقةٌ من ملائكَ فاضتْ بك
يا أيها الريش طِرْ
واستمرْ.
مثل حلم الجناح،
ذاهباً نحو برد الصباح
ولا تستقرْ.

كتابك ليس يكفيك
وفَيكَ من اللّه
يا أيها المنتهى.

فهرس الظلام

هذا ظلامٌ مقيمٌ، تهجع فيه الشعوبُ وتستعارُ الحياةُ
زجاجةُ القلب فيه. تشكو. وفيه فهارسُ مشحونةٌ بالبكاء
وليس للجرح فيه تَخَلُّصٌ أو نجاةُ
هذا الظلامُ القديمُ
شاخصُ العين فينا، شفيفٌ مثل الحديد
خفيفٌ تخاف منه الليالي وتستفز الصفاتُ
هذا الظلام نظامٌ كلما امتد في الوقت، امتدّ فيه المكانُ
ينالنا وينال منا
ظلامٌ مَهينٌ مُهيمنٌ
ملكٌ مالكٌ. يحكم الطقس والطبيعة
ينزُّ غيماً كثيفاً.
وفي ثناياهُ عتمٌ وبدءٌ للنهايات فيه.
هذا الظلامُ الظلامُ، كتابٌ تضيئه الكلماتُ .

مبتكرات الغائب

أنهالُ بالذكرى وأستعصي على التفسير
هذا السيل تاريخٌ
ولي حرية أنسى وأذكر
أستعيد جنازتي وأصدُّ جيشا
كلما عَرَّيتُ أخطائي أمامَ الريح، ظنوا أنني وحدي
وأخفوا جنتي عني
ولي في شهوة القاموس تأويلٌ خفيٌّ
من ترى يرسمني موتاً ونعشا
من مراثيه على تغريبة الأخطاء يبكي عندها
وأنا منجرفٌ أمحو وأنسى
وأغني
مثلما يبتكرُ الغائبُ في وحشته جنَّتَه
قصراً وعرشا.

فيض الكاس

يداكَ تبتهجان بالطين الفصيح
كأنما وحشُ السماء دلالة الفوضى وبابٌ أولٌ
عيناك أمّ عرّافة تنساك في أرجوحة الرؤيا
وخيلٌ شاردٌ في غربة الصوت الجريح
يداك. من أعطاك صلصالاً وكأساً فائضاً
وتهدجُ الأعمى يجسُّ الماءَ
يهجو الأبجدية وهي تقصر عن رؤاه
يداك في طين الإله
يداك في طللٍ وتمدح قاتليك
يداك في الخلق الصريح تصوغُ ما يبقى
وتبدعُ ما يَليك.

كي تكون

أطلقْ لجامك. كلما مرُّوا عليكَ تنهدتْ أرجاءُ نجدٍ،
واستراحت في حجارتِها فراشات وتاهتْ نجمةٌ
أطلقْ لجامَك. يَحبسُونَ مطالعَ الأنفاسِ
تلك قصيدةٌ تهذي وغيمُكَ طائشٌ وحزامُكَ المشدودُ يُرخي خوفَهم
أطلقْ. تخبُّ الخيلُ. دعهمْ في بُلهنيةِ الفرار
فكلما مرّوا عليكَ، تماثلت صحراءُ نجدٍ،
واشتهتْ. شَبَّتْ شكيمتُها وأغوتْ بدوَها بالشعر
أطلق. يدركونكَ
كلما مروا رَمُوا نرداً وأجهشت النساءُ
ثواكل يجهرن بالفقدان :
« لو أن الفتى»

أطلق لهنّ يجئنَ تسعاً
يستبحنَ غبارك العبثيّ.

في نجدٍ نساءٌ جارحات الروحِ
منتحرات. يطلقنَ الفتى من عقله
أطلقْ عنانك
واستعدنا من نساءٍ ينتحلنَ قصيدةً سكرى، ويطلقن الحبيسَ
كأن في قلب الفتى غيماً يطيشُ
كأن قافية الجنونْ
أطلق خيالك كي تكونْ.

نبوءة

قَبْلَ النبيّ. قلتُ لهم
أشرتُ بشِعرٍ نبيٍّ
وأعجزتُ
فاضَ القلبُ بالدمْ
قلتُ لهم
فاستداروا لكي يقتلوني
شعرٌ ، نبيّ يموتُ
فمن يا ترى سوف يهتمْ.

هل نحن موتى

هل نحن موتى؟
كنتُ في قلق
فمَنْ ينهر خُطاي ينوبُ عني في الطريق إلى جحيمي
تاج كأسي ليس من ذهبٍ
ولم أنهبْ لأشرب.
خمرتي حريتي في الليل
أحلامي مطهمةٌ وحربي تسعفُ القتلى
وضوءُ النجمة القصوى نديمي
كنت في قلقٍ
وأهلي أسلموني للسديم
وأشعلوا نارَ الخيام وأطفأوني.
حكمتي في العدل أن أنسى واسكرَ ملءَ رأسي
كلما احتدمتْ ضغائنهم
غفرتُ لهم
وأرخيتُ الحماقة في الحليم
منْ يردُّ الموتَ عني وهو يسألني
فهل أنتم غريمي.

هودج خولة

جاءتْ تموجُ
تجرُّ كوكبةً من الأعراسِ في ماءِ المرايا
وهو يستثني طبيعتَه
ويَرقى أن يكونَ ذريعةً للرمل كي يحنو على بحرٍ يَشطّ
جاءت بالضحايا
توقظُ الأسرى. تموجُ وصوتها في راية الذكرى
تغني. هذه أسطورةٌ أخرى
ستبدو بعدها الصحراء نائيةً عن الفرسان
عاصيةً على الشعراء
تبدو مستقراً للرحيل، ونزهةً للماء كي يحظى بمحتمل من الرؤيا
تموجُ وتخدعُ الحراس
يقتتلون في غيم المسافة بين زرقتها ورملٍ سادرٍ لا ينتهي
غيمٌ.
أيهذا الغيمُ دعها تنتمي.
تصغي لوقع خطاك. تفقد نجمةً كانت دليلكَ نحوها
وتضيع في تيه القبيلة كالقتيلة
أيهذا الغيم دعها وردةً في الكأسِ
تسبق خطوها وتموج.

وراقون

توقفتُ بين الكوفة والبصرة أقرئُ أهلَ التدوين سلاماً. أصغي لوجيب ضمائرهم. يبتكرونَ النصَّ ونصفَ النص
يختبرون الشعرَ بوهج النثر ويجتازونَ الشخصَ
رواةٌ خطاطونَ. جُباةٌ ورّاقونَ. نحاةٌ يفتون:
(بأن اللّه سيخلقُ ما يفنى
أما نحن فنخلقُ ما يبقى).

بين الكوفة والبصرة حاناتٍ يسهر فيها الشعرُ ويَسكرُ فيها النثرُ. وقفتُ لأشحذَ أخطاءَ الخوف بأشعاري، فسمعتُ ضمائرَ أهلِ التدوين تدوزِنُ أخباري، ورأيتُ حقيقةَ ما لا يفنى في ما سوفَ يموتْ.

الفريسة

هدأتُ مثل البرق في الحيرة
في حاناتها الأنيسة
تموجُ بي ارتعاشة الشريدِ
وانتعاشة المغامرِ العنيدِ
أذرع السهرةَ بالنبيذ بين السيف والفريسةْ
هدأتُ مصلوباً على قصيدتي،
رأيت قتلي مسجداً وجثتي كنيسة.

سام اللّٰه

أخرجْ،
قال لي الشعرُ،
خرجتُ.
هذا هو الشعرُ
سألَ اللّٰه القبيلةَ عني، تفسِّرَ أخبارَها في كلامي،
وأرسلَ من يستعير النبوءةَ من خمرةٍ في لساني.

اخرجْ أيها الشعر
أخرجْ. خرجتُ.
ولم يكُ شعريَ أرجوحة اللّٰه في نومه
كنت في هامش الخلقِ.
واللّٰه في سأمه
الصوتُ في القلب أُصغي إليه. يسألني ما يريدُ
له الخلقُ والصوتُ والأمرُ والنهيُ
والحُكمُ والمُلكُ والصولجانُ.
ولي ما أريدُ.

الثلاث

تناوبنا عليه.
الكأسُ
وهي ذريعة العطشى
وسكينُ السلالة
ريثما يتجرّعُ النسيان،
والسمَّ المصفّى
وابنُ شرقٍ غارقٍ في التيه
أوشكنا عليه.

تنهدات الذئب

(دفتر السجن)

(متى تأتني أصبحك كأساً روية)

طرفة

1

ليلٌ،

لم تكن النافذة تَسَعُ نجومه

وهو يستريح في سهرة طويلة

ليلٌ لَيِّنٌ العريكة

يخرج من مجابهاته. يذرع النوم بين الحلم والكوابيس

فطاب للشرفة أن تندلع بتسعة سلالم من حبالٍ مغزولةٍ بأكثر المُقل بياضاً

لفرط التحديق، وأكثر المحاجر دكنة لفرط السهر.

2

أصغي لحشرجة الجليد يَحكُّ جلدي
والزجاج الناعم الوحشيّ يَبْردني
رخامٌ صارم
وحجارةٌ جمرٌ
وجازٌ جاهزٌ
وجنازةٌ كسلى
وثلجٌ ناضجٌ في الليل.

3

زاغتْ روحي وأنا أقرأ هذه الأبجدية المشحونة بالرموز والألغاز، حتى أوشكتُ أن أدرك الموج وهو يبسط سجادته في خطوات الريح وتيه المراكب.

4

ينال مني الوهن، والشعلة منتعشة تسأل وتمعن في السجال،
حتى إذا ما طرحتُ شكاً بزغ شكٌ آخر غيره
ينحجب أمرٌ وينكشف أمرٌ وأفضي إلى أمرٍ ثالث.

5

ليست عينيَّ هاتان اللّتين أرى بهما، إنهما خطوات الخيل الشاردة وهي تدرك المسافة بين زجاج الشمس المكسورة وتنهدات الوحش المحبوس.
ليست عيناي
إنها اللغة وهي تتناسل مثل كوكب يتفجر في أسرابٍ وفي شظايا،
تقرأ السديم وتؤلف المجرة.

6

يقظةٌ تسبق الحلم وتليه
لا هو نومٌ تنهض منه
ولا ليلٌ تخرج عليه
جناح فراش لا تخسره ولا تناله.

7

ذاهبٌ حتى الثمالة
قدحٌ تدركونه ونشوةٌ لا تطالونها
كلما لمسته بوردةِ روحي انتابتني النشوة.
خذوا الصحراء جميعها والماء كله
أطلقوا فهرس الضغائن على آخره
واتركوا لي هذا النديم.

8

أخرجُ من غاباتكم أدخل في غيبوبتي
حجبكم مهتوكة وفضائي على الأفق
تقرأون ما أكتب
وتتنزهون في حدائقي
معطلي الحواس
فتصيبكم حسرة الخسارة.

9

هنا
بردُ الوحيد علامةٌ للفقد
لا امرأةٌ
وخولة وحدها،
لا سيفَ لي
والكأسُ درسُ النار في علم الكحول
بردٌ بَرى قلبي،
وصوتُ الريح يزدرد الفصول.

10

سؤالٌ تُمتحنُ به روحٌ مصقولة بالغدر
وجسدٌ ينفذ من سم الإبرة
ودمٌ تائه في الأوردة.

11

هذا القيد لا يكفي
لكي أصغي لها وحدي
فمن يبكي معي
في ثلج هذا الليل
دفءٌ نادرٌ للروح
يقرأني
ويؤنس وحشتي ويذوب.

12

ظمأٌ يصيب الحروف محبوسة في كلماتها
ظمأٌ أزرقُ مثل حدقة الصقر
في مخدعِ غيمةٍ تشرف على وهدة الجبل
ظمأ الكشفِ منصباً على فريسة.

13

أصغي
فيصعقني دبيبُ الدم
رملٌ باردٌ ويدٌ
كأن اللّه أطبقَ هذه الصحراء فوقي
واصطفاني سيداً للوحش.

14

مَنْ يقوى على إسكات هذا الدم الصارخ في الأوردة.

15

بلا مغزى،
ضغائنُ تجوبون بها الأرجاء.

16

الشظايا تتحدر من القلب في فلذات وفي قصائد
أتكفل بها كلما تركتموني وحدي
غير أن البحر بعيدٌ بعيدٌ
والأصفادُ مثاقيلُ العمى والمتاهات.

17

هذا الذئب المنتظر مثل سيد التلال
تشعرون إزاءه بالذنب ذاته
كلما فتحتم كتاباً يضوع منه عطرُ الفقد الحزين.

18

العمل العاطل
يصقل عربة الملك الذهبية لعبور المأزق
فتذهبون إلى الغيب
ولا تعوزكم الذرائع.

19

ليست الآلهة
إنها أنصابٌ جائعة لأكباد الناس
يخفق الحرس في صيانة الحياة
فتطفق الصلوات في الترجل.

20

يقف في رمل الماء يؤرجح أحلامه
فتمر سفنٌ مكتظةٌ بعبيدٍ يرفلون في الأصفاد
ويصدحون بالنشيد الكوني
تلك هي حناجر الحديد.

21

ربيتَ هذا العدو
ودربته
وها أنت تتمرغ في الأوسمة.

22

لا أنصحُ أحداً بها،
هذه الحياة،
لقد تجرعتُها فحسب.

23

ينبغي أن تكون لديكم مباردُ مكان أصابعكم، لكي تحسنوا قراءة أقداركم
برفقة ملوك يخلطون السمّ بالدسم ويولمون لشعوبهم بالأساطير،
ينبغي لكم الشك في الشمس.

24

لا يعرف ندماً
وليس لطريقه رجوعٌ،
لن تدركه البعثات ولا يناله صائدو الجوائز
كيف تهزم قتيلاً يذهب إليك حاملاً جنازته.

25

نرجس يحرس السجن
والخلق ينقرضون في هوامش دفاترهم
أحداقٌ تسهر في بياضها الطيور
والمسافة شاسعة
بين المكان والمكانة.

26

زجرتُ نفسي وهي تشتهي
ففاض قدحي بالنحيب
وكنت كلما رشفتُ
شَفِيتُ من العِلة ووقعتُ في الخِلة.

27

يحرس أحلامي
يمحوني، يبعث جنده بعدي
ويتبعني
كأني أستعين به
لأصدّ ضراوة الصحراء
كي يغتالني وحدي.

28

يفيض دمي في القوارير
وأسمع في نصالكم سعياً يعرف الطريق
بين الحنجرة والإحليل.

29

مثل حرية العبد وأغلظُ ولعاً
مثل براءة الذئب وأخفى صلاة
مثل شبق العشق و أعلى نحيباً،
كلمتي وهي تصعد المدارج إليك.

30

يذهب الوشاة بسقط المعنى
وتخفق المعاجم في الفقه والتفسير
وتبقى خولة وحدها بوشم شامخ
تلوب به في انتظارٍ
يخضرّ في كفها ويحمرّ في كتابي.

31

أسمّي نجمك الليلي
تاريخ القبيلة وهي تستثني تمرغنا بهامشها
أسمّي جرحك المكتوب بالياقوت في نسيانها
عنوانَ من ضاعوا بلا ذكرى
أسمّي الجنة الأخرى
بلاداً فرّطتْ في مائها،
أسماؤها منذورةٌ للتيه
نمعن في خوافيها،
أسمّيها
لنصقل ليلها بنجومك الحسرى
أسمّيك، انتعاشاً، قلبَها
وهي النحيلة كاحتباس الروح،
هل تُجدي

ثمالة كأسك الأبدي

أسمّيك، احتمالاً، نجمةً
ليرد لي أهلي
شظايا إرثي المنهوب
لا شِعرٌ لهم
لا باب أغنية تؤلفهم
وهامشهم لنا
بحراً وبعض سفينة
ولهم
ضياعٌ باهرٌ في الشكل
باب قصيدتي في الليل
سمّيت انتحابَ الخيل مرثاتي
وطفلاً ضائعاً في الظل.

32

فجرٌ،
يقظة قنديل يتماثل في قطرة الزيت المرتعشة
شخص ينقل خطواته الواهنة في تثاؤب
في أقل من الحركة
في نأمةٍ تختلج بسرها
تزيح الندى
تسأل بلورة العشق عن شمسٍ تتماثل
في رداءٍ مخضلٍ بأثر حلم طريّ
فاضحُ العري تأويله يسبقُ الضوء
هل الشمس أقدام آلهةٍ مرتبكةٍ
هل يبدأ النهار في خيطٍ خائف
هل الضوء يدٌ أم كلام
هل نارٌ تذبل في زجاجةٍ
هل بابُ الوقت أم شرفةُ المكان.
قنديلٌ في يقظة السديم .. يبدأ.

33

شمسٌ، صوتها وهي تعول في غبار الأقبية تعلن حضوراً شاسعاً لجيوش ذهبية مستنفرة لاقتحام كثافة الصفوف لكائنات تنبثق في أعواد داكنة الخضرة.

صوتها نحيبُ المنتصر بجراحه، محدقاً في عتمة المداخل، مشحونة بذعر الاندفاعات. تندفق في موج الذهب الرشيق، يتخطى ويجتاز.

صوتٌ بعينين فاجرتين يخطُّ بأقلامٍ لامعةٍ، بحبرٍ ساطعٍ، كلمات طازجةٌ لنهارٍ يصعب احتماله.

صوتٌ هادرٌ صادرٌ من الأعالي، من أقاصي الخجل الكونيّ. لحظةٌ في غفلة الذهب، حيث ليس للزنزانة صدىً ولا هواء، صوتٌ يصوغ كلمات المعنى وشهوة التأويل، في شغف الشعر وعنفوان الطبيعة، تحت رحمة شمس منتظرة في غبار الأوج.

34

في برهة القلب المولع بإيقاع دمه في الأروقة، يلذ لليل أن يحلّ شكيمة المأسورين تحت وطأة سماء تنخفض، ويطلق كائنات غضّةً، تستيقظُ محتدمةً مندفعةً، لتمسك بأطراف حبالٍ مفتولةٍ، تتصاعد نحو سماءٍ غائمةٍ، في رحيلٍ يضاهي إسراء الملائكة.

35

وكلما توغلت في الغيم
شَحّ الزادُ في سواد القبيلة، وازدادَ النسلُ في الملك، وازدحم الجندُ بالمناكب، وضجّ صليلُ السلاح، واصطفقتِ الكواحلُ الواهنة في أصفادِها، وصَدَقَ الغيم.

36

من البطء في القتل
من حبسة الوطء في القيد،
يسْتلّني خزفُ القانطين
وينتابني خارجٌ أنني ملء حريتي
أن في نيتي أخطفُ الكأسَ من نادلٍ ماكرٍ
قيل لي أنني آخرُ النافرين.

كلما انتابَ القبيلة خارجٌ

(دفتر قاسم)

ما تبقى من اللّٰه فينا

(كتاب السيرة) - 2

وَلسْتُ بِحَلاَّلِ التلاعِ مَخَافَةً
وَلكِنْ مَتَى يِسْتَرْفِدِ القَوْمُ أرْفِدِ»

طرفة

ماذا تعرف عن الدم؟

في الفَصِّ الصغير الذي ينعقدُ في شِريانِ الكاحلِ، يتوهجُ دمٌ يتهيأ للكلام الأخير. انتظرَ كثيراً هناك. في منحنى الكعب وعقدة القدم. انتظرَ مثل حارسٍ كسولٍ لأسطورةٍ نشيطة. حبلٌ نحيلٌ من العَضَلِ الشَفيفِ. رَشَّحته الآلهةُ لشفرتين: السهم من هناك والنصل من هنا. انتظرَ كلَ هذا الوقتِ من كعبِ «أخيل» حتى كاحل طرفة. الأسطورةُ ذاتُها لقتلٍ كامنٍ ومرصود. ما إن تصيب الشفرة ذلك الوتر المشدود حتى ينهار كل شيء. كلاهما محاربٌ في مكانٍ ومقتولٌ في زمانٍ.

حديد

دمٌ أقوى من الحديد من شهوة النار
تخيلت سيفاً يغيّرُ أشكالَه
وله لغةٌ من رماد الأساطير
حرفٌ حديدٌ وأحلامُه لا تحدُّ
تضرعتُ أن يُدركَ النصلُ صوتي
تخطيتُ موتي.
حديدٌ
كأن الدماء التي هَربت في الرسائلِ مشحونةٌ بالفناء
تعيد الغناء لأهلي وهُم يغضبون لأطفالهم
في الصليل الثقيل من القيد
مما تبقى لهم في الرماد من الجمر.

أيها النبيذُ الإلهيّ ماذا تعرفُ عن الدمِّ؟.

هذا الحديد يؤاخي دمي
ينتمي للقصيِّ الخفي من الأنبياءِ
دمٌ شاردٌ في السماء.

سعي المنايا

تلمستُ آثارَ أقداميَ الشاردات إلى الشام
خشيةَ أن يطالَ الرمادُ كتابَ الأمل
تلمستُ أن يسمعَ مني صديقُ الطريق ويلوي عنان الخيال
ويفلتُ من أرخبيل الأجلْ
بكيتُ له أو بكيتُ عليه
سيعرفُ أن الكتابَ المدمّى نشيدُ الملوك علينا

تيه

كواكبُ

لا مجرتها في حدودي، وليس لنيازكي تاريخٌ تجهر به الكتبُ
مأزقٌ أن تجدَ كيانك شتاتاً إلى هذا الحد
لا الغابة تصغي ولا للكائنات فهرسٌ يهدي إلى الضلالة
ضياعٌ فاتكٌ أن تعود.

ويعرف أن النبوءة تفلتُ قبلَ اللسان
وأن الذي كان في نزهةِ أيامنا
صارَ سَعيَ المنايا إلينا
تلمستُ أن يعرفَ طفلُ البدايات أفلاكَنا وهي تعبرُ فينا سديمَ النهاية.
منذ اللسان إلى الرأس
حتى الحدود التي سوف تفنى ليبقى لنا النصُّ
يبقى لنا أن نؤجلَ أخطاءنا.

ما الذي بيننا

لم أعد قادراً أن أميزَ
هل كنتُ حرفَكَ، أم إنَ قلبي تَنَوَّرَ بالكلمات الأخيرة وهي تضيءُ دبيبَ النبيذِ إلى كاحليك
لم أعد قادراً أن أُقَدِّرَ
هل هذه الفلواتُ الشريدة قنديلُنا في الطريق إلى الشعرِ
أم أنتَ سجنٌ لحريتي
هل كنتَ ناريَ أم جنتي
أينَ حدودُ الزمان
وأي مكانٍ سيفصلُ/ يوصلُ ما بيننا
ما الذي بيننا وردةُ الزعفرانِ
صدفةٌ في الزمانِ

تلمستُ رملاً
سوى أن في الشام لي غير ما تشتهي الروحُ
حتى ندمتُ
كأن الصديق الذي فاتني قبل موتي
هو المحتملْ.

لم يعد بيننا
نحن.. ما بيننا
خيطُ أشعارنا
كاسُ أنخابنا
نفسُ أعدائنا
رمز أسرارِنا.

ما الذي بيننا بعضُ هذا المزيج
حكمةُ الشعرِ والوحشةُ الأبدية
غربةُ الروحِ والجرحُ يحرسُنا
بيننا كلُ ما بيننا
أنكَ قلتَ للشعرِ أسرارَه وسَميّته بيتنا
بيننا أنني عاشق خَصَّني الشعرُ بالمحو في الصحن كالزعفران بأسمائهِ

شظايا في الرمل

هائمٌ،

عينان رمليتان. من أين جاء إلى أين يذهب. مشردٌّ سحقتْ أعضاءه كائنات الحنين. يتقدم بعينين محتقنتين لفرط الغبار. الحجر الضاري. يتعثر بقفطانه الطريّ عابراً أقدم المدن تضرعاً وأكثرها عتمة، باحثاً عن النجمة الضائعة. الرحيل حقيقته ودفتره مشحون بالتأويل. بالوهج المجهد في عينيه. يهم بالمديح فتطيش فلذات الهجاء في وجوه الملوك بلا فهرس ولا إشارة. حكمته فضيحة الخزف وهو يشفُّ تحت وطأة الجحيم.

لم اعدْ قادراً أن أفرّق بين احتضاراتنا والحياة التي تولدُ
روحك النارُ والموقدُ
هل الشعر والحب في ريشنا أبدٌ آبدُ؟
هل نشأنا معاً.
شَغَفاً واحتمالاً.
وأودى بنا خطأٌ واحدُ ؟.

ليس ثمة مدينة تحسن القراءة ولا كتباً تشمل النشيد. عينان رمليتان لفرط التحديق في المفازات. أين يضع قدمه في أرخبيل الضباب. كلما طرقَ باباً اندلعتْ قصيدةٌ واشتعلتِ الكلمات في القمصان والقصص. كلما وضع قدميه الداميتين بالذعر في طينٍ يابسٍ تَفَجّرَ ماءٌ وانبثقتِ البقولُ والتراتيل.
يهرب، فتسبق الفصولُ خطواته. يترك أثرَه في العائلة ويتقمَّصُ السفر نحو أمكنةٍ وأوقاتٍ ليس لها خططٌ ولا أدلاء. هذا الذي هو في حلٍّ من البيت، له في كل خطوةٍ صِفةٌ ومعنى. يفيض على الآنية ويترنح خارجَ القبيلة ويخلبُ الناسَ. يحجبونه عن الماء والفئ في ظهيرة الرمل ويمنعون الفتية المأخوذين عنه. فيأخذه التحديقُ حتى يَطفُر الدمَ من عينيه. عيناه

حصة الشمس

الشمسُ سيدةٌ على حزنِ الصحارى وهي تزدردُ التخوم
الشمسُ تاريخ النجوم
الشمسُ مفترقُ الخطى
بين انتمائي للسلالة وانقطاعي في تجاعيد الغيوم
الشمسُ – كنتُ ميمماً شرقاً– هَوَتْ في مغربٍ ثملٍ
كأن الرمل حلمُ زجاجةٍ في البحر
دارتْ بي مع الأنخاب موجاً عارماً
لا شمس لي. لا بحر لي
شعرٌ ونردٌ واحتمالات لقاموس الهموم.

قنديلتان منذورتان للمحو. سهمانِ يذرعانِ المسافةَ بين البؤبؤ وبهجةِ الخيل.
من أين إلى أين.
يسألُ الشمسَ ويصغي لهمسَ البحرْ.

الأحفاد

قُلْ لهم
إن أحفادنا مستوحشون
وحيدون في غرفة اللّه
قل إنهم ساهرون على غيمةٍ
منتعشون لفرط التذكر،
أو هائمون على وجههم حولنا
إنهم قادمون، مثل أحفادنا
لن نكون سوى آيةٍ في الكتاب
سوى جنةٍ مشتهاة
سوى غيمةٍ ضائعة
كلما فسَّرَ الفقهاءُ

ما البحرين؟

حتى إذا سألته: ما البحرين؟، قال:

«إذا كنتَ تقصد البحرين عندنا، فهي التي إن بدأتْ في رأس عُمان فلن تنتهي عند نهر البصرة وأن كل ما بينهما فضاء مزيج بين الوقت والمكان. وسوف يشمل أقاليم ساحل البحر وداخل الجبل. ويطال هجر والإحساء جميعها. غير أن هذا كله لم يكن ليعني شيئاً عندما نهمُّ نزوحاً عن مكان أو نسعى رحيلا إلى مكان. فالبحرين عندنا هي الآفاق التي تستعصي على التخوم وتفوق الوصف. فإذا انتهى بنا الزمان إلى هذا اليوم وسمعنا أن

انتهتْ تآويلهم،
واستعاد المهانون هيبتهم
كلهم يستوون على الماء
أخشابُهم عرشهم
يذهبون إلى الشمس في شاعرٍ لم يزل
يسأل القادمين عن الساهرين على غيمة يمطرون.

قوماً، في جزيرةٍ صغيرةٍ إلى هذا الحدّ، قد طفقوا يزعمون نسبةَ شاعرٍ لفسحةٍ معلومةٍ محدودة، ويؤلفون من أجل ذلك الكتب ويلفقون الوثائق والأدلة لكي ينسبوا شاعراً إلى بلدٍ محدود، من أجل اختزال حقبة شاسعة من التاريخ في فرسخٍ من الجغرافيا، ويقيمون السرادق والمهرجانات بوصفه شاعرهم فحسب. لعمري إنني لن أصادف خبراً أكذبَ من هذا. فكيف تسنى لهم حبسَ حلمٍ شاسعٍ مشحونٍ بالتجربة والروح، في وهمٍ ضئيل الدلالة، بائس المعرفة، شاحب المعنى.

فإذا سألوك عن البحرين، قل لهم، إذا هم رأوا ذلك المكان رحباً شاسعاً مفتوحاً متصلاً متواصلاً بالشكل الذي رأيناه، فسوف يصحُّ لهم الظنُّ بأن ثمة بلاداً تتجاوز البحرين

لست معتزلاً

وحيدٌ شاردٌ أغفو على مضض، وقلبي متعبٌ،
وأنين روحي طائرٌ يهذي. ولي في رفقة الوحش الصديق طريقة للخوف
لستُ معتزلاً،
لا دارَ لي في بيت أهلي،
لا يدٌ تحنو على كأس يروّي رأسيَ الناريّ
لي في دفتر الأخبار منعطفُ الدليل يقود أخطاءً ملفقة
تَشِي بغموض أسمائي
بكى مائي على ماء الغريب
يطيشُ بي لتفيض أخطائي
وحيدٌ شاهقٌ
يبكي معي سفرٌ وترحالٌ
وغيمٌ عابرٌ. وإذا بكيتُ
كأنما جبلٌ على أطفاله يحنو.

لتصير بحاراً كثيرة، فيها من الشعر ما يكفيها، وتزداد بحراً كلما استيقظ شاعر جديد في زرقتها. وإذا كنت تعني أرضا مجزأة ممزقة أمضيتُ عمري القصير أرفوها بالشعر شلوا شلوا وأخيط فتوقاً ساحقة فيها، أنشد في جبال عمان فيسمعني أهل البصرة. إن كنتَ تعني أقاليم مقسَّمة سهرتُ أزكِّيها بكلماتي، وأمشي في عطر لياليها بالنخل والورد واللؤلؤ.

إن كنتَ تعني حدودَ الأفق ذاك .. فذلك بيتي».

كان يعرف

سودُ القلوبِ/ مدرّبو بيتِ الضباعِ/ الضاغنونَ/ مشرّعو وحش الغرائز/ آلُ آوى/ آخرُ الباقين من مرضى إناثِ الخيل .... ينخرطون في مدح النقائضِ.

كانَ يعرفُ،
قادةٌ،
ويؤلبون عليه أطرافَ القبائل كي يُساقَ إلى الصليب
سيسبقون الطير قبل الفجر
يشتركون في نصب الشِراك.

طفولة الوقت

وقال لها :
إن الطفل الذي سترينه ساعة قتلي
هو وقتي الباقي المستمر بعد الموت
اذهبي إليه وادخلي في عينيه الدامعتين
هناك القصائد هائمة إليك.

وكان يعرف،
سادةٌ يستفردون به. يَشدُّونَ السيوفَ عليه
يروون القصيدةَ قبله. ويؤجلون الماءَ عنه.

كان يعرفُ،
قادة، يستنوقون جِمالَهم ويَشونَ بالمعنى لكي ينهار بالتأويل
ماءٌ. زئبقٌ. شبقٌ. ويعرفُ
كلما خاضوا بماء كتابه، وبنوا قصوراً فوق طينةِ شِعره. خانوهُ.
خلُّوا نجمةً سوداء تبكي في يديه.

كان يعرفُ،
ضالعون. رمُوه في جُب.
يدٌ في الدمّ والأخرى تُجدّفُ

هاتوا النبيذ

خطّ كلمته الأخيرة في منتصف السطر، في عين الورقة، في المسافة بين الحبر و الدواة.
بسط ريشته العليلة على خد الورقة، رفع رأسه بتثاقل الحالم وقال لهم:
هاتوا النبيذ.
اجتاحت أجساد الحرس رجفة الدهشة.
-نبحث لك عن طريقة لموتك وأنت تطلب النبيذ؟
-ها اني قد اخترت طريقتي في الموت. لا يليق للشاعر أن يموت كما يحلو للآخرين. مثلما

وهو يعرفُ.

إنهم يضعونَ حدَّ السيفِ في باب الندى
ودموعهم فوق الذبيحة.

سوف يعرف
إخوة يرثونه قبل الغياب
يؤلفون نصيحةً
يَطَأون جثته .. ويعرفُ.

عشت أموت. وما عشت معه أموت به. ثمة موت يضئ للشاعر مواقع أقدامه.
هاتوا النبيذ.
- وكيف؟
- أشربُ حتى الثمالة، وفي اللحظة التي يصعد الدم من عروقي في جمرٍ وفي شظايا،تفصدون كاحلي في المكان الذي حملني الى المجرات، فأنزف حتى ينفد الأحمران في مزيجٍ واحد. الجسدُ هو زجاجةٌ أيضاً. وإذا كان لأحدٍ حقُ بذل زجاجته بنفسه فهو الشاعر. يرفع كأسه الأخيرة بجذوة الروح في الجسد، وينتخب حريته الأخيرة، فلا يكون للملك ميزة حق القتل وحق اختيار الشكل.

إعصار

كلما تهجيتُ كلماته رأيتُ فيها شهوة الحروف والسيوف
وإذا تقرَّيت حجارته المحجوبة في مصادره
قرأتُ فيها الغيبَ مثل العالم المألوف
وإذا أبحرتُ في موجهِ
شَعرتُ بقلبي يتقلقل مثل قلع السفينة في هودج الإعصار،
فتضيع مني الأطرافُ والأسبابُ والوسائط.

هاتوا النبيذ،
فجاءوا له بالنبيذ، فيما كان يرتب أوراقه الأخيرة ويحزمها بالابريسم الأخضر، ويختمها بزجاج القدح، والنبيذ يندلق ويمنحها القرمزي الحزين الذي استُدرجَ ليكون شاهداً على الفجيعة. أخذ يصبُّ الاقداح ويعبّها وهو يستسلم لاندلاعاتٍ متتاليةٍ من البوح والهذيان والهلاس، وقمصانه تتهدل بما يطيش من النبيذ ويطفر من القرمز وما يفيض من الولع. كلما انتهتْ قارورةٌ وترنحتْ فارغةً لفرط الفقد، جاء الحرسُ له بالمزيد، وهم ينظرون ويسمعون مذهولين إلى ما لا يُصدّق.
-لكي تذهب الى موتك حراً كما في حياتك، ينبغي لك أن تختار السبيل الجميل إليه، فحقيقة الموت تكمن في انتظاره والطريق إليه. إذا تيسر لك أن تذهب وأنت في ذروة

كي يؤلِفَ غيرنا

ليس للشعر بيت هنا
بالكاد نبدأ كي يؤلفَ غيرُنا أفقاً جديداً
لا كتاب الموت لا أخباره
ليس الرواةُ ولا أحاديثٌ يكرّسُها القضاةُ
الحب يسأل: هل لنا شعرٌ تضاهيه الصلاةُ.

الانتشاء، فسوف تقابل الموت وأنت أقوى منه. ليس مثل الخمرة سلاحٌ يهزم صَلَفَ الموت وعنجهيته ومزاعمه. هذا النبيذ قرمزٌ يمنح الدمَ طبيعته الخالدة، فاللون ليس صدفة، كما الشعر والحب في الحياة.

هاتوا النبيذ أيضا وايضاً،

وتعالوا أطلقوا دمي من أسره، فها أنا أشعر الآن بالنيران تتفجر في أوردتي، والكحول يتصاعد شواظاً في الشرايين. افتحوا الطريقَ له، هاتوا أكثر شفراتكم رهافةً واجرحوا كاحلي بين الجوزة والكعب.

هاتوا النبيذ هاتوه.

قيل،

فلما جرحوا العرق النافر، انفجر نهرٌ صغيرٌ من القرمز الدافئ، وطرفةٌ ينظر في سكون،

الأم

- 1 -

هل هذا نحيبُكِ أم حنينٌ تحتمينَ به
هل هذا زفيرُ الروحِ،
أم نحنُ ضحايا جوقةِ النايات
يا أمي لقد فاضَ السَرابُ على الترابِ
وانتهى بي الشكلُ ذو المغزى
وموتي في حدود الموت.

لا يصرخ ولا يتوجع، ممسكاً بقدحه الأخيرة وهم يصبون له الشراب كلما فرغ. يشرب وينظر، وابتسامة غامضة تطل من شفتيه المصبوغتين.

قيل،

فلما ارتختْ أعضاءُ جسده، كان النهر الأحمر الصغير يكبر ويتسع ويفيض، حتى امتزج الأحمران في برزخٍ شامخٍ بين اليد والكاحل، واختلط على الحرس الحدُّ بين الدم والنبيذ، فتجلى لهم شكلٌ من الموت لم يعرفوه ولم يسمعوا عنه.

قيل،

فلما جاءوا يفحصون جسد الشاعر، وجدوا العطر الزكي يفوح من الجثمان، ورأوا ورداً

- 2 -

مَنْ هذا الذي صبَّ الرصاصَ ودَرَّبَ الفولاذَ
واستَلَّ النِصالَ على عظامكْ
مَنْ جاءَ جيشاً كاملاً مستمهلاً ومشى أمامك
يا آخر الرايات
هل ماتَ احتمالٌ واحدٌ أني إليك
وأنَ لي في عطرك البدويّ ما يبقى على وتدٍ وحيدٍ في خيامكْ
فاض يا أمي غيابُ أبي عليَّ
وجُنَّ بي وحشٌ وأفضى بي النحيبُ وضاقتْ الصحراءُ وانكسرت نصالٌ
في دمي وبكتْ على قلبي القصائدُ
هل أبي نجمٌ سيأتي في ظلامكْ.

أحمرَ يتفصّد من أردانه، وعندما رفعوه عن الأرض يحملونه أحسوا كأنهم يحملون ريشةً صغيرةً في حلم.

قيل،

فلما سمع الملك عن طريقة طرفة في اختيار موته، صاحَ في حسرةٍ:

« آهٍ ، قتلني طرفة قبل أن يموت».

درس الليل

لا يعرفُ الآخرونَ عن الليل مثلي
لن ينتهي نادلٌ عند طاولةِ الخمرِ
مثل الذي ينتهي بالوصايا إلى النار
تأملتُ في إخوةٍ
أنْ أرى إخوتي يدركون – بعيداً عن البيت–
بيتاً يؤانسني ويَقيني من الوحش
لي إخوةٌ يسهرونَ على الوقت
يبتهلونَ يُصلُّونَ
أن تنتهي وردةٌ في الكتاب
ويبقى لنا عطرُها
تأملتُ في وردةٍ مثلها

حقّ "ليلى"

بعد طرفة بزمن يأتي شاعرٌ يدعى عمرو بن كلثوم يقبل ما رفضه طرفة. شاعرٌ من «تغلب» يسعى لدى بلاط الحيرة وعند الملك عمرو بن هند نفسه، من أجل النظر في معالجة خلافٍ نَشَبَ بين قبيلتيّ «بكرٍ» و«تغلب». يكون لذلك الشاعر أن يؤكد مجدداً أن الملوك لا يقبلون شاعراً يرى غير ما يرون. ولا يتجاوزون شاعراً يستنكف المديح في حضرتهم ويجلسُ عنه. وقيل أن عمرو ابنَ كلثوم سبق له أن تأخر متكبراً عن ارتياد بلاط الحيرة، بل أنه حين قَصَدَ الملك لم يأت مادحاً ولا ساعياً لغاية شخصية، بل جاءَ في ما يشبه المهمة السياسية كلَّفه بها قومه، مما جعل عمرو بن هند يضغن عليه، حتى

تصطفيني وتشرحُ للناس تأويلَها
كنت في حلمهم عابراً
كنت مستنفراً مثل برقٍ يرقُّ على وردةٍ
ويختارني ليلها.

قيل أنه من جهته قد عمل على استدراج الشاعر ليعرّضه لمهانةٍ في أمه «ليلى» فينتقم من كبريائه. الأمر الذي جعل الشاعر يثأر لكرامته وينقضّ على الملك ويقتله في قصره. وتلك روايات تزيدُنا ثقة في أن الأسطورة لا تتوقف عن صياغة تاريخٍ يظل قيد الدرس وإعادة النظر. تاريخٌ يمنحنا الثقة في شكِّنا. لكأن الشاعر عمرو بن كلثوم سيقول لنا لاحقاً:
«لقد كان عليَّ أن أتعظَ بدرس طرفة. فلم يكنْ من الحكمة الذهابُ إلى ملكٍ قَتَلَ شاعراً. هل كنتُ أردُّ التحية المتأخرة لشاعرٍ متقدم؟».

الصحراء

أيتها الصحراء، يا صديقتي وعدويّ،
أيتها التفاحة الفَجّةُ المفتوحة لضياعي وتيهي ومتاع أيامي
يا فضيحتي وقناعي
لستِ طريقاً لي ولا مكاناً ولا مستقراً لأقدامي
ألبسُكِ وأخلعك مثل القميصِ في الراحة والزَرَدِ في الحرب.
أعرفُ رملك نأمةً نأمة
لا أخشى سوى أفقك المشرع الأشداق، مثل وحش يُحَدِقُ بأحلامي
أيتها الصحراء،
هل أنت ماضٍ يمشي قُدّامي؟.

الشاهدة

عُثِرَ على شاهدة قبرٍ في «هجر» بالبحرين. تاريخها الميلادي ٥٦٣ . كُتِبَتْ بخطٍ نبطيّ يابسٍ في خمسة أسطر. تقول: «دُفِنَ هنا طرفة بن العبد البكريّ. لم يظلم أحداً. ظلمه أهله، وغدرتْ به قبيلته. استنارَ بالشعر في حياته واستجارَ به في مماته. تم قتله بأمر ملكٍ في زمانه».

كشفَ هذه الشاهدة ذئبٌ كان يُنَقِّبُ في ظاهر القفر. وقرأها شاعرٌ نائمٌ في حلمٍ، في ليلٍ طويل، فاستحال الحلم إلى نحيبٍ يغنّي الشاعرَ القتيل ويرثيه.. ولم يزلْ.

الصديق

أفدي صديقاً ساحرَ الأحلام صَدَّ الحربَ عني
كلما شدّوا يَردُّهمُ
ويَحمي قلعتي ويموتُ عني
أفديه.
كنتُ مضرجاً في الرملِ. كان الوحشُ ينهشُ، والجوارحُ ترصدُ الأخطاء
تختال القوافلُ والقبائلُ فوق أشلائي وتنساني
سأفديه. مشى بي. كي يردَّ الموتَ عن باقي كتابي. وانتحى بي في نبيذ
النص يمسح عن جراحي ليلَ أصحابي.
يصبُّ الماءَ لي من قلبه ويقول لي:
نمْ مرةً، واهدأ قليلاً، ريثما أمحوكَ من هذا العذاب
هل كان يقرأ في كتابي ؟
أفدي صديقاً مثله
يرتادُ بي ويرتبُ الفوضى ويحضر في غيابي.

ماء ينهر الآلهة

(دفتر الصحراء)

القتل الملكي

أمشي. وأشمُّ العطرَ الأصفرَ يتبع خطوي ويشدُّ قناديلَ الرملِ زنابقَ في صمتِ الصحراء. أجسُ الريح بعينينِ جناحينِ. أطيرُ من الذعر، فتهوي قدماي كأنَّ الرملَ شِباكٌ. شَرَكٌ. هذي الصحراءُ بلادٌ غادرةٌ. هل في العطر الأصفرِ رائحةُ الفتكِ. هل الأنباءُ رياحٌ سُودٌ تهذي. هل أحلامُ العطرِ بكاءٌ مكتوم

كأنَّ نجوم اللّه ثقوبٌ تخدع أقدامي

يا أيامي انتبهي

ليلُ العطر الأصفر يرصدُني

ها إني أهربُ من بيتِ الموتى

فأرى القتلَ الملكيّ أمامي.

«يقولون لا تهلك أسىً وتجلد»

طرفة

نجمة الكتاب

ليس في السجن ما يُستعادُ سوى جنة الليل
غيرُ السماء التي تحضنُ الروحَ
تلك حريةٌ
ذاك ماءٌ زلالٌ يُطهرني عندما أستفيق
أيهذا الصديق
ليس لي في السجن غيرُك
وحدك تنتابني مثل درسٍ وحيدٍ
ليس في السجن ما يستعادُ
سوى نجمةٍ في كتاب الحريق.

صحراء/ بلاد

- 1 -

ماذا أسمِّي هذه الصحراء،
وهي تدورُ بي وتدير أخلاطي،
وتمحوني كما يمحو الغبارُ حروفَه.
فسيوفُها رملٌ وماءٌ غائبٌ ورماةُ أخطاءٍ

الشاعر

هل كان يروي أنه سيموت قبل أوانه
ومتى أوان الموتِ
كيف يموتُ؟

اسمِّيها بلاداً،
كي أراها غيمةً مغدورة الأسماء.

- 2 -

صوتُها وهي تعوِلُ في الغبارِ. تعلن حضوراً شاسعاً لجيوشِ الذهبِ مستنفرةً لاقتحام كثافة الصفوف لكائنات تنبثق في أعوادٍ داكنةِ الخضرة. صوتها نحيبُ المنتصر بجراحهِ محدقاً في عتمةِ المداخل. مشحونةٌ بذعر الاندفاعات. تندفق في موجٍ رشيقٍ. يتخطى ويجتاز.

التوأم

هل أنا أمْ أنتَ
أجَّلنا مراثينا
وسَمَّينا المرايا
رَأَينَا في اللّه.

صوتٌ بعينين فاجرتين يخطُّ بأقلامٍ لامعةٍ. بحبرٍ ساطع. كلمات طازجة لنهارٍ يصعب احتماله. صوتٌ صادرٌ. هادرٍ. ساقطٌ من أقاصي الخجل. صوت يصوغ كلمات المعنى وشهوة التأويل في شغف الشعر وعنفوان الطبيعة. تحت رحمة شمسٍ منتظرةٍ في غبار الأوج.

جراح الروح

تلك الجراح الغائرة، محمولة في مستحيل الروح. جراحٌ أكنز بها جيوباً غير مرئيةٍ. مثل تعاويذ الكتب تطلع لها جذورٌ زُرقٌ. يجفُّ فيها دمٌ قديمٌ ويَصدُرُ عنها أنينٌ يسمعه الممسوسون بالتحديق في الوصايا.

- 3 -

أصغي لحشرجة الجليدِ يحُكُّ جلدي
والزجاجُ الناعمُ الوحشيّ يبْرُدُني
رخامٌ غائبٌ وحجارةٌ جمرٌ وجازٌ جاهز
وجنازةٌ كسلى وثلجٌ ناضجٌ في الليل.

رسالة السيف

كتبتُ لمستقبل المستحيلِ
لليلٍ طويلٍ
لمنعطفٍ خاطفٍ
وكتبتُ لكي أحتفي بالرحيل المحنّى بحرفٍ نحيلٍ

أقدّمُ خطوتي التالية برعشة قلبي
عيناي نحو الأقاصي،
كتبتُ لأن السيوفَ ستتبعني بالقبائل
أو بالرسائل
قبل الحتوفِ التي تسبق الهاوية.

- 4 -

نجمك الليليُّ تاريخ القبيلةِ وهي تستثني تمرَّغنا بهامشها
أسَمِّي جرحكَ المكتوبَ بالياقوتِ في نسيانهم
عنوان مَنْ ضاعوا بلا ذكرى
أسمي الجنةَ الأخرى بلاداً فرّطتْ في مائِها. أسماؤها منذورةٌ للتيه. نمْعنُ في هوامشها.
أسمِّيها، لنصقل ليلَها بنجومِكَ الحَسْرى
أسمِّيكَ، اختزالاً، قلبَها. وهي النحيلةُ كاحتباس الروحِ في جسدي. فهلْ تُجدي ثمالةُ كأسِكَ السَكرى

شال خولة

مَنْ أعطاكَ موهبة التماهي في قميص الضوءِ
ما معنى انهيارِكَ ضارعاً في شالِها
تبكي لها،
أو تصطفيها دون تسعٍ من نساءٍ يستبقنَ الحب
من أعطاكَ موهبةً لأنْ تُصغي لها
مثل انتحابة شهوةٍ تنتابنا
هل كنت تنساها وتكتبُ صيغةَ الماضي ضميراً غائباً كي تستعيدَ الماءَ في نارٍ تجللَ وشْمَها
هلْ كان يكفي أن تزيحَ الضوءَ عن جسدٍ
وتصقله بشعرٍ جامحٍ لتنال خولة شهوةَ المعنى وقاموسَ الدلالةِ
كلما انتابَ القبيلةَ خَارجٌ أدخلتَها في الماء
من أعطى يديك السر كي تحنو على أحوالها.

أسميكِ، احتمالاً، نجمةً. ليردَّني أهلي الى بلدي. شظايا إرثيَ المنهوب. لا شعرٌ لهم. لا بابَ أغنيةٍ تؤلفهم. وهامشُهمْ لنا بحرٌ وبعضُ سفينةٍ. ولهم ضياعٌ باهرُ الشكلِ. وبابُ قصيدتي في الليل
سميتُ انتحابَ الخيلِ مرثاتي، إذا ما اغتالني ظِلي.

الصورة

في ندم الغريقِ ويقظةِ البحار،
قايضتُ، انتظرتُ مؤجِلا موتي
تُرى ما المستحيل،
وما تفاصيلُ القتيل،
إذا انتهتْ أخبارُنا في ذيل أسطورة
مَنْ أَلَّفَ الصورة؟
من يستعيد خسارة في الدم
من يفهم غموضَ سجالنا وتناقض الأخبار؟

انتحاب الخيل

- 1 -

ثمةَ ما يشطرُ هذا الزفير اثنان أو أكثر
مَزَّقتَني،
قَسَّمتُ أسمائي على شاطئ

انعتاق الشهوات

- 1 -

دَع للهواءِ طريقةً مُثلى لكي يلهو بنا
دعنا ثلاثة أنهرٍ تهذي بماءٍ طائشٍ
دعنا من الأقداحِ زاخرةً بخمرٍ نائمٍ
دَعْ للهواءِ مسافةً تنتابنا
دع بابَنا الموصود مفتوحاً
ستأتي الريحُ يأتينا الترنحُ
دع مزاجَ الخوفِ يُخرجُنا عن التقويم
دع ثلجَ الرصانةِ وانتخبْ عصفَ الجنون
دع للقبيلة قيدَها واخرُجْ معي حراً من التقليد

أعطيتُ أشلائي دماً نافراً
فانتابني برقٌ كأن النفير،
يجتاحني. موتانِ أو أكثر
هل تمتحني هل تَرى حكمتي
أن تستحيل النارُ في جنتي أحبولةً
هل هذه الصحراء مستقبلٌ
يزدردُ الشارد والمستجيرْ
يرتد .. أو أكثر؟

هذي البيدُ بيتك
والصعاليكُ الزنادقةُ النجومُ دليلُكَ الليليّ
دعهم يحرثونَ البحرَ أو يَرثونه
وامدحْ لقلبك حزنه
واصقلْ له ختمَ الخروجِ ولا تَعُدْ
تهْ في ضياعِكَ واستعدْ حريةَ التأويلِ
خُذْ نفسَ المسافةِ
بين فردوسٍ حبيسٍ أو جحيمٍ مطلقِ الأحلامِ
واتركْ للقصيدةِ أن تقولكَ
دعْ لها أحوالَها واتبع هواكَ
اشربْ بلا قدحٍ
وقلْ شعراً بلا لغةٍ
ودع للأبجدية فرصةً للحب

- 2 -

شخصٌ ينقلُ خطواته الواهنة في تثاؤب أقل من الوقت وفي نأمة تختلج بسرها. تزيح الندى. وتسأل بلورة العشق عن شمسٍ تتماثل في رداء مخضلٍّ بحلم طريّ. فاضح العري. تأويلُه يسبقُ الضوء. هل الشمسُ أقدامُ آلهةٍ في القلق. هل يبدأ النهارُ في خيطٍ خائفٍ. هل الضوءُ يدٌ أمْ كلام. هل النارُ تذبلُ في زجاجةٍ. هل بابُ الوقت أم شرفة المكان. قنديلٌ يوقظ السديم وينهر البدء.

- 2 -

حرٌّ أن ترى في الرمل تاريخَ الغبار
وسيدٌ في وحشةِ الصحراءِ
وحدَكَ تقتفي ليل النهار.

- 3 -

رجفةٌ مُثلى لكي تلهو بنا أحلامُنا
أن نستعيدَ الريشَ في أقدامنا
شعرٌ إذا فاضتْ كؤوسك،
واحتمالٌ طائشٌ، فاحرسْ خطاكْ
اكتبْ لتنسى

- 3 -

هذا البردُ يحرسني ويمحوني
يبعث جندَه بعدي ويتبعني
كأني أستعينُ به
أصدُّ ضراوة الصحراء،
كي يغتالني وحدي.

وانتخبْ بابَ الرؤى واحضنْ نقيضكَ
ليتَ للصحراء عينا كي تراكْ.

براءة الوحش

حيوانٌ يأخذ من صفاتي، كل يوم صفة. يحسن أن يتحول ويصير ويصعد وينشأ مثل الأشجار. في كل صباحٍ أفقد صفةً يتخذها، فأكفُّ عن الشخص وابدأ في وصف الكائن.
حيوان يأخذني صفة بعد الأخرى.
يتقدم خطواتي
يكتبني ويقرأني ويمحوني.
أشرع في التأليف

سهرة الشغف

- 1 -

يكفيكَ. يكفيكَ
ما ينتهي في البقايا سيبدأ مثل الشظايا
لكَ الشخصُ و النص لي
انتهيتَ ابتدأتُ. تمثلتك، بعينين شاخصتين، لقدميك مأسورتين، ليديك مغلولتين، للتشهي مختلجاً
الخط والحبر والدواة. لك أنت. أنت. وضعتُ زئبق الوقت في عظامي.
وانثنيتُ. انتميتُ. في غصونٍ غضّةٍ.
آخيتُ حجراً من جدارٍ سحيقٍ. قرأتك. رأيتك
تبطنتُ ما ينهض فيكَ وما ينامُ

كأنّ كلامي خلقٌ ثانٍ
وصفاتي تتلاشى في جثماني،
وكيانه يتفتح مثل وردة.
حيوانٌ يبرأ من الوحش كلما حاز الحب.

طار بي حلمٌ
ريشك لي. وأجنحتي لريحك الهائمة.
يكفيك. يكفيكَ.

مائدتك ممدودة وشغفي يفيضُ.
كلما دارتْ زجاجةٌ طاشَ سهمٌ. و صرتُ لك الحبر في الخبز
تنتهي في البقايا. بدأتُ الشظايا
لا مسافة
بيننا دَرَجٌ بيننا حوارٌ
ربما امتزجنا. اختلجنا. ربما تقاطعتْ أعضاؤنا. عناصرُ تقرأ. تكتبُ. أنا
الحرف والكلمات. ربما انتحلنا الصفات
استحلنا.

النجوم في الشرفة

- 1 -

لدينا الأساطير،
نحن ضحايا الرواة، ويقتلنا السَردُ
أخبارُنا سَفَرٌ في السَراب
يختبرُ الموتُ أشعارَنا.
كلما طاشَ عقلٌ لنا، جُنَّت العاشقاتُ

- 2 -

بدأتُ من شخصك اللطيف،

من الهمهمات والوشوشة،

مما يسمى أول الحب. بدأت من الطير يخطئ الشراك. مما سيكفي من الولع، ويمسّ الشهوة، ويصقل النص. نعمةٌ خيطكَ القديم في قميصيَ دفءٌ ودرسٌ لجناحين والريح تسأل.

يكفيك. يكفي

أقول ما لم تقل. ما سهوت وما نسيتَ وما ضاق وقتك عنه. كلما أصغيتُ استيقظَ وقامَ. بيننا الوقتُ بيننا المكان. بيننا ما يشفُّ عن الأشباه والنقائض. لستُ لكَ ولستَ مني. بيننا الأسلابُ والملوكُ

ولنا الخيطُ والقميص.

واستدارَ الندامى يُغنّونَ للغيم فصلَ النهايات

فَصْدَ الدماءِ الحبيسةِ، سردَ النقائض

نقرأُ في دفتر الماء أسماءنا

أمل

لم تزلْ أملاً لنا
أحفادُ أحفادٍ هنا
أسلافُنا كتبوكَ في نصِّ الوصايا. كلما متنا تذكرنا
كأنك غائبٌ لا تستعاد
كأنما للبحر صحراءٌ تضيّعه
وأنتَ قميصُها المهتوكُ
تطلبك الملوكُ، ويستعيرُ مجازَكَ الصعلوكُ
شعبٌ يائسٌ.
أملٌ لنا..
– متنا انتظاراً أو تمزقنا شظايا–
.. أنْ نؤلفَ جنةً

- 2 -

لم تكن الشرفة تَسَعُ نجومه وهو يستريح في سهرةٍ طويلة. ليلٌ ليِّنُ العريكة، يخرج من مجابهاته. يذرع النوم بين الحلم والكوابيس.
طاب للشرفة أن تندلع بتسعة سلالم من حبالٍ مغزولةٍ بأكثر المُقَلِ بياضاً لفرط التحديق وأكثر المحاجر دكنةً لفرط السهر.

ونخطُّ في قرطاسِها من كأسِك المكسورِ
شعراً أو نبيذاً
فاهدِنا .. أنْ لا نموتَ قبيلَ موتِك.

- 3 -

بردُ الوحيدِ علامةٌ للفقد
لا امرأةٌ، وخولة وحدها
لا سَيفَ لي
والكأسُ تاج الماء في عِلمِ الكحول
بردٌ سيزدردُ الفصول.

الحرية

يا صديق المسافات
يا لاجئاً للفلكْ
بيتك حرية الروح
في المفازات
أو في المنافي
بلادك
تلك التي كلما جئتَها سوف تعطيك
لا تستبيحك أو تسألكْ .

- 4 -

لم يكن لي بين البحرين والحيرة غير خيطٍ من الولع. أجلس مكان الشمس اقرأ الكلمات. أتهجى أبجدية الكشف. شمسٌ تذرع المسافة بين الحانات، تضيء لي خطواتي نحو الكرمة الكريمة في أقبية الحيرة. حيث الجِرار في قامة الشخص الناضج. أقف عليها تسعة أيامٍ حتى أدرك ثمالتي. خيطُ ولعٍ أمشي إليه فيأخذني إلى حانة شهلاء. في هواء الحيرةً الأبيض العليل الذي لا تصيبني علة فيه.

يضطرب قدحٌ في يدي ذات ليل، وتنسكب خمرةٌ على طرف التخت، أشعرُ بدفء شهلاء وهي تضع يدها تحت إبطي. تجلسني على بساطها.

طفولة

لم تزل طينةً
هذه الأبجدية
لم تزل بكراً في ماء الخليقة
لم أزل طفلاً ولي حق ابتكار الكلمات
لي شعر البداية
وهي تصحو في سبات البشرية.

امرأةٌ جميلةٌ من بنات الحيرة اللواتي يعرفن من الشعر ما يكفي لأن يصغي شاعرٌ إليهنّ وهن ينشدن. في الحيرة ليس من الحكمة أن تقول الشعر فحسب، لكن ينبغي لك أن تسمعه، فتصدِّق أن ثمة شمساً ثانية تسكنُ ذلك الغيم، بمعزل عن المُلك والمملكة.
خيطُ ولعٍ يضع الحيرةَ في مهبِّ الفتنة. ليس لي في الحيرة شيءٌ يستحق السعي إليه غير الخمرة والخطّ.

كونشيرتو الضياع

ضاعَ على رسلِه
أغفى على فرسٍ ضائعة
أضاعَ بوصلة الوقت
أرخى خريطته كي يضيع
لم يضع مثله شاعرٌ
لم تضيِّع بلادٌ فتىً مثله
ضَيَعه الضائعونَ
كلما ضاعَ في ليلِ أحلامه
أضاءت له الخطواتُ الطريقَ
على رسله
ضائعٌ.. ويضيعُ
ويحنو عليه الضياعُ.

مرآة الأعمى

- 1 -

يكتبُ الأعمى عن الضوءِ. ويَروي أنَ بابَ الليلِ قنديلٌ بعيدُ
ما الذي يفعله الأعمى إذا شَطَّتْ به أحلامُه، وتوارى في التجاعيد الحديدُ
هل يرى الصحراءَ قيداً

التجربة

عانيتُ ما يكفي،
قلبٌ تَمَزقَ في اندلاعاتٍ وفي لُججٍ
وقصيدة تحنو على ضَعفي
وسلاحُ أهلي فاضحٌ أضعافَ ما يُخفي.

- 2 -

هل له أجنحةُ المهدورِ
هل يقرأ شعرَ الموتِ في الأحياء..
أمْ أنَ يداً تَملكُ تاجَ الضَوءِ
تَهدي قلقَ الأعمى ويَهديه النشيدُ.

خذلان

لم تكنْ لي في كتابك آيةٌ أمحو بها حزني قبيل الموت
تذْكر؟
كنت وحدي أستعيد الصوتَ
حين انتابني قتلٌ دعوتَك كي تصدَّ السيفَ حولي
... لم تكنْ لي .

- 3 -

هنا،
في برهة القلب المولع بإيقاع دمه في الأروقة. لذَّ لليل أن يحلَّ شكيمةَ المأسورين تحت الشرفة، ويطلق كائناتٍ غضّةٍ ويرقبها وهي تتأوَّد محتدمةً تتراكضُ مندفعةً لتمسك بأطراف حبالٍ مفتولةٍ تتصاعد نحو سماءٍ غائمةٍ في رحيلٍ يضاهي إسراءَ الملاك.

من أين ابتدأت

من أي البلاد أتيتَ من أين ابتدأتَ
البيتُ أم زنزانةٌ أم حانةٌ
من أين يبدأ شاعرٌ، فيصير ورداً
هل بلادك جنةٌ مفقودةٌ
من أين تبدأ عادةً ولديك ما يكفي من الأخطاء
بيتٌ أم بلادٌ أم فرارٌ شاسعٌ
من أين أسماءٌ لديك
وإخوة ترثيك قبل الموت
أيان ابتدأتَ لديك ما يكفيك
تيهٌ ضائعٌ
ولديك خيلٌ نافرٌ ولديك كأسٌ تاسعٌ

- 4 -

أصغي،
فيصعقني دبيبُ الدمِ
رملٌ باردٌ ويدٌ
كأنَ الله أطبقَ هذه الصحراء فوقي،
واصطفاني سيداً للوحش
هذا البردُ لا يكفي لكي أصغي له وحدي، فمن يبكي معي في ثلج هذا الليل
دفءٌ نادرٌ للروح يقرؤني ويؤنس وحشتي ويذوبْ.

اذهبْ لتشربْ
وابتدئ من حانةٍ تهذي وتبتكر المكان
هذي بلادٌ سوف تنسى ظلها
فاصرخ بها تصغي إليك.

ليست بلاداً
ربما رملٌ غريبٌ ربما جُزرٌ وتنكر أهلها
إرجعْ لها
هذي بلادك
أينما يممتَ وجهك عُدْ لها.
بيتٌ ونصفُ زجاجةٍ. وثلاث دوراتٍ من التأويل. لا امرأةٌ لتهوى. لا عدوٌّ صادقٌ. والكأسُ لا تمحو فراراً. قل لنا من أنتَ. من أين ابتدأتَ. وكيف طابَ الشعرُ في البحر الطويل.

الأقحوان*

لك ما تشتهي
يصعد الطينُ كالعطر في الأوكسجينْ
لك ما تشتهي
مَلكٌ أو سجينْ
لك ما تشتهي
حصةٌ في الحنينْ

وأنت في الصحراء تزدرد الغيابَ
فقل لنا من أين تبتكر الكتاب.

لك ما تشتهي
يهرب الشعراءُ الى الحيرة الفاجرة
لك ما تشتهي
نجمة ساهرة
لك ما تشتهي
لغة الله في الآخرة.

جنة القلق

كنتُ في برزخِ النار. ما أوسعَ العيشَ فيه
أكثر حرية مما يُسمى حياة
يفتح اللّه لي طاقةً
- كنتُ سميتُها خولةَ الحلم-
أرخي بها جنةً مشتهاة
كأن النجاة أراجيحُ موصولةٌ بالغسقْ
مَنْ رأى جنةً حرةً في القلقْ
نجمةً للجهات.

المكنان

سينالك حال أن ترخي حصانك مقبلاً على راحة أعضائك بعد مسير النهار والليل في بردٍ ثاقبٍ وشمس فاجر. وريقات أصغر من خطوات القصائد. صفراء بحمرة مكنونة مكنوزة بعطرها تتكلم مثل بلورٍ يهطل في قصعة اللبن. ما إن تضع لجام خيلك في أرضٍ حتى يصعد إليك رسول الغبار يستدعيك فترخي ساقيك في ظل خيلك تصغي لرائحةٍ طالعةٍ تصعدُ لك وتصعد بك فترى غيماً يخفيك عن سواك، فتأخذك غفوةٌ تظن أن الليل هو الحلم كله والعمر جميعه.

نساء

يقول: النساءُ المليكات أغويننـي
يقول : .. ومَلَّكتهنَّ الأغاني الحميمات
من خيط شعريَ
جَرَّدْنَ لي عارياتِ السِهامِ
ليفضَحننـي
يقول: .. ويقتلننـي
يقول: أهذا لأني تجرأتُ
شَبَّهتُ ماء المليكات بالسَوْسَنِ.

الخزامى

غيَّرَ الخدُّ مجرى الدمع لئلا يوقظ الجمرة النائمة. شهوة في مهدها. ترقب خطوات البكاء. مطرٌ سوف يحكي عن الفقد
هل قلت غيماً يغير لك اللذة وغدر الوقت
هل قالت الأرض لك. فتنة للطبيعة أن يأخذ الماء شكل الهجوم
مطرٌ هاطلٌ مستمرٌ وبردٌ ومسترخيات
غيَّرَ الخدُّ شكلَ الطبيعة في البوح.

الخمر والقدح

وكنتُ إذا ما أمعنتُ في الشعر، وتوغلتُ، وفاضتْ الخمرةُ على القدح، ذهبتُ إلى النثر لأجد نفسي في تخوم جديدةٍ. والجديدُ غريبٌ وجميلٌ في آن، ما إن أضعَ قدمي على حجرٍ شَبَّ، أو أغمسها في طينٍ هَبَّ، فلا أخرجُ من النص إلا ملطخاً بالأحبارِ والخطايا، متشظياً مترنحاً مشحوناً بالريح والأجنحة .. فيسألني بعضُهم:

وما النثرُ يا رجل؟

فأقول: إنه الشعرُ عائداً إلى البيتِ وحده.

الشقاري

أشقرٌ مستهامٌ يسعى الى شفتيك

كلامٌ هو الذهب المستعاد إلى أصله.

كاس البحر

إذا طاشَ ماءُ الجنونِ به، وهو في اللجِّ،
جَرَّدَ محارةً حرةً
ليصوغ بها يأسَه
ثمّ يصغي لبحر النحيب الغريب
الذي فاضَ في كأسِه.

الحريث

يومٌ يلوِّح بأوراقه التي تشهق مثل الصلاة. يباهي الحياة. أغانيه تحرس خطوات القصيدة. تمسح عن شاعرٍ صهدَ الكتابة. مثل التعاويذ قبل العناق وبعد الشبق
سبحان هذا الشفق يقبِّلها ثم يضحك
هل يلثم الحبُ قلبي. دع الأرض تنشر أخبارَها
حرةً في كتاب القلق.

أزل

لا تزال القبائلُ فينا
لا يزالون يستحضرون لنا وقتنا الأزليّ
في خطوهم فوق آثارنا محْونا
لم يعد ممكناً أن نقدِّرَ
هذا الذي قادَ أسلافنا،
شاعرٌ أم نبيّ.

العرفج

صفراءُ تضحك مثل ضوءٍ يندفق فيوقظ صمت الصحراء. صفراء. بينها وبين الطين لغةٌ ودَرَجٌ يصعد حتى مقعد الريح. كل خيمة تنتخب زهرة الذهب وتغفو قبل المساء. تضعها العروس في جيب فستانها وتذهب الى الحفل. عندما يبدأ الرقص، على الموسيقى أن تقرأ خطوات الذهب السكرى لفرط الرحيق.

ماذا تريدون منّي؟

كيف تريدونني أن أراه،
وهو مستوحش في تجاعيده
كيف لي أن أميز إيقاعه
وهو يخرجُ في كل يوم على الوزن
ميزانه أنه واحدٌ والملوكُ كثيرون
أن القبيلة تقتله والقضاة يرون
كيف تسمونه العبدَ وهو على صهوة الريح حرٌّ

ماذا ترون بأشعاره النادرة، غير أخباره الخاسرة
تريدونني أن أرى ما ترون

الصقل

بين نهرين من لبن الجسد النبويّ، يسطع زهرُ التآويل حيث لا شعر قبل الشهيق. كأن الرحيق الإلهي يصعد في الطلع. في زهر الشهوة الفاجرة. بين ساقين. في الملتقى. في قصب الجنة المشتهاة. ستبقى الخسارة بعد النجاة. زهرة مصطفاة.

* الأقحوان –المكنان – الخزامي – الشقاري– الحربش – العرفج– الصقل : نباتات صحراء الشاعر.

أيها السادرون بعيداً
سيبتعد الآن أكثر
إن الخراب الكبير الذي تشِيدُونَه، دُونَه
شاهقٌ مثل عيد الرماد
أسمع الآن صوت الهشيم
فهل تدركون الذي تفقدون
طفلكم طفلُ أحفادكم
تفقدون الحروف القتيلة في النص

ماذا تريدونني أن أرى،
غير هذا الشهيق الممزق في كبد الطفل،
في وردة الريح يسرقها الآخرون
وحيدٌ ومستوحشٌ
ويشرد مستنفراً
لا أرى في القصيدة حرفاً سواه.

تَـقَـدّمْ

ثقة الإشارة فيك
نزوة تصطفيك
وتغنيك
تعطيك أنخابك الباكرة
تَقَدَّمْ وفكّر
صديقٌ ساهرٌ في انتظارك
قُدْهُ بنارك
واتركْ قصيدتك التي سوف تأتيكَ
تأتيكْ

تَقَدّمْ
كلما أخبارك استعصتْ على التفسير
تفديكَ
مثلما ذئبٌ يعبُّ الكأس في صخب
تَقَدّمْ،
ينتهي الموتُ الذي يفنيكَ
والمعنى سيغنيك
وتأويلك سُلَّمْ،
فتعلّمْ.

في رفقة السيد الضخم

(كتاب الشعراء)

«نَدَامَايَ بِيْضٌ كالنُّجُومِ»

طرفة

(نقلت مرويات العرب أخبار شعراء عرفوا طرفة، سبقوه أو عاصروه أو أعقبوه، عاشوا في أمكنة مختلفة وأزمنة متباينة. ذهبنا نختار شذرات من أشعارهم، ونتخيّلهم شركاء في رسم صورته)

«كل ما بين هلالين مزدوجين هو من نصوص الشعراء المشار إليهم»

عدي بن زيد العبادي

قال : « البَسْ جديدَكَ ..»

سيقول:

لم يكن ليذهب إلى بلاط الملك. نفورُه يتجاوز القصرَ، وأحلامُه أبعد وأغنى. سيجدُ في الحيرة من نعمة المعرفة ما يُغنيه عن الجاه والعطايا. ليتَ الوقتَ اتسعَ له. فقد كان ينهل من نهرين: الحروف والحانات. غير أن البحرين كانت قاتلة له.

النابغة الذبياني

قال: « فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيعُ الناس والشهرُ الحرامُ»

سيقول:

إذا لم تكن تمدح المليكَ
وتصقل جوخته كل يوم،
فمنْ أين للشعر سَطْعُ النجومِ.
وأي درسٍ بلا حكمةٍ ستتركه لشعرٍ يليك.

قال: «حتى إذا لَمِع الدليلُ»

سيقول:

لو أنَّ امرأة طوته بدفئها لكانت حَمَتهُ من جَور الحياة، ومَنَعَتْ الموتَ عنه. ليس مثل الحب حِصنٌ ضدّ المكان المعتم والزمان المنصرم.

وما كان له أن يموتَ باكراً.

الحارث بن حلزةّ

قال: «لا تخلنا على غرائك إنا قبل ما قد وشى بنا الأعداءُ»

سيقول :

واللّه إنّ وشايةً قد وضَعت طرفة في مهب نيران آل محرق. ملك الحيرة. عمرو بن هند. الذي لم يكن يصغي لشعرٍ لا يسمعُ فيه مديحاً له.

أوس بن حجر

قال : « نُبئتُ أن دماً حراماً ..»

سيقول:

كلما نجا شاعرٌ من مديحٍ، نالَ الرثاءَ الكامل الجميل. وحفظ للشعر المكان والمكانة. لم نصدر مما جاءَ به طرفة. ولن يَذهبَ إلى ما ذهبنا إليه. امتدَّ بنا العمرُ للندم. أما هو فلا.

الممزق العبدي

قال: «هوالموت خيرٌ للفتى من حياته إذا لم يثبْ للأمر إلا بقائد»

سيقول:

لم يعرف الخوفَ

تلك جريرته

والجريئون لا يَسلَمون.

علباء بن عوف بن وائل

قال: «أخذتُ لدينٍ مطمئنٍ صحيفةً وخالفتُ فيها كل من جارَ أو ظلمْ»

سيقول:

ننتمي لأرومة طرفة
وتطالنا قصيدته التي رأتْ الموت وهو يحدّقُ
قال لنا الدرسَ باكراً:
«قلْ ولا تخف أو خَف ولا تقل»
أما هو فقد قال.

سحيم عبد بني الحسحاس

قال: «شُدّوا وثاقَ العبد لا يفلتكمُ إنَ الحياة من الممات قريبُ فلكم تحدّرَ من جبين فتاتكم عرقٌ على متن الفِراش وطِيبُ»

سيقول:

شُدّوا وثاقي
هذه ناري. وأعرفها
ستكون لي عطرَ العناق
وجنةً تهتاج بي
نارٌ ستطفئني وأحرقها
شدّوا على ليل من الشهوات
خلّوا خولة المقتول
في سجن السرير
وجهزوا لي النار
أبرأ في جحيمي
كلما فاض النبيذ على يدي
شدّوا وثاقي هذه ناري
وشهوتها سعيري والدم الباقي دمي قبل احتراقي.

عمرو بن كلثوم التغلبي

قال: «وإن الضغنَ بعد الضغنِ يفشو عليك ويخرج الماءَ الدفينا»

سيقول:

شاعرٌ أجمل من الملوك جميعهم

كيف يجرؤ عمرو بن هند على قتله.

لقد أتاحت لي أمي شرفة ذهبية أمنح منها طرفة تاجاً لا يطاله الملوك

لئلا يجرؤ ملكٌ على شاعرٍ بعد ذلك.

المتلمّس

قال: «لعلك يوماً أن يسرك أنني شهدتُ وقد رُمَّتْ عظاميَ في قبري»

سيقول:

تعرف الآن أنك وحدك
وحدي تركتك
أسلمتك للنص
يروونك
يروون عني بأني
تهجيت في غفلة الراوية
كتاباً سيأخذني هارباً
وفيما تروح إلى الهاوية
تعرف الآن وحدك تعرف
أنك أسلمتني للبلاط
الذي سوف يغتالني
تعرف الآن أنا وحيدين ضعنا
على صفحة نائية.

يزيد بن الخذاق الشني

قال : « ... فانظرْ بسيفِك مَنْ به تُردي..»

سيقول:

أعددتُ شموساً أصعدُ بها أوجَ ذلك الفتى الباسل

نضع للسماء سيفاً يعرف من أين يأتي ويدرك إلى أين يذهب.

ذلك هو سيف الشمس والغيم غمدٌ له.

الذَّهاب العجلي

قال: «به الْبَقُّ والحمّى وأسْدٌ خَفِيَّةٌ وعَمْرو بن هند يَعْتَدِي ويَجُورُ»

سيقول :

لا تقل للهواء إنني هيأتُ للنوم
قل بعض أخبار خولة
وهي الوحيدة في الليل
لا تقل للهواء عن الوله الطفل
عن وحشة طالت الروح
عن مستحيل الفتى
وهو يمضي إلى الموت
مثل الشهيد
لا تقل للوليد
عن المستقبل المرّ
قل للهواء الجديد.

عبيد بن الأبرص

قال: « فكل ذي غيبةٍ يؤوبُ وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ»

سيقول:

تداركتَ أرواحنا بزهرة الزنجبيل
وبالعنفوان النبيل
بالرفض في العطر والرائحة
بلهجتك الفائحة
وحررتَ صوتاً من الشعر فينا
من الذل و «النابغة»
من المدح حتى حدود الحضيض
حتى التبذل والكسب بالشعر
حتى خسارتنا الفادحة
لقد كان ختماً كئيباً
فأشرقتَ بالفاتحة.

لبيد بن ربيعة

قال: «سأستمتع بموتي لجدته لكنها جدة غير محبوبة»

سيقول:

ليس ميتاً، هذا الذي يحضن نحيبك وأنت في وطأة الفقد. ليس سوى جمرة في الحنجرة. زمنٌ يتمطى مثل عقارب الفولاذ

كأنك في لحظة البدء تفقد روحك في الكلمات والحروف فيما تحترق في أبجدية تخذلك.

أبجديةٍ لك كأنها عليك.

المثقّب العبدي

قال: «فإما أن تكون أخي بحقٍ فأعرفُ منك غثي من سميني
وإلا فاطَّرحني واتخذني عدوا أتقيكَ وتتقيني»

سيقول:

لا تؤلفْ لهم شعرَهم
اقرأ عليهم وصاياكَ
واصقلْ زجاجَ انتظاراتِهم بالرؤى
وانتظرهمْ هنالك
وانفرْ بهم
علهم يستفيقون
وانهرْ بصوتك
قلْ إنّ بيتَ القصيدة والأصدقاء
الذين ستسطعُ شمسُ الحقيقةِ في صمتهم.

المنخّل اليَشكري

قال : «واستلأموا وتلببوا إنّ التلببَ للمُغِير».

سيقول:

ضاعوا برمل ملوكهم وتذكروني
ونسوا قوافلهم على بِيدٍ مسورةِ التخوم
مدانةً بالقتل شاخصةَ العيون
تركوا الفتى المغدور في حوش الوحوش
ويمَّموا نحو المتاهة
ينهلونَ الرملَ من عطشٍ
يطاردُهمْ جنوني
عشقي يقيدني أنا حرٌ
وهُمْ أسرى ضياعهمُ
وطرفة سيدٌ ضخمٌ
وتقتلني ظنوني.

الأسود بن يعفر

قال : «... لمَ الخليُّ ..»

سيقول:

ليته نالَ نوماً غير مغصوب. صادفتُ خطواته في رمال الليل. هائماً. شارداً. عيناه تشعان في العتمة مذعورتين. صادفته في القصيدة في الكلام القصيّ من النص وهو يؤجل أخطاءه كي يموت وحيداً. لكنه لم ينم. كيف يصغي شاعرٌ مثله لأحلامه وهو في قفص المطاردات والدم الطائر المطلوب.

صَحَّ له أن يخسرَ

ويصحُّ لهم الندمُ على ما يربحون.

المرقش الأصغر

قال: « أمِنْ حُلم أن تسكتَ واجماً
وقد تعتريَ الأحلامُ من كان نائماً»

سيقول:
سيدٌ يسعى إليه
ويروي العطاشى بشعرٍ من القلب
لن يعرف الرملُ في نومه
شاعراً ذادَ عن أمه
مثل طرفة
مثل انبثاق التراتيل تسعى إليه
فيسقي السكارى على رسله.

قال: «قفا فاسمعا، أخبركما إن سألتما»

سيقول:

نلتُ كتابَ قتلي من الملك القديم
وها أنتم تقرأون كل يوم كتاب موتكم من ملوككم
دونَ أن تتعظوا أو تفهموا الدرس
لعلكم تستحقون ذلك.

عنترة بن شداد العبسي

قال: « إني امرؤ سأموتُ إنْ لم أقْتَلِ»

سيقول:

أما بعد،

فبعضُ الحب قتلٌ إذا لم تضع السيف في مكانه. وما كان هذا من فعل الفرسان. فإن لدى طرفة من بسالة القلب ما يؤهله لأن يقود صعاليك خيمتِه خارجَ مضارب البدو. وبعيداً عن أحياء الحضر.

رأيتُ أن يأتي شاعرٌ يلجأ إلى الشعر ويلوذ بالقصيدة،

فيجد فيها الحنان المفقود.

عروة بن الورد

قال : « أقسِّمُ جسمي في جُسومٍ كثيرة ...»

سيقول:

أطلقْ عبيدَك
أو تحرَّر من عبيدِك
لستَ في ظلٍ
ولا شمسٌ ستحمي شمعك المنذور
دَعْ للنور يفتح كوةً في قصرك المأسور

أطلق قبل أن ينساكَ عبدُكَ
وانتظر وانظر وراءَك
لم يعد أسلافك القتلى يرونك
غيرَ خيطٍ في المدى المحظور
أطلق عبدك الباقي
فثمة شاعرٌ في قيده المكسور.

المسيب بن علس

قال : «ولقد رأيتُ الفاعلين وفعلَهم»

سيقول:

كأننا في الحلم. كلما التفت أحدُنا وجدَ سيفه في غمد الآخر. فلا نهُبُّ إلى حربٍ، ولا ينتابنا قتال.

ليس بيننا سوى خيط من الشعر. هو جسرُ الخرافة التي يؤلفها الناسُ في الليل، وينقضونها في النهار

وما يبقى منا هو الحب.

قيس بن جروة الطائي

قال : «فقد يترك الغدرَ الفتى وطعامُه إذا هو أمسى، حلبةٌ من دم الفصد»

سيقول:

لعمري إن طرفة قد وضع دمه في موقد النيران من غدر الملوك.
والحق أن في ذلك مقتلاً لمن لا يأخذ الشعرَ آلة للتاريخ
وبوصلة للعدل
ومرآة للشمس.

ابن أبي الرعلاء الضبياني

قال : «ليس مَنْ ماتَ فاستراحَ بِمَيْتٍ إنّما الميْت ميّت الأحياء»

سيقول:

حتى إذا ما استقر القاتلون في وهم راحتهم. ثارت في نفوسِهم صورُ
الندم الذي يضع لهم العذاب في البيت والوسادة
وما عليهم إلا أن يقتلوا شاعراً فيدركوا ذلك.

لقيط بن زرارة

قال: «إن خير الملوك أفضلهم نعمة في الرقاب»

سيقول:

فارباً بكأسك
واشتمل نخبَ النديم
ولا تصدّق أن هذا التاج لك
سيقالُ لك
ولسوفَ تُعطى جنة
وحديقة الأحلام والشمس البعيدة كلها
فيما يُعدونَ المشانقَ والجنازةَ
والرسالات الأجيرة تحتفي كي تقتلك.
اهنأ بخمرتك النبيلة لا تصدقهمْ
قضاةٌ، مجرمونَ،
يؤجلون القتلَ حتى تغدرَ النيرانُ
لكن
سوف يُخبرك الحقيقةَ مَنْ هَلَك.

الخرنق

قالت: «أَلَسْتَ تَرى القَطا مُتَوتراتٍ
وَلَوْ تُرِكَ القطا لغَفَا وَناما»

ستقول:

أبكي على شجر الأراك
كأنه طفلي
لم يبق في ماء القصيدة شاعرٌ
يا وردة القتل
أبكيك أم أبكي إليك
كأنني، عند انتظارك،
ثاكلٌ مفقودةُ العينين والأهل
دع لي قميصك
بعضَ أشعارٍ، رقىً مسحورة، ولعاً حزيناً، طيشَ فتيان،
أخبئه هنا، وأموتُ في شجنٍ على مهلي.

سلامة بن جندل

قال: «صَرفٌ ترى قعرَ الإناء وراءها تودي بعقل المرء قبل فواق
ينسى للذتها أصالة حلمه فيظل بين النوم والإطراق»

سيقول:

طائشاً
كان الفتى في ليل خمرته
ومراهقاً، غِراً صغير الشعر
لا يقوى على الشكوى وجمرته
قليل الخيل غضاً في عريكته
تمادى مولعاً شغفاً
إلى أن فاضت الأقداحُ في دمِه.

أفنون التغلبي

قال: « ... إن الحتوف كثيرة»

سيقول:

أن نأخذَ بثأره الآن

وهو في نشوة الموت بالنبيذ.

الربيع بن زياد العبسي

قال: «يرى الشاهدُ الحاضرُ المطمئنُّ من الأمر ما لا يرى الغائبُ»

سيقول:

تلك الموسيقى الوارفة
ذلك الدم الضاجُّ في الأوردة
كل هذا القلب الجارف كالعاصفة
أمضيتُ العمر كله باحثاً له عن اسم آخر غير القصيدة
فما وجدت غير طرفة.

زهير بن جناب الكلبي

قال: «طحنتهم أرحاؤها بطحونٍ ذات ظفر حديده الأنياب»

سيقول:

فإذا كان طرفة قد ذهب إلى عمرو بن هند مبعوثاً لاستصدار حق أهله في العيش. فقد وقع في الخديعة مثل الطير في الفخ. ليس من الحكمة الذهاب إلى خصم بوصفه حكماً عدلاً. لقد خبرتُ ذلك عندما فعلتها. وقد عالجتها بالنبيذ قبله .. مثله.

أبو قردودة الطائي

قال: «إن الملوك متى تنزل بساحتهم تَطِر برحلك من نيرانهم شرره»

سيقول:

أما وقد أطعتُ مشورة زوجتي «كبيشة» فنلتُ الخيبة. ولم يسمع صديقي ابن عمار مشورتي فنال القتل. إن طرفة لن يكون بحاجة لمشورة شخص مثلي، وهو العارف بغرائز الملوك، القابض على جمرة الشعر وهي الأرحم على الشعراء.

عمرو بن قميئة

قال: «أتاك عدوٌ فصدّقته فهلّا نظرت، هُديتَ السؤالا
فإن كان حقاً كما خبّروا فلا وصبتْ لي يمينٌ شمالا»

سيقول:

لكأن في الأحفاد دماً شارداً في البرية. صوته ساطعٌ وجريحٌ. يحق أن تمدحه الملوك وينالُ التاجَ والتختَ والصولجان. في الأحفاد جرسٌ أيقظ الأسلافَ من سباتهم. أحفادٌ يتوهجون كلما توغلوا في الموت. يمضون باكراً مثل الشمس في يوم غائم. دمهم في كتابنا والقراءة في الناس.

شريح بن الحارث اليربوعي

قال: «همُ ملكوا الأملاك آل محرّق وزادوا إلى قابوس رغماً على رغم
علا جدهم جد الملوك وأطلقوا بطخفة أبناء الملوك على حكم»

سيقول:

المديح تاج الشعر
والشعر إنما هو لتبجيل الملوك
وتمجيد السلالة درة الرسالة.

باعث بن صريم بن ثعلبة

قال: « سائل أسيد هل ثأرتَ بوائلٍ أم هل شفيتَ النفسَ من بلبالها
إذا أرسلوني ماتحاً لدلائهم فملأتها علقاً إلى أسبالها»

سيقول:

غير أن الدلاء لا تمتلئ ..

والدم لا ينتهي.

عصيمة بن خالد بن سنان بن منقر

قال، بعد أن رمى رمحه في رقبة حصان النعمان بن المنذر:

«وراءك أيها الملك الضروط. فلو شئتُ أن أضعه في غير هذا الموضع لوضعته».

سيقول:

كان عمرو بن هند يرى عبيداً يذهبون إلى مديحه،
ولم يكن طرفة عبداً،
فلم يمدح ولم يذهب إلى ملك
واكتفى بالشعر عن كل ما يحط من شأنه.

حجر بن خالد

قال: « .... فلم أجد كمثل أبي قابوس حزماً ولا نائلا»

سيقول:

لم أكن أمدح.

لقد كنت أصف كرماً ونعمة، يغمرنا بها أولئك الملوك، الذين توارثوا الرفعة، والاحتفاء بكل من يقصدهم من الشعراء.

تلك هي تحية من يدعوك ويلبيك ويذهب إليك.

جابر بن حني

قال : «نعاطي الملوك الحق ما قصدوا بنا وليس علينا قتلهم بمحرم»

سيقول:

كنا قتلنا جميع الملوك
غير أن الدم لا يعيد الدم
لكنه يفتح دماً آخر.

حسان بن ثابت

قال: «لسانِي صارمٌ لا عيبَ فيهِ وبَحري لا تكدرهُ الدلاءُ»

سيقول:

لقد كنتُ أحضرُ مجلسَ النبي وجبرائيل ينصرني،

فيما النبي يستشهد بشعر طرفة.

عمر بن الأطنابه

قال: « ... يُشفون بالأحلام داءَ الجاهل»

سيقول:

كلما اختلفَ النحاة على خلقه
أخفقَ الرواةُ في قتله،
يجتازه الغافلون لفرط المسافة بين الرمح والرماة
ويتمجّد به الحالمون لخروجه الشاهق
عن الخلق والخالق والخليقة.

عمرو بن ملقط

قال : « إنك قد يكفيك بغيُ الفتى ..»

سيقول:

لم يزل في مستهل الشعر،
قال لنا وقال عنا.
فتىً جاء كي يسألَ اللّه ويؤنس المستوحشين
بكتابٍ تعزفُ الجنُّ به.

أبو دؤاد الأيادي

قال: «... لا يرسل الساقَ إلا ممسكاً ساقاً»

سيقول:

كان سفره «يشقُّ حبابَ الماءِ»، غير أن البحر أضيق من سفينته، تفيض سهرته بالنبيذ، كأنه كلما انتهى من كأسٍ طلب كأساً ثانية، لكأنما الخمرة هي خيره المنتخب في عالم الشرور الذي يحوط به ويطارده ويطلب دمه. حتى قال: «أيأسني من كل خيرٍ طلبتهُ».

عبد القيس بن خفاف البرجمي

قال: «... واجذذ حبالَ الخائن المتبدلِ»

سيقول:

قَلَّ كلامُه،

فقيلَ الكثيرُ عنه،

وقيلَ كثيراً عليه.

علقمة بن عبدة الفحل

قال : « لم أدر بالبين حتى أزمعوا ظعنا ...»

سيقول:

خرج عن جنة مسورة بأحداق زجاجية وآلات ثملة تنداح في ماء مخمور في سماء حائرة تتطوح لفرط الأخلاط المهتاجة وفرط الشهوات. بَشَرٌ يرحلون في موتٍ وشيكٍ بلا اكتراث يضيئون عتماتهم بالرماد ويضللون الخيل والسابلة.

ورقاء بن زهير

قال: «..... يُريدان نصلَ السيفَ والسيفُ نادر»

سيقول:

كلما اكترثَ الموتُ به،

جَدَّتْ الأشعارُ تحميه وتحرسه.

ضمرة بن ضمرة

قال : «مهلاً أيها الملك، إن الرجال لا يكالون بالصيعان، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه؛ إن قاتلَ قاتلَ بجنان، وإن نطقَ نطقَ ببيان».

سيقول:

تعفَّفَ عن موائد طهاةٍ يمدحون المراثي، أحداقهم تشق الأفق وترخي الأستار على تسع نساءٍ في خدور الليل. نسخوا لنا الكلام الأخير للباطل عن بغاة العرب وبغاياه، في تاريخٍ يشير لحقوق الغيم المهدورة. تعفَّفَ طرفة فتخفَّفَ من أوزارهم.

عدي بن مرينا

قال: «... فلا تجزع وإن رثَّتْ قواكا»

سيقول:

لولا ذئابٌ تحرسُ الميزان له لانهارت أفلاكنا، وتصدعت أبراج شيدناها لنصدَّ عالماً نطل عليه من الأعالي

صادفته في وحشٍ بين القصيدة وحانة شهلاء، هائماً في سديم المعنى، فلم تكن الأبجدية تكفيه.

أمرؤ القيس

قال: «أحار تَرى برقاً أريك وميضة ..»

سيقول :

لن يسعى إلى مُلْكٍ مثلما سعيتُ
لقد كان يرى وميضاً أحلى وسوف يذهب إليه.
وسيغبطه الملوك على حريته،
كأني أقرأ له ما كتبتُ.

نحيب الجبل وهو يحنو

(كتاب الشهادات)

كلام الله في فمه

(فصوص الحلم)

«كبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ»

طرفة

«يَجُوْرُ بِهَا المَلاَّحُ طَوْراً وَيَهْتَدِي»

طرفة

إفساد لا إصلاح معه

رواةٌ يرتجلون الشعرَ قبل الخبر. أشهرُهم «حمّاد الراوية» أضعفُهم ثقةً كلما تعلقَ الأمرُ بتماسك الرواية وصِدقِ المصادرِ ونزاهة الضمير. كان أهلُ البصرة يُضَعِّفونَ أخباره، ويذكرونه مضطربَ الصنيع مسارعاً لارتجال المنسوب.

سأله شخصٌ ذاتَ مجلسٍ عن قصيدة لم يتفق الآخرونَ على صاحبها فقال: «اجعلوها لطرفة».

قال عنه أبو فرج الأصفهاني: «كان ينتحل دون حياء».

ووصفَ «المفضّل الضبّي» عملَ حمّادٍ بأنه « إفسادٌ لا إصلاح معه».

سؤال

يا أيها الموت
ماذا ستفعل بي
أكثر مما فعل الأقربون/

أطلال

لخولة أطلالٌ مددتُ لها يدي
أزيحُ رمادَ الأمس
عن غامضِ الغد
لخولة، لو تدري،
نجومٌ شريدةٌ
تضيء ظلام الوقت في قلب
شاردِ/

رُوِيَ عن «عبد المنان بن جرير بن عبد المسيح»، ابن المتلمس، أنه قال عن أبيه: «كان حين تقدَّمَ به العمرُ أخذ يهجر ويهذي. فسمعته يقول عن ابن أختٍ له اسمه عمرو بن العبد. أنه مات صغيراً وأعطاه بقية عمره ليعيش طويلاً عقاباً له على وشايته به. وتركه ضحيةَ ظلامين : القبيلة وعمرو بن هند.

وسمعته يردد:

«إنما الشعر كان هناك. حيث تركته».

ابن رشيق: كان يصف ما يحب

كان طرفة وَصّافاً يَصدر عن أغوار العاطفة. ويلمس الحجر الكريم في جواهره. داخله أكثر جمالاً من ظواهره. ومن الدرجات القصية في غموضهِ. يرى إلى الوحش الصديق الوحش الجميل الآتي، مما يفسّر لنا الصورة التي يصفُ بها ناقة من سلالة الإبل لتصير في شعره كائناً يشبه الحيوان وليس له صلة بالمألوف من النوق. لقد كان يصفُ ما يراه بعين قلبه، وهو النقيض كاملاً لما ينظر إليه الآخرون بأبصارهم. فإنما هو يصف ما يحب، والشعر في جوهره فنُّ الوصف. وكلما كان القلب محباً فسوف يحسن وصف الجميل بجمال أكثر.

ظلام

ينتابكم وهمُ الظلام كأنه
قمرٌ
وكأن جباناتِكم، في
حزنِها، عيدُ /

خلود

لم يبق موتٌ لم أُجرَّ له
مَنْ يعطني قتلاً بلا
موتِ
«إنِّي لأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ
احْتِضَارِهِ»
لكأن غيماً لا قيادَ له
غير انثيال الحلم في
الصمت/

- 1 -

يورد الأصفهاني في كتابه «الأغاني» قسماً صغيراً عن «أخبار المتلمس ونسبه» في ما لا يزيد عن صفحة واحدة، ثم يختم الكتاب. أما طرفة فلا سيرة له في الكتاب كله. وهذا أمر أثارنا وأيقظ وحشتنا ونحن في سفرٍ شاسعٍ غزيرٍ مثل «الأغاني». ودفعنا لمساءلة صاحب الكتاب. فأباح لنا بما ضاعف شعورنا بالظلم الذي وقع على الشاعر. وتخيلنا أن الأصفهاني قال:

(ليس سهلاً الدفاعُ عن نقصٍ كهذا في كتاب الأغاني، الذي حضر فيه شعرُ العرب قاطبة، سيكون ظلماً غياب الكلام عن شاعر مثل طرفة، لكن هذا ليس صحيحاً. ليس صحيحاً على الإطلاق. فالحقُ أنني كتبتُ عنه كتاباً كاملاً هو من بين أطرف ما دونت. فقد جمعتُ فيه رواياتٍ شتى، وسهرتُ على تقصي ما استعصى على التدوين والتقدير والنسخ والتحبير قبل ذلك. ففي الروايات عن هذا الشاعر ما تشيب له الولدان وتقشعر الأبدان، لفرط اشتماله على قدرٍ كبيرٍ من المفارقات، ودخول بعضه في تخوم الأسطورة وتماهيه مع كثير من القصص والسير التي

تتصل بآخرين. ليس هذا فحسب. بل إن ثمة نزوعاً غامضاً في معظم الروايات لجعل شخصية الشاعر في حياته نقيضاً مثيراً لصورته في قصيدته. فكيف يعقل أن يذهب شاعرٌ، فاضتْ قصيدته بخبرة الحياة حدّ الحكمة، متوجهاً لبلاط ملكٍ لم يجفّ بعد حبرُ قصيدة هجائه آملاً في خلعه وعطاياه؟ ثم كيف يراد لنا أن نقبل شخصاً بليداً إلى حد أنه يحمل بنفسه الرسالة التي تنطوي على أمر قتله بالرغم من تنبيهه وتحذيره من مضمونها الخطير بالذات؟ ولشد ما استوقفني أيضاً ذلك الاختلاف البيّن في النصوص التي تنسب إلى طرفة قياساً لقصيدته الوحيدة. حتى إن بعض تلك النصوص من الركاكة بحيث لم أجد بداً من طرحها خارج نصوصه حين كنتُ أقولُ عن الشعر. غير أن ما استحوذ على حواسي وانشغل به فكري وخيالي، في سيرة وأخبار هذا الشاعر، تلك الروايات المتصلة بحياته في حانات الحيرة وانغماسه الفاتن في اللهو والمتع، متحرراً من أعراف قبائل العرب في عصره. فمن خلال تلك الأخبار تيسر لي أن أعرف الكثير من فنون الموسيقى والغناء حيث كانت الحيرة تزخر بما كان يسعى إليه طرفة بعيدًا عن تجهم مجتمعه ومحافظة محيطه. وتلك طبيعة تقارب جانب الفتنة وجريء العبارة. وكان في تلك الأخبار ما يستهويني وما يتصل بكتابي في آن واحد.

وطن

«على موطنٍ يخشى الفتى»
ويضيعُ ملءَ عيونه الأملُ/

الحق أن ذلك، وغيره كثير، جعلني أنكبُّ طويلاً على الجمع والتنقيب والدرس والفرز. بغية إنصاف الشاعر. مظهراً مواقع اختلافي وأطراف خلافي مع العديد من الرواة الذين كانوا أمعنوا. وعياً وجهلاً. في تشويه صورة طرفة وهو أحد أجمل شعراء العرب من الرواية حتى الكتاب.

وحين أنجزتُ كتابي عنه، ظننتُ أنه سيكون بيضة الميزان في «الأغاني». غير أن ما حدث بعد ذلك جعلني استشعر خطراً سوف يحدق بمن يشتغل في استكشاف كوامن النصوص واستظهار جواهر الشخوص، في صيغة بحثٍ شَكاكٍ طارقٍ للأسئلة أكثر منه طارحاً للأجوبة. غير أن لكل سيرة وتجربة شرطاً يصعب تجاوزه وليس من الحكمة تفاديه. وهذا أمرٌ خصَّتني به تجربتي مع سيرة طرفة وشعره. وما حدث بعد ذلك مصداقٌ يؤكد حدسي.

انتهيت من وضع المخطوط الأول لكتابي وذاع خبر طرحه الوشيك في سوق الخطاطين. وفي اليوم المحدد المشهود من أجل اجتماع أهل الأدب والنقد، من أجل النظر في الكتاب، وتبادل الرأي حوله تمهيداً لتقدير قيمته الأدبية والثمن الذي يستحقه أمام راغبي اقتناء نسخة منه. وكنتُ قد حدثتُ بعضهم عن الفصل الذي يخصُّ طرفة.

لهو

كيفَ له أن يخلقَ الخلقَ.. ويفنيه/

والذي كان سبب تأخري في إنجاز الكتاب. ليس فقط لحرصي على استكمال الشوارد واستقصاء الهوامل وتوثيق المصادر وتحري الروايات، ولكنه استغراقي في تلك اللذة النادرة بالعمل والكتابة في مثل هذا الفصل الشيق الذي فاض بالمُتع والطُرف والمفارقات الفذة واللحظات العبقرية.

وقد عَرفَ بعضهم أنني قلتُ عن طرفة ما لم أقله عن شاعر غيره. مستخلصاً، في شكٍ واضحٍ، أنه إذا كان تاريخنا الأدبي عرضة للخفّة والتلفيق من ارتجال الروايات وتهافت المصادر والوثائق ومجاورة الخرافة. فكيف سيكون عليه حالُ تاريخنا في حقل المجتمع والسياسة وسير الملوك وأخبار الناس. وقد قلتُ أيضاً إن في سيرة الشاعر، التي يتناقلُها العامة من الرواة ويتبادلون تناقضاتها، نموذجاً فاضحاً لتاريخ أدبيّ هو ضربٌ من الحكايات التي يرتجلها رواة جهلة عن سياق مجهول وبمعلومات معطوبة الوثائق. وقلت كذلك: أن هذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن معظم ما يتصل بتاريخ العرب هو أقرب إلى الزيف والبهتان، لبؤس حقائقه وانعدام وثائقه وضَعف روايات وقائعه المرصودة.

وكل ما دونته من سيرة هذا الشاعر في الأغاني لهو اجتهادٌ يَسألُ أكثر منه سرداً يُخبِر. فلقد كنتُ، فيما أنا أعمل على كتاب طرفة، أسمع أنين الشاعر وألمس

ذئب

« كسيد الغضا» نارٌ له
يغفو قبيل الموت
شريد، أليفُ الحزن
والخوف حوله
أخشى من الفقد
موجودٌ مثله،
قتيلٌ مثله /

اصطفاء

كأنَّ الله خَصَّ لشاعرٍ حباً وقال له /

ما يقع عليه من الظلم والحيف من كل حدب وصوب. فلم يرحم هذا الشاعر أحدٌ، لا من أهله ولا من أصحابه ولا من قبيلته ولا من حكام زمانه. ليأتي عليه بعد ذلك الرواة بالانتحال والقسر والنفي والنقض والإكراه والتلفيق.

نعم، لقد قلتُ هذا وأكثر منه عن طرفة. ولعلي بتلك الإشارات عن المخطوطة قد نَبَّهتُ مستشعرات الحكام، وأيقظتُ عسس السلطان، فاستنفروا لوقف الكتاب بما يبتكرون من أسباب.

ولا أحسبُ أن ما تيسر لي وأمتعني من ضروب الغناء في حانات الحيرة، حيث أخذني إليها طرفة، هي من بين الأمور التي أثارت حفيظة أولئك في بغداد، فليس في ذلك ما استثار أصحاب الهيبة والسَمْت المتربعة على المنابر والدست.

ولكن الذي استرابهم وأقلقَ راحتهم هو انحرافُ اجتهادي نحو سبل الشك في الأخبار والروايات، واستجوابي للرواة ومنسياتهم. مما أدى بي إلى المسِّ بخزائن ملوك الحيرة المحروسة بالجوخ الممسوح بالمدائح، وإطلاقي نواصي الغناء في المنتن من الروائح. بغية إنصاف الغلام القتيل، وكفّ أيدي المعنين في نفيه وقتله المتواصلين.

كان ذلك هو ما أخرجَ الغافلين من سكرتهم، وأيقظَ النائمين من أوهامهم. فما إن عرفوا

عن اقتراب يوم سوق الوراقين من كتابي، حتى بدأت تردُني الرسُلُ من جهاتٍ جمةٍ محملة بالرجاء والنصح بالتريث وعدم التسرع حيناً، وبالترهيبات والترغيبات حيناً آخر، على أن أعيدَ النظرَ في نصِّ المخطوط وعدم طرحه بما فيه من القول عن ترجمة طرفة وسيرته، لأن في ذلك، حسب زعمهم، مسّاً بملوك العرب وهيبتهم وجَرحاً لسلوك العرب وأخلاقهم.

وكنتُ حين سمعتُ إشارتهم عن هيبة ملوك العرب، صَفَنتُ حتى أصابتني الغيبوبة لفرط العجبْ. وحين سمعتُ إشارتهم عن سلوك العرب وأخلاقهم، قهقهتُ حتى استلقيتُ على قفاي لفرط الطربْ.

غير أني في نهاية الحال لم أعبأ بالأمر فقد أنهيتُ دور الكاتب. واستسلمتُ لحال من ترك الحبل على الغارب، معتقداً أن لكتاب «الأغاني» قوته الكفيلة بالدفاع عن نفسه، والذود عن حقه في النفاذ إلى سوق الوراقين بكامل أجزائه، على أن يقول فيه أصحاب النقد والأدب والكتابة كلمتهم التي يعتقدون.

لكن هذا، ويا للأسف، لم يحدث. فما إن حان اليوم المحسوب لسوق الوراقين، وفيما كنا نستعد للخروج من الدار إلى السوق، إذا بعمال الوراقة يهرعون مهرولين ينادون بأن المخطوطة قد فُقدتْ من مستقرها المعلوم.

كلام

السيدُ الضخمُ
في العشرين من دمِه
يمضي سريعاً ناهضاً
وجلاً
قلبي له
قلبي على يده
أصغي، كلامُ الله في
فمه /

دون أن يعرف أحدٌ كيف حدث ذلك.

واحتجنا وقتاً لنعرف كيف حدث ذلك.

ففي بغداد الخلافة لا يحدث مثل ذلك إلا بفعل محترفين لصوص يسهرون على ليل بغداد قبل نهارها ومجريات الأحداث فيها.

بلغني خبر فقد المخطوطة قبل تركي الدار، فجلستُ على عتبة الدار بعض الوقت، متأرجحا بين الصَفْنَة والقهقهة. ثم بعد ذلك توجهتُ إلى سوق الوراقين مستمهلاً العمال لئلا يعلنوا الخبر في السوق. ويا للعجب العجاب ما حدث لهذا الكتاب. لكأن المسافة بين الدار والسوق كافية لظهور «الأغاني» ثانية، سائراً على عربةٍ تجرها دابةٌ معصوبةٌ غير مركوبة، لتقف في ساحة الوراقين، مصحوبة برقعة مكتوبٌ فيها: (هذا كتاب الأغاني بعد تحقيق الأماني).

بعد أن تلقف العمال المخطوطة. سوف نحتاج بعض الوقت ليكتشف الآخرون من القراء ما كنت قد عرفته في ساعتها من النقصان في متن الكتاب. فقد سارع مختطفو «الأغاني» إلى استقطاع الكتاب المشتمل على ترجمة طرفة دون أن نعرف إلى يومكم هذا مصير الفصل المقطوع. ولم يكن لديّ نسخة عنه من قبل. ليأتي اللاحقون يراجعون عملي بشغف

كلمة

بأقل مما ينثني خطّ الندى
في آخر النجمة
تأتي ليَ الكلمة /

التأويل، دونَ أن يدور بخلد أحد أن ضرباً متقدماً من الرقابة والمصادرات ربما كانت تحدث بطرق كثيرة، لتحجب جانباً من حقائق الحياة وأفكارها. أقول لكم هذا، والله على ما أقول شهيد، لئلا يقالَ في أزمانكم المتأخرة إن تراثكم قد خلا مما يتصل بأمور الحجب والمصادرة، صدوراً من الدوافع نفسها والأسباب ذاتها التي لا تتغير إلا بمقدار: (كلُ ما يمسُّ ملوك العرب وهيبتهم، أو يخدش سلوك العرب وأخلاقهم).

- 2 -

كنتُ حين أقبلُ على الكتابة، أكون في حال من الدقة والتأمل والحرص كأني أصنع الأمر للمرة الأولى والأخيرة. فالكتابة أمرٌ موصولٌ بالمتعة والمعرفة إذا أنت أخلصتَ، ومحفوفٌ بالمحاذير والأخطار إذا أنت استهترت. أما أنا فكنت أجلسُ إلى الكتابة كمن يجلس إلى صلاة في محراب.

كنتُ أفحصُ الحروفَ قبل أن أضعها في الكلمات. كنت أمتحنُ الكلمات وإيقاعها في الحبر قبل أن أضعها في الجملة والسطر. كنت أقيس السطرَ بالمسافة بين النقطة وأختها قبل أن أضعه في الصفحة. كنت أضع الصفحة تحت الوَهج والبَهج

خيال

كلما بدأتُ في الشعر
نسيتُ اللغات
كانت الريحُ تسألني لا
القلبُ يكفي، وليس
للعقل
غير الخيالِ.. الخيالُ
كأن المسافات مستنفرات
كأن الحياة
ستنتابني مثلما يستعاد
الجمالُ/

تاريخ

«فإن كنتَ لا تسطيع دفع منيَّتي»
دعني أصبُ الماء في مكانه
والنار في كياني
فلا أقل أن يكون الشعر
كأس الخمر
والأغاني/

لكي أعرف اكتمال القول فيها قبل أن أضعها في النص. كنت أعرضُ النص أمام اللّه قبل أن أضعه في الكتاب. كنت أزنُ الكتاب بالياقوت قبل أن أضعه بين يدي الخطاط. كنت أسهر الليالي بين يديّ الخطاط وهو يخطّ الحروف والكلمات حتى الفجر أسمع صريرَ القصبة وهي في أديم الورق. كنت أطلبُ الورقَ من حقول الوراقين وأنتخبُ الطريَّ منه حتى يَصْلَب والرطبَ حتى يجفّ والناصعَ حتى يعتم. فللورق عندي طبيعة وحياة وفطنة تقرأ النصَ معي وتحسّه وتعيه، وكنت كأن الحروف والكلمات حيّة تسعى على الورق مثل الناس في الأرض.

فاعلم أيها الكاتب، اذا أنتَ لم تفعل ذلك، فلا كتبتَ ولا استمتعتَ ولا أمتعتَ.

الأصمعي: رواة يمحون

كانوا ربما اختلفوا
وهم بالشام في بيتٍ من الشعر
فهل حفظوا لطرفة حقَّه في النص
هل أدُّوا تحيتَهم لـ«خولة»
كلما قرأوا قصيدتَه الوحيدة
أيقنوا أنّ الرواةَ مَحُوا الكتابَ
ولفقوا الأشعار
لا شامٌ ولا نجدٌ ولا نخلُ الحجازِ ذريعةٌ للقول.

شاعر

منذ ستين نوماً من الله
أوحى لنا
أن احتمالاتنا ماكرة
وأن انتظارات أحفادنا
يقظة باكرة /

يدان

«ولقد بدا لي أنه سيغولني
وحشٌ»
إذا امتدتْ يدٌ
قَـفَّـتْ يدُ/

ذكر أن رواةً نقلوا عن ثقةٍ يؤكد ذهاب طرفة إلى بلاط الحيرة لمقابلة الملك. غير أن ذلك اللقاء لم يكن سعياً من الشاعر كسعي باقي الشعراء الذين قصدوا البلاط بقصائد المديح طمعاً في العطايا والخلع. فثمة من يقول أن الشاعر كان قد نزل عند رغبة بعض قومه، الذين وجدوا فيه المنافح المحتمل عن حقوقهم التي صادرها عمرو بن هند ونهبتها بطانات البلاط وذوو النفوذ، والدفع إلى تخفيف الجزية وإطلاق الأسرى. فوجد طرفة نفسه مضطراً أن يرى نفسه في غير ما اعتاد عليه من أعمال. ويُذكر أن المتلمس قد جاء لإقناع طرفة بمرافقته من هذا الجانب الأخلاقي الذي لم يصمد أمامه الشاعر، غافلا أو مستهيناً بالصعوبات والدسائس التي تنتظره في قصر الملك وحوله. ويؤكد الراوي نفسه أن طرفة، لكي يقوى على فعل ذلك الصنيع الصعب على نفسه، احتاج لأن يقضي الليل كله في صحبة الخمر. الأمر الذي يشي بأن طرفة ساعة ذهابه إلى البلاط كان على درجة من الثمل بحيث سيبدو مترنح

الخطوات، وهذا ما سيصفه المتلمس بالتخلّج في مشيته، ويحسبه الملك استهتاراً وخفّة.

وهذه رواية، على وجاهة منطقها وتخيل احتمالها، ستحتاج دعماً موثقاً يظل غير متاح، شأنه شأن الروايات الكثيرة المختلفة الأخرى.

المُحَّرق

ليستْ من باب أعمال الملوك
فإنها في موقد الأوثان /

ناي

ليتني صنيعُ هذه الكلمة كاملةً /

كان كثير الرحيل، اتجه ناحية الحيرة، وأحبَ تلك البلاد وتعلم القراءة والكتابة هناك. وتولع بنسائها وحاناتها، وطالما ذهب إلى هناك وحده. وفي المرة التي زارها مع المتلمس عاد منها وحده. وجاءني حزيناً غاضباً، يشكو المتلمس الذي ظلَّ يزيِّن له الذهابَ معه إلى بلاط الحيرة حيث اعتاد المتلمس ذلك مع غيره من الشعراء. وقد دأب هذه المرة على أن يستفرد بطرفة هناك ويستدرجه للذهاب معه، زاعماً له أن الشاعر صوتُ الناس، ينبغي له ويصحُّ ويتوجب أن يذهب إلى كل مكان لإيصال هذا الصوت.

فجاءني طرفة فائضَ القلب، وكان يعلم أنني لم أكنْ لأقبلَ له أن يستجيبَ لذلك، وكنتُ أعرفُ أنه ما كان له أن يذهبَ إلى بلاطٍ ولا يسعى إلى ملك.

فكيف لمن تمرد على أهله وقبيلته أن يخضع لسلطة ما.

فجاءني،

وضعَ رأسَه الحارّ في حضني وراحَ يبوحُ لي، ثم غَرِقَ في بكاء لم يبكه من قبل. وعندما أدركنا الفجرُ وأوشكَ طرفة أن يغفو، إذا

بطرقٍ صاعق على باب الدار، لم يلبث معه أن اقتحم الجندُ المكان وداهموا إغفاءة طرفة، لقد كانوا يطلبونه فأخذوه. انتهبوه من حضني وذهبوا به فانقطعت أخباره.

ولم يمرّ المتلمس في نواحينا بعد ذلك اليوم. حتى إذا سمعنا عن مصرع طرفة، لم نعد نسمع عن المتلمس خبراً قط.

آلهة

أعرفُ الآلهة
تلك النصّوص التي
يصبّونها في رؤانا
كما الزئبق المستثار
كأن النهار هو الليل
هل نحن في فُلكٍ تائهة
/

انتماء

«تحامتني العشيرة»
رحتُ في حريتي القصوى
مضى بي حبي المسحور
نحو النور كي أمحو القبيلة
من أرومتها
رسمت الباب في قلبي
دخلتُ به وأخطأت الخطيئة
وانتميتُ /

السجان: نوم الطفل العليل

أقسمُ إنني لم أصادف سجيناً مثله، ولم يمر بي شخصٌ شبيه له. كان قليلَ الكلام، دمثَ الطبيعة، كثير التأمل، يسهر الليل كله، تذوبُ الشموعُ من حوله وترتجف ذؤابة الضوء، يظل منكباً على تخت كتابته مسترسلاً كأنه يدوّن نصوصاً تملى عليه بصوتٍ لا يسمعه أحدٌ سواه، وهو لا يتوقفُ عن طلبِ المزيد من الورق، فكنتُ أحضرُ له طباقَ الكاغد كلَ حينٍ، وأزوِّدُ دواتَه بالحبر كلما نَفَد، كمن يُسقي شجرةَ الكتابة، وأصبُّ له الشرابَ الذي يحب، فيرشفه مثل حالم، وتارةً يعبُّه كمن يروي أرومة الجسد. وكنتُ عندما أدخلُ عليه في الصباح أراهُ مستغرقاً في نومِه مثل طفلٍ عليل، وحوله الأوراق مستيقظة نشيطة في غير انتظام، فإذا ما رفعتُ الأوراق أرتبُها أذهلني أنها بيضاء ناصعة لا تزالُ، ولا أثرَ للكتابة فيها. فأعجبُ أين ذهبَ كل ذلك الحبر وماذا كان يفعل بالحروف والكلمات، دون أن أعرف.

المنخل اليشكري: توبيخ الولع الطائش

لعل عمرو بن هند هو قاتِلُ الشعراء بالحُجج وبغيرها. فلم تكنْ الأسبابُ تعوزه. ربما لنقصٍ فيهِ تجاه الشعر والشعراء. ولسوفَ يكونُ طرفة قد ذهبَ إلى حتفه منذ لحظة دخوله حيرة الملك. فقد رأيتُ القتل يوم علمت أنه يبعث خلفي. لقد كان يحاول شعراً لا يطاله، فلم يسمعه أحد، ولم تكترثْ به الكتب. فرأى في كل شاعرٍ مشروعاً ينقضُه. أما إذا هجاهُ شاعرٌ فقد ماتَ منذ البيت الأول في قصيدته. وإذا أخذنا حجته على طرفة بتغزله في أخته، فإن «هنداً» جديرة بأن يموت المرء في سبيلها. وكان على الملك أن يكسو أخته قبل أن يقتل شاعراً مثل طرفة كلما نظر إليها، كمن يوبِّخ ولعاً طائشاً ويربّتُ على كتف نمرٍ جريح.

تحوّل

« فإن متُ»
ابتدأتُ،
وطار بي ريشُ الغريب
كأن خولة جانحي،
لي وردةٌ وُلدتْ معي
لي حزنها البدوي،
تفقدني
إذا ماتَ الغريبُ
بدأتُ في
أسطورتي.
يأتي بكل قصيدةٍ حلمٌ
ويأتي شاعرٌ - إن متُ -
بعدي
ينتمي لدمي
ويروي من
معيني/

حصة الله

ليس لله في ما أقولُ وما أفعلُ
سوى أنه الحلم والشعر
والمَقتلُ /

سعى إلى الحقِ فأجهده
وطلبَ الحب فاكتفى به،
وزيّنَ الترفَ بالشرف
وكان أكثر الفتيان خلوداً .. كلما قُتِلَ.

علي الرزاز: كان أدخلُ إلى الأسطورة

حدَّثَ «علي بن أحمد الرزاز» تلميذ أبي فرج الأصفهاني قال: خَلَطَ أبو فرج قبل وفاته وأبدى شيئاً من الهجر وهَذى ببعض ارتجالاته في فصولٍ ومواقعَ كثيرة من كتابه. وقد شكا أبو فرج من أن ثمة من كان يشترط في نسخته من الأغاني. وأن «الوزير المهلبي» لم يكن يحب طرفة لتجرئه على الملوك، وكان يتدخل في كتابة بعض التراجم.

سمعته يهذي ويوصي في يومه الأخير بأن ليس من الحكمة اعتماد «الأغاني» مصدراً لمعرفة «التاريخ»، لأنه لم يُكتب الا لتسلية السلطان بالطرف واللطائف، وليس لتدوين التاريخ لما فيه من ضعاف العلوم والمعارف. فالأصل في تأليفه للمؤانسة. وقال إن فيه نقصاً كبيراً، فليس مقبولاً الكلام، مثلاً، عن شعرِ العربِ القدماء دون إظهار الحق الأكمل لطرفة.

وحين سألته عن سبب تخلفه عن ذكر ذلك، قال : «الظنُّ أن طرفة كان أدخلَ إلى الأسطورةِ منه إلى الحقيقة، والعربُ لم يستأمنوا حقيقةً ولم يُحبوا الأساطير»

ثمالة

«ماذا تقولون في شاربٍ
كلما فاضَ كأسٌ به ضاعَ
في ضوئه
ما الذي ينتهي كلما
صَبَّت الآلهة
كأسها الوالهة
نَخْبَها، وانتشى شاعرٌ
هاربٌ
واحتسى حبَها،
ما الذي، في التلاشي
النهائي
بعد الثمالات يبقى
لها/

شاهد: أيهما أذهبَ مثلاً؟

كيف تذهبُ صحيفةُ المتلمس مثلاً،
وهو الذي نجا منها،
ولا تذهبُ صحيفةُ طرفة مثلاً،
وهي التي قتلته؟

سجال

«يقولون لا تهلك»
وهم يذبحونني /

ناقته"الرقلاء" : قصيدته أطول من حياته

لم تكن له طريقٌ. له خطواتٌ وخمرٌ وأثنتا عشرةَ بئراً مطويةً بأحجارٍ صقلتها كواحلُ فلاحين يجُسُّون مكامنَ الماء. حواسُّ مشحونةٌ بالعطش وترّهات الرمل. فلاحون وضعوا آبارَهم قناديلَ لمواقع الخطى الشريدة. لم يكن له قرينٌ غير كلماته وحبره ودماثة قطاةٍ رحيمةٍ به. كنتُ قرينته التائهة. لم يترك الهيامُ والغيمُ شرفة شاغرة لأحلامه. شباك النسائم ترصده وتقرأ له النوم والقصيدة. تقرأه مثلَ الترنح مثلَ اللهب مثلَ شلال شمعة تشكُّ في الشمس. كنتُ أعبرُ معه المفازات كمن يتدرب على جحيمٍ موعود.

كنا نتبادلُ القيادَ، في سجال لا ينقطع.

وكان أخف من ريشة القلب عندما أطير به، وأمضى من شفرة السيف حين يهيم بي، و أشفّ من زجاج الخمر كلما باح لي. قصيدته أطول من حياته.

ذاكرة

يا سيد النسيانِ تذكرني
اذا نَسِيَتْ بنو بكرٍ
قصائدَها/

ابن سلام الجمحي :
المكتوب في عتمة المنسوب

عدل

خذ المُلكَ و المملكة
خذ الوهم و الفذلكة
واتركْ لِيَ الشعرَ
والخمرَ والتهلكة /

ليس في الشك رذيلة إن هو أعاننا على النص، كتابةً وقراءة. فإذا كنتُ قد اضطربتُ في الرواية، فإنما كنتُ أرى في ضوءٍ شاحبٍ في صحراءَ شاسعةٍ، وأصدرُ عن صوتٍ تائهٍ في بريةٍ لا تنتهي. ولم تكن قبائلُ العرب أقلَ شهوة في الصِيتِ من قريش. فلما نظرتْ إلى حظها القليل من الشعر، عملتْ على تكثيرِه رغبةً في الدفع والإسناد. ولم يتأخر عن ذلك رواةٌ يسهرون على مضاعفة القصائد العشر للشاعر، بغية تمتين أرومة القبيلة. لكن لدى كل منكم العقل الذي يساعده على معرفة المكتوب في عتمة المنسوب. وإذا كنتُ لم أجد للمتلمس قصيدة واحدة، فكيف لي الجزم بأنه شقيق وردة الأكيدُ وخال ابنها؟ والله إن في «الطبقات» خروقاً عظيمة لا تخطئها البصيرة الثاقبة. وإني لأعجبُ كيف أن عربَ العصور كلها لا يزالون يصدرون عن ذلك الكتاب كأنّه اليقين.

الشَمنتري : أبجديته أكثر حروفاً

شاعرٌ يُقتلُ في طفولة حياته
كيف يتسنى له أن يكتبَ كلَ هذا الشعر الذي يروونه عنه.
إنه واللّه قد عاش أقل بكثير من كل هذا الكلام الذي ينسبونه إليه
حتى إن أبجديته تبدو أكثر حروفاً من النصوص المحبرة باسمه.

نبي

كلما أغفى نبيٌ في رعيته
سيأخذني المهبُّ
فأنا نبيٌّ لا رعيةَ لي
ولي إرثُ السلالةِ كي أقـوّضه
ولي في الشعرِ ربٌّ /

نقد

«جراءتي عليهم،
وصدقي»
حصةٌ الحق تصعدُ
وقسطي من الحب
تيهٌ إلى الغيم
حقي مضاعٌ وفي جثتي
موعدُ /

الله : مكسبٌ للجنة

وضعتُ حبي على قلبها وقلتُ لها:
أيتها الوردة،
خسارةٌ لك أن يموتَ طفلك،
لكنه مكسبٌ للجنة،
فليس في الجنة قصيدة مثل التي يكتبها ذلك الطفل.

خولة: القصيدة قبل الحب

كيف يمكنك أن تحب شخصاً إلى هذا الحد. يقترب إلى روحك إلى هذا الحد، قريباً ولا تراه ولا تلتقيه، حتى يكاد يكون حلماً. هل هو الحلم، أم إنه كان موجوداً بالفعل؟

أحببت أن أعرف،

أنا التي لم ألتقه أبدا، لكن دون أن أشك في وجوده. اتصلتْ بيننا الأخبار والوسائل. ونشأتْ بيننا المواعيد. غير أننا لم نلتق. حيث لم نتمكن من المسافة. كنت محرومة معه بغموضي، وكان محروماً مني بشعره. كلما أوشكنا على لقاء أغرق نفسه في ثمالات الخمر واكتفى بذلك. حتى أَصبح الموتُ أسرع إليه. أعرف كم كان طائراً إليّ، وكم تأخر عني. أي نوع من العشق كان. القصيدة عنده أهم من الحبيبة. وها أنتم ترون. قلما عُرفتْ امرأةٌ في حياته مثلما أصبحتُ. وأظن انه فعل ما وعدني به: «سأجعلك تاجاً على شعري».

فها أنا الملكة في قصيدته. ولأنه لم يرني، ولم يقدر على وصفي. فهو لا يقول إلا ما يراه، وربما رأى ناقته وتحدث عنها كثيراً. هل ترى صدفة أنه قال عن «رقلاء» كل ذلك. فهل كان يرى فيها ما يريد؟ لا أعرف كيف كان ذلك الحب وكل تلك الرسائل وهو لا يسعى إلى لقائي. أنا التي كنت أعطي الباقي من عمري عوض ساعةٍ معه. كنتُ في شعرهِ أكثرَ مما كنتُ في حياته.

عدم

وثنٌ أم صَنمْ
هذا الذي نستجيرُ،
هل الموت
حصتُنا في العدمْ /

ذلك النحيبُ الجماعيّ كان يعرفه، حتى إذا ما انخطفَ شراعٌ في ظاهرِ الزرقةِ، نهضَ مثلَ جبلٍ يطرح الصوتَ في الأفق، معلناً عن خشبٍ في موجٍ عظيم يتوجبُ خوضَ البحرِ لملاقاته. كان يضعُ أعضاءه كاملةً في نبضِ الموجِ كأنه يسمع وقعَ خطواتِ الفلك. كلما أقبلتُ بسفينةٍ لمحته جالساً في السهوب يؤرجحُ قدميه في الزرقة، ويؤلفُ بهمهمات ناعمة دَرَجَ الإيقاع الكونيّ لحشرجاتٍ صريحةٍ لا يسمعها شخصٌ سواه، كأنه يستجوبُ المجرات. نلوِّحُ له بالمجاديف المشرشة لفرطِ الموجِ والنوءِ الضاري، فيشير بملحٍ يتكاثفُ في عتبات الدرج الذي يشتغلُ عليه. وحين نخطف الأبيض الكبير يشهقُ معه تالعاً عنقه النحيلةَ وأطرافُه تلبطُ في الماء العظيم. لا يكاد يغادر البحرَ حتى يعود إليه، يلهجُ متهدجاً كمن يعانق كائناً غير مرئيّ وغير مدرك.

لم أعرف شخصاً من بُداةِ البحرين عَرَفَ البحرَ مثله، وعشقه مثله، وما من أحد مثله يُحسن درسَ الأنواء والمواسم، هو الذي لم يُحسن العومَ ولم يدخل غوصاً ولم يقفْ على خشبةٍ في بحر. كلما سألته عن

أبد

«نداماي بيضٌ كالنجوم»
ورفقتي مستوحشون
وليلهم أبدُ
يجلون كأساً كلما وفدوا
جاءت غيومٌ
واشتهى روحٌ مريضٌ
وارتوتْ كبدُ /

مكانٍ يعرفه بدأ في تأليف الحكايات، صادراً عن البحر أو ذاهباً إليه. حتى إنه قال لي ذاتَ مرة: «ليستْ الهجرة أن تغيبَ في البحرِ، الهجرةُ أن تغيبَ عنه».

لقد كان وقته مكاناً شاملاً، والبحرُ كونُه الأثير. يحرسُ السفنَ في استراحة السواحل. يَسهر على المجاديف، يصقلها، ويدهن ظاهرَ السفن بكبد الحوت المفدوحة، ويعالجُ مَسَامَّ الجَمَّةِ ومساربها. كلما سَمِعَ خشبةً تئِنُّ أو لوحاً يَصِرُّ، انحنى مربِّتاً مستعيناً بأدق الآلات وأكثرها رأفةً ليخفِّفَ عنها عبءَ السفرِ ووحشةِ الرحيل. سيعرفُ في كل مرةٍ كيفَ يصوغُ لتحية القوم كلماتٍ تؤجِجُ الروحَ وجمرة العمل وتمسح الجَهدَ في الأبدان.

حراسة

صنمٌ يحرسُ الملوكَ
أممٌ تصقل الوثنْ /

كان يعرف ذلك النحيب الجماعيّ ويسمعه ويراه. صوتُ الوحوش الجريحة في الصدور العارية. ينحدر من أطراف السهوب، يلحق بأثر النحيب ويشهقُ معه كلما تسنى له التمرّغ بالحبال المتروكة في الرمل. كان يلوّح لنا أن «كفُّوا عن الذهاب بهذه الكائنات المأخوذة إلى المزيد من العذاب». يضع كأسَه الزاخرةَ على صخرةِ البحرِ، ويطلقُ فينا صوتَه الجارح:

« دعوها فهي منذورة،

فللخشب في السفن نبضُ المغامر، يخطفُ قبلتَه الأولى كأنها فاكهة الجنة من حبيبةٍ جاءتْ تؤدي طقسَ وداع غامض. أعيدوا لها الرجل أعيدوه. وفُكُّوا عنه أسرَ

لطائم البحر. أيهذا الماءُ العظيم الذي يفتح أفقه الأزرق السحيق مثل الأشداق».

كنا نشفق على ذلك الولع،
وكلما أعاد نشيدَه تجاوبتْ معه الصرخاتُ الفادحة، ذؤابات الصواري متأرجحةً مثل الهودج الثمل بأجسادٍ غضةٍ مهاجرة بلا هوادة. يترنحُ بكيان مضطرب لفرط الذعر، كمن يمنح الميزان مواهبَ جديدةَ لأجل إنعاش القلب الواهن فيما يغادر بهو الكوكب. ليس من البدو، ولا الحضرُ بيته، والغجرُ يزعمُونه. وهو من هؤلاء جميعاً. قرينُ الغجرِ في الحلِّ والترحال وشبيههم في السفر والإقامة.

وقفَ ذاتَ عودةٍ يسألني:
«كيف يمكنكَ أن تصفَ لي ما يحدثُ هناك. في ذلك الأفق الأزرق الذي تذهبونَ إليه وتأتونَ منه، وهو قابعٌ هناك لا يسمع إلينا ولا يكترث بنا. هل أعرف ما تعرفون؟»

وها نحن مأخوذون بذهابه المباغت الفادح الغريب.
لكأني به قد أضحى يعرف ما يريد.

"جابر بن شمعون" أسقف الحيرة: يضع الغار والبهار

في موسمه الذي لا يتأخرُ عنه، يدخلُ علينا محملاً بِصُرَرٍ مكنوزةٍ بأبازيره العجيبة، فيدورُ علينا ويَضَعُ بهارَه في تجاعيد ثيابنا ومواعيد مآكلنا، يغرس أوراق الغار في أكتافنا مثل أوسمة، ويمسح أعضاءنا المنسية في أقبية النبيذ بتوابله الفاتنة فيوقظها، وتنشأ فينا شهوة غامضة تغمر الدير. حتى إذا ما اطمأن على أن الفتنة قد عَمَّتْ الإقليم، خرجَ ملوحاً لنا بمناديله المضمخةِ بالنبيذ، لا يقبل كلمات الامتنان والشكر ولا يأخذ الهدايا، لكنه لا يكفُّ عن صقل السيوف الغادرة بالمغفرة والتسامح والنسيان. لم يتقدمْ إلى صلاةٍ ولم يعترضْ عليها.

لم يتركوه لحياته. ولم تكنْ الأفاق تسعه. كان يبعثُ لي شعره في غيمة الصباح. قصيدة تنوِّرُ لي عتمة الوقت.

قتلوه قبل أن يكمل شعره. ثم أضافوا إليه الضعيف من الكلام. فهو لا يَرِكُّ في الشعرِ ولا يَلْحَنُ في الصوتِ، ولم يمدح غير «الرقلاء».

قيس بن الحدادية: له في كتاب الصعاليك

صادفتُه في ليلٍ باردٍ. يتقمَّصُ غيمةً حيناً ويؤرجحُ عُنقَ ناقته حيناً ويذوبُ في خطوات المطرِ. يستبدل أقداحَه بقواقعَ نشيطةٍ تسعى خارجةً من السواحل. يتبادل القناديلَ مع عسسٍ يقتفُونَ خُطاه طوالَ البرد حتى تدبَّ الحرارةُ في أوصالهم. سمعتُ مثل الأنين المكتوم يأتي من ناحيته وهو يتصفَّحُ كتابَ الصعاليك، كمن يبحث عن ورقةٍ يكتبُ فيها القلقَ المعروفَ، في فهرسٍ مشحونٍ بالخارجين عن تخوم البدو والحضر. سمعته في بلورٍ يتكسَّرُ يسألني عن عروة بن الورد، ويَسِرُّ لي طريقاً لم تعرفها خطى الطرائدِ، ويمحو خلفي الخطى لئلا ينالني صيادو الجوائز وقصاصو الأثر. قال إنه يحمل لعروةَ قصيدةً سوفَ يبحثُ عنها «الأعلم الشنتمري» في بلاد الروم حتى يعثر عليها. لعل عروة يرى في هذا ما يشفع لكي يجد في ليلةٍ مكاناً يَسعُ شاعراً وُضِعتْ لرأسه الجوائز.

- 1 -

كان مخفوراً بهدوئين يُخفِّفانِ عليه حصارَهم الفظّ. هدوُء روحِه الهائمة على رسلها في الأقاصي. خفيفةً خفيِّةً خائفةً. وهدوء انخطافِه الغامضِ برؤية شعرية لقصيدةٍ ترافقه وتحرسُه وتحصِّنه وتحميه مما يتهدده في السفر والإقامة. رؤيةٌ هي حياتُه بمعزلٍ عن عيشهم. فربما كان طرفة قد اعتزلهم قبل أن يستفردوه.

ومن شعره أخذ الإسلامُ شيئاً من أخلاق الحكمة.

- 2 -

ما تقرأه وحدُكَ .. أنتَ والنصّ، وتحبُه وحدك .. فهو لكَ وحدك. وما استعجمَ عليك واستعنتَ عليه بالقواميس، فهو من وضْع النحاة والرواة ورسل الملوك وكَتَبة القبائل. غير أنه مرجعٌ صادقٌ للكتاب.

طرفة : عن الملك

لا أخافُه على نفسي
فليس له ما يغلبني به،
وليس لديَّ ما يُضْعِفُني إليه.

أبو بكر محمد الأنباري: أرادته القبائل التي تبرأت منه

نبذوه في حياته وتناهبوه في موته.
كل قبيلةٍ تبرأتْ منه .. أرادته لها.
يزيدون به شِعرَهم. ينتحلونه وينتحلون به وينتحلون عليه. لم يمدح ولم يهجع في بلاط.
عفيفُ الكلمة والقلب. لا يطلب شيئاً من أحد.
لم يكتبْ سوى واحدةٍ، .. لكنه قال غيرها.

شهلاء: ليلتُها

أشهدُ أنّه لم يذهبْ ليلتَها إلى أحدٍ سواي، ولم يكن إلى مكانٍ غير داري. فيومَ قَصَدَ المتلمسُ بلاطَ الملك كان طرفة في أحضاني، في دفءِ ليلةٍ لم أعرف مثلها قط، وما انطويتُ على رجلٍ مثله. فقد ذهبنا في ليلٍ طويلٍ عميقٍ، أتغلغلُ به ويتوغل فيّ، كنا كمن يبحث عن المنسيات الحميمة جميعها. وكان ليلتَها قد تزوجني، وكنتُ تزوجتُه، تلك ليلةٌ أقصرُ عن وصفِها، فذلك أمرٌ من الأمور التي تحدثُ وتُعاشُ ولا توصفُ، فالمرأة لا تعرف شاعراً مثله كل يوم. أشهدُ أنها الليلة التي كان فيها الشاعر في لحظة الانخطاف العظيمة، كأنه في حالة الانعتاق الحاسمة. كنت ليلتها مع روحٍ من الأثير، مثل فراشةٍ تغادر قميصَها إلى نارٍ أليفةٍ، تعرفها وتذهب إليها. كأنني به ليلتَها يستعيضُ بالحب عن حربٍ كان الملك يعدها للشاعر ويطارده بها.

أقول لكم الصدق عني وعنه. لم يكن معي سواه. كنت هناك وكان هو. كنت ظله طوال الوقت. ولكنني أفقد أثره تارةً ويسبقني تارةً، وأحياناً كثيرة أسمع وقعَ خطاه بجانبي، وحين ألتفتُ لا أرى سوى شبحٍ نائم.

أقول له : هذا ملكٌ يضمر لك الضغينة

فيقول : لا يجرؤ ملكٌ على شاعرٍ.

وحين عرفَ صحيفتي صعقني بضحكته الماجنة، قائلاً: هذا دليلٌ آخر ضد شاعريتك.

وحين رميتُ الصحيفة في النهر فاضَ بحمرة فاضحة لم يشهد الخلق نهراً مثل ذلك. لكن طرفة لم يصدق وسمعته يبتعد قائلاً:

لك النهر وألوانه ولي البحر، ولا يلتقي العذب بالأجاج.

لقد كان يعرف. كان يذهب لأمر كان يعرفه، ولم يكن يرى الموت إلا بوابةً شاهقةً لحياة جديدة، يعرفها ويقبل عليها بطريقته. فلم يكن أحد يقول مثله: «أرى الموت».

وظني أنه قد قرأ صحيفته، فهو كان يحسن القراءة.

أقول لكم الصدق عنه وعني.

أمين صالح: كيف فعلوا ذلك بنا

ثمةَ شاعرٌ.

قال قليلا من الشعر، أدركنا بعضه. واخترعوا كلاماً كثيراً لا يتصل بشاعرٍ في مكانٍ نعرفه. ومادامَ المنسوبُ ليس قرآناً فنحن في حلٍ من قبوله. ناهيك عن تصديقه. فالشعر تجربة لا تكتمل في شخصٍ واحدٍ واضحٍ على التعيين. فلا هو مكتملٌ في الأسطورة ولا يثبته تاريخٌ معروفٌ، وليس لنصه اتصالٌ يتجانس ويشي بشخصية مستقرة. فكيفَ يريدونَ لنا أن نطمئنَ لرواةٍ يقدُّونَ النصوصَ قدّاً، على قياس فهارس المفسرين وأهل الدين ومصالح مروِّجي أهل السياسة. كيف استقامَ لهم عقلٌ يظنُّ بنا الجهلَ ويسعى للإطاحة بعقولنا فلا نشكُّ في ما يلفِّقونَ، عاصفينَ بالأدب منكّلينَ بالشاعر. حتى إذا ما أضيئتْ لهم قناديلُ الأعمى، لكشف مواقعَ خَبْطِهم، استنفروا وثاروا وبالغوا، ذاهبينَ إلى مضاهاةِ الشعر بالقرآن، ليتساويا في التقديس والحصانة. فكيف فعلوا ذلك بنا؟

كان الملوكُ إذا جاءتْ رسائلُهم
يُهدُوننا للقتل أحيانا
يمضون فينا أرغناً وَجِلاً
كان الملوكُ غداةَ الموتِ
مثلَ الموتِ .. ألحانا.

المديح في البهو

(دفتر الملك)

النصف الثالث للولع

(كتاب التاويل)

«ألا هَلَكَ الملوكُ وابنُ عمروٍ»

الخرنق

«ويأتيك بالأخبار من لم تزود»

طرفة

الأرض ذات النشيد

الأرض ذات الغرف الضيقة،
تدَّخرُ الثمالات الأخيرة لمليكها الجالس يهيئ المراجل للأسرى، والسمّ الخفيف للنساء.
أرضٌ محروسة بالبحار وفهارس الأسماك، تكبت بكاءها فيما ترقب المليك يحنو على شعبه باقتناص الأحلام.
أرضٌ غنيةٌ بالخطط والضغائن والمؤامرات
أرض صقلتْ مراياها بالكبد ونيلج القلب وفضة الخوف
أرضٌ ضائعة، مشحونة بالرؤى..
بلادٌ تضيق بي وتغفل عني وتنساني.

لخولة أطلال

أجملُ ما وَلدَتْ امرأةٌ في البحرين.
تخالها الشعرَ بين الكلام والكتابة. وتنظرُ إلى وشاحها فتعرفُ شراعاً في مهب الزرقة. يقرأ كتاب الريح في البحر ويُحسنُ التأويل. امرأة تنفر في القصيدة وتترك وشمها كوكباً في المجرة. تطلعُ فَتُنْسِيكَ الأطلالَ.

صفو الملك

لا تعَكّرْ صفوَ الملك بنصائحك الفَذَّة. لديه من المشاغل ما يكفيه. وهو في غِنىً عن هذيان أفكارك. حوله من المستشارين ما ينوبُ عنك، حراسةً له من أحلامك، وصيانةً لتاجه الجديد من أطماعك القديمة. اصرفْ نظرَك عن عتبات الحجر الكريم، واذهبْ إلى صقل كبدكَ بانتظار آخر. واخفضْ صوتَك كلما تضرَّعتَ لئلا تقلق راحته. سوف يتولى حجّابُهُ عبءَ الإصغاء لدعائك بآذانٍ صَمّاء، فالْجُمْ جامَ غضبِك إذا استثارته بطانة الحَجب والجَمع. ولا تفكّرْ في صياغة العرائض فتخدش صمتَ البلاط وتؤذي أوركسترا الشخير وتفسدُ يقينَ البهائم في حدائق القصر.

فكرْ ثانية. فكرْ للمرة المائة، قبل الظنّ بأن لدى الملك الوقتَ ليسأم من فلسفتك.

ثمة جناحٌ كاملٌ مشحونٌ بفلاسفةٍ يسهرونَ على تسليةِ جلالته لئلا يسأمْ.

تذكرْ، كلما هممتَ بتقديم النصيحة للملك، يتوجبُ أن يكونَ صفو الملك من أقدس مهماتك*.

* نصيحة ملكية: «لا تَحلم أن تصيرَ ملكاً».

ظللتُ بها أبكي

سيبكي حتى تقطرَ عيناهُ دماً. هذا الفارسُ العاشقُ الذي لا يكفُّ عن الشِعر ولا يترك صهوة حصانه ولا يتوقف عن السهر. كأسُه أكثرُ حمرةً من فم الوليد. وسوف لن يكفيه البكاءُ. كلامه تأويلٌ ماكرٌ للموت. والقتلُ كامنٌ له في عشية البيت والقصيدة.

يبكي ويكتب ويجلو ما يستعصي على اللغة.

ملك

ملكٌ واحدٌ.
كلما كنتُ في حيرةٍ
سطعت فكرةٌ.
ملكٌ حانةٌ
ملكٌ حيرةٌ
كلما سطعتْ نجمةٌ
جاء لي شاهدٌ واحدٌ .

وقوفاً بها صحبي

حزنُ الحديدِ يثقل كاهلي. فيما يعبر أصدقاءٌ أجلاءُ غير مكترثين. وَقْعُ أقدامهم الرهيبة مستخفٌّ برجع الأنين الكونيّ المنبعث من منابت الجسور. أكزُّ على فهارس الأسى. الطرائدُ إخوةٌ لي، والمباغتات غيمة أيامي. فألجأ لأعداءٍ يمدحون موتي ويحثُّونَ خُطى الأصدقاء لئلا تبطئ.
فتقفْ.

قصرٌ أقصرُ من القصيدة

ليتَ لنا مكانه موجةً لا تبلى ولا تموت

ملكٌ اختلطَ عليه العذبُ بالأجاج. بَحران وهو لا يُحسنُ العومَ. حكمٌ بلا عدلٍ ولا حكمةٍ. وضعَ التاجَ واستمر يكتبُ الكتبَ في بيت الزجاج. غير مكترثٍ بالملتبس من أحوال الناس وهم عراةٌ ينبحون لفرط الحبسة. مُلكٌ لو كانَ يدومْ.

رأيته في حديقته وأصغيتُ لغفلته يسألني:

«هل رأيت قصيدةً أجملَ من هذا القصر أيها الشاعر».

فقلت:«ليتَ شعري أيهما يدوم، القصر أم القصيدة».

باقي الوشم

حِرزكَ.

دليلكَ في الغيم. لونُ أحلامِكَ ساعةَ التأويل. خزانةُ عطرك وأنتَ تهذي. الشهقةُ لحظةَ الاختطافة الباسلة. بستانُ نجدٍ يفقدك وينساك.

الدمُ الدمُ الدمُ نهرٌ يتقصّى خطاك

الوهم

بيني وبينك مستحيلٌ صاغه وهمُ القبيلة
وارتجالات الملوك.

تغفو.
ويقرأون النصَّ عليك.
تحولاتٍ ترتعشُ لها الفرائصُ.
ترنحكَ لفرط ما يبقى
وفقد ما يضيع.

ملك يتماثل بالمديح

نرى الآن.

كم أن عمرو بن هندٍ لا يزال يتماثلُ بيننا كلما كتبَ شاعرٌ مادحاً ملكاً في مكانٍ.

فيما الشاعر لا يزال يجوب الفضاء يدعو بحق وردة، ويتعرض للعسف وينال حصته من القتل بالأشكال جميعها.

نرقب غير طرفة كثيرون.

ليس صدفة أن يرى تاريخنا نموذجاً يُحتذى، ففي ذلك صيانة دائمة للظلم .. بظلامٍ دامسٍ مستمرّ.

يقولون لا تهلك

سَفرٌ في فُلكٍ تقودُها مشيئةُ الهلاك. لستُ إلى فَناءٍ. ثمةَ البهجةُ وهي تُعيدُ الخلق. تضعون الجحيمَ في خطواتي. تظنون هذا امتحانَ نهايتي. من يهلك في طريقي يمنح الزيتَ للهب. لكن. مَنْ يقول. ومن الذي يهلك.

أيتها الفُلكُ التي تأخذني أقدارُها

هل كتبتِ هذا الدرس لتفسير المجد؟.

ذهاب

«سأذهبُ ،
إما هُلكٌ وإما مُلكْ»

وفي الحي أحوى

ليس أقلَّ من قميص نبيٍّ مأخوذٍ بحمرة الذئب في شفتين تموجان بالشهوة. حكمةٌ أن يشطركَ العشقُ نصفين. وينال الولعُ نصفك الثالث. حتى إذا ما انهمرَ جسدُكَ بالروايات في جمرٍ وفي شظايا. تيقنتَ أن نبياً يخلعُ عليك قميصَه
ينهرُ الموتَ عنك
يصونك ويحرسُ خطاك.

رحمة الملوك

مغسولةٌ بانتظاراتٍ مبكرةٍ. تحتَ شمسٍ متعامدةٍ في كيسِ عظامي الهائم في حمى الجزيرة. مهصوراً بالبَهار المسحوق بالصخرة الصقيلة. شمسٌ/مقصلةٌ. تأويلُها للجسد الواهنِ بلا ريبةٍ ولا ضَغينةٌ. عرفتُ معها عتمةَ المحاكمات. عرفتُ حجراً حاكماً. يتركنا تحتَ شرفتِه وينسى في انتظارِ مَنْ لا ينتظرُ أحداً. انتظاراتُنا وحدَها. ويأسُنا من النوم وحده. ووحدنا نذرَعُ مآدبَ الجحيمِ، بين حيرةِ القصورِ وإسطبلاتِ الملائكة. عرفتُ آلهةً تُصغي لمديحِها في المراثي. وملوكاً تبطشُ غيرَ مكترثةٍ بشعبِها. عرفتُ جوقةً تحرسُ أشلائي تحتَ رحمةِ الملوك.

أياةُ الشمس

فقد الظلمة الفادح. حتى إذا ما تأخر النهارُ أدركَ الخلقُ نعمةَ الشمسِ في غير أوانِها.
فالليل آيةٌ يقرأها الضوءُ.
وكنتَ إذا جئتَ البحرين،
وضعتَ مفتاحَ الجنةِ في بحرٍ ومفتاح النارِ في بحرٍ
وتركتَ للناس حريةَ النحيبِ. يذرعونَ المدينة متضرعين لشمسٍ غير موجودةٍ.

الشاعر / الملك

يذهب الشاعر إلى الملوك ليقول: «أنا ملكٌ أيضاً».
ويحاول أن ينال المجدَ.
وإذا تسنى له ذلك، سينال مجداً بتخوم السلطة وليس بأفق الشعر. فتكون الخسارة مضاعفة: نخسر الشعر ويخسر الشاعرُ نفسَه ويخسرُ المجدَ.
ترى، لماذا يذهب الشعراء إلى ملوكٍ فيما يملكون القصيدة؟

يجورُ بها الملّاح

إذا رأيتَ الكتابَ عرفتَ أن شاعراً موغلاً في الزرقة يكتشفُ البحرَ بوصفه الماءَ الكثيرَ في النزهة. يخرج من قصيدته يحصي الموجَ ويمنح الفلك أسماءها
يحرّر الجُزرَ من سورة الصحراء
شاعرٌ يقود جوقة المياه
بخبرة ملاحٍ يبحر على هواه ويحلم.

قلب الحديد

بَكتْ القبرة
واستيقظ الطينُ في المقبرة
دارُ مَنْ هذه
ومَنْ يا تُرى سوف يختارها حانةً
ويقضي بها الليل زنزانة
مثلما يسهر العرشُ في المخمرة

جنةٌ ساهرة
جَلَّها اللّه في عنفوان الخليقة
مثل الذي أسكنَ القلب في مجمرة

الشمسُ حَـلَّتْ رداءَها

عُريكَ سِترُ النقصِ في الكمال.
حَلالُ عروةِ القميصِ عند الكتف والخاصرة. فإذا حلَّ ليلٌ وأنتَ في الخباء وبادرتَك الشمسُ بالأجنحة. فأنت في حِلٍ من البحرِ والرحيل.
تطفو فيصقلك الضوءُ الشاهق
وتغوصُ فتغسلك الأقاصي العميقة.
أرخِ فورةَ الجسد وتبَطَّنْ عُريّهِ.

بكتِ القُبَّرة
واستيقظ الحلم في الطين
كي تستوي وردة في العذاب
كأن الكتاب
تؤلفه غصةُ الحرف في الحنجرة

لغةٌ نافرة
فخذوا حِذْرَكُمْ
هذه جنةٌ داثرة
سوف يأتي إليها الملوكُ
وتأتي الأساطير والشعر والنثر
والمستحيلات
كي يكشف اللّه

مَورٌ بعيدٌ

ليستْ هذه طريقك. وقدماك لا تطآن أرضاً.
أجنحةٌ
والفضاءُ أفقٌ يقرأ لك مواقعَ أحلامك. تفتح البواكيرَ لمن يتبعك. لخطواتك ذئابٌ تبرأُ من الدم. وتكتشفُ لك ما تتيه به. يضغنك الملوكُ. لكأن التيجانَ قلائدُ قدميكَ. قدمان تسعيان بك مثل هودج الشمس.

ما الفرق بين الحريق القديم
وبين الجحيم
الذي يفضح الآخرة
سعيتُ بها في القصيدة
مزدهراً
أمزجُ الخمر بالمحبرة
سَمِّها ما تريد
رئةً في الحديد
عاشقاً ذاب في حبه
خارجاً
هارباً طاردته الجيوش
ستدركه جمرة غادرة
سَمِّها ما تريد

حبَاب الماء

الأنفاس الكريمة لملائكة يؤدون صلاتهم في جوقةِ الله، مثل قدحٍ كلما شَفَّ الزجاجُ.
أجنحةٌ طائشةٌ تخفق فتسبق النشوة. تَعِدُ القلبَ بالسرور وتعرف الدمَ والنصل.
تجلو درجات البلور فيمنح الماءَ طبيعة الريح والحلم.

جنةً حائرة
أثر الحب في الخاصرة
حتى إذا أخطأ الشَرَكُ القُبراتِ
نالني ما ينال المغامر ضد المدى ..
ملكٌ غارزٌ خنجره
بِنْتُ مَنْ هذه الفاجرة
خرجتْ بالشظايا من الغيم
واشتهتْ فارساً
نافراً
واستجارت من النار بالهاجرة
بِنتُ مَنْ هذه
مهرة الليل في الفجر
ليست بلاداً

موارة اليد

يأتيها الموجُ من بين يديها ومن خلفها
فتلك من صفات الكواكب التائهة في مجرة الله.
تبدو كأنها تعومُ فيما هي تغرق.

وليست نجاةً من القتل
لكنها فكرةٌ عابرة
خرجتْ من صلاة الإله
خرجت عن ملوك الأساطير
عن مشتهيات الضغائن
كي توقظ السحرَ في الساحرة.

نداماي بيضٌ كالنجوم

كلما أنعمتَ نظركَ في الحلكة تبدّى لك الفجرُ. فليس سهرك بلا جدوى. ولا تخذلك الكلمات حين تطلعها من قصيّ صدرك. قصيدتك حصنك وشعرك يحميك ويستعيد لك الحيوان الشارد والشجر المغدور. تنجو من خسارة المفقود
ولا تندم في حضرة نديم هو نجمك في الليل
ونارك في البرد ورقصك في النشيد.

جُـنَّ الفتى

(فصل الإشراقات)

قنطرة الرومي

أيّها الماء قُمْ.

جلسَ الماءُ تحت الجسر كمن يلجأ لدفءٍ من بردٍ، وأخذ يلهج باللغات الغريبة، وراحَ يثغو مثل ماعزٍ، والمراكبُ تتدفق في حريرٍ، والمسافرون ينظرون إلى الحقائب تدبُّ على الأقدام.

كان ذلك عهدي الأول بالنهر وهو يستيقظ فيخرج الشجرُ من سباته.

«أَرَى العَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ
وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ»

طرفة

وقَيْنَةٌ تروح إلينا

أسعى إليها بخطوات الحلم وقدمين مغسولتين بالكلمات. تقول لي الأخبارَ غاديةً رائحة، فأضعُ رأسي على تخت الخمر أكتبُ لها الوصايا. كل قدحٍ قصيدةٌ. كل سفر فضيحةٌ يتبادل أنخابَها فتيةٌ يخرجون عن حلكة الناموس وغيمةً القاموس، فيأخذ الشعرُ في كشف القمصان فتظهرُ أسماءٌ تتفاقمُ حيث تبدأ النشوةُ في العمل.

نخب الماء

أشعلْ سراجك وانتخبْ ماءً وقلْ لي
هل رأيتَ الخيلَ وهي شريدةٌ
مذعورة
وتَخفُّ عن أرضِ العدوّ
وهل عرفتَ الليل مثلي.
أشعلْ سراجك
دَعْ ظلامَكَ يسمعُ الإيقاعَ
هل أصغيتَ للصحراء وهي تطاردُ البدويَّ منزوعاً فتخطفه من الأفق البعيدِ
وهل شعرتَ بأن ثمة جوقةَ الأشباحِ تُحصي نحوكَ الكلماتِ. كلُ قصيدةٍ دَرَجٌ إلى موتٍ
فتكتبُ مثلما قبرٌ تُعمِّقه يداكَ.

رحيبٌ قطابُ الجيب

جسدٌ يفيضُ على ثوبه ويطيشُ مثل زَبَدِ الكأس. وحوشٌ أليفةٌ تندلع كلما صَبَّتْ الطبيعةُ عطرَها عليك. وهي لكَ. لكَ. تمنحك حقَ الموت والحياة. أقانيمُ ثلاثةٌ تُخَرِّجُ لك الجنةَ من النار.

صلاة

أخذ اللّه يصغي لشعره مثلَ الصلاة
كأنَّ اللّه يُصدِّقُ شاعراً يرأف بأحلام أقرانه
يحنو عليهم ويقدمهم على خلقه.

قميصٌ مقدَّد

يعفو عنك الليلُ. فتعرف أن عُريكَ عقابٌ. ففي الغفلة رقعةٌ للغناء. شرائطُ البروق تحرسُ لكِ الحركة، وتزنُ ضغائنَ القوم وهم في سهوٍ وفي ضلالةٍ عن مواقع خيلك. يفقدونك، ويحبسون فتيانَهم عنكَ، ويضعون الزينة في سياطهم على لحم طفل، ويتشبثون بأذيال الليل.

قصيدة / قبر

ستهبُطه ويَصعَدُ.
هذه الصحراءُ صوتٌ صارخٌ كالدم
كنتُ طريدةً مهتوكةً أسعى على خوفِ الرمادِ
وكان لي أهلٌ وكل قبيلةٍ تنتابُني كالسيف
هل صادفتَ أهلاً أسْلمُوكَ إلى العدوّ
وبالغوا في القتل تاهوا
أغلقوا زنزانةَ الصحراء في عينيكَ
أعطوا لحظةَ الصَلصَال تاريخاً لكي يمحوكَ
هل أعطوكَ من رملٍ بلاداً
زوَّجوكَ إلى الغبار وعلقوا أشعارَكَ الحسرى على أنصابهم
ورموك في النيران لا تطفئ سراجك .

رفيقةٌ بجسّ الندامى

هو السديمُ في الأديم. مزيجٌ من الفضّة والذهب. كلما لمستَه أعطاكَ. لكَ منه النهدُ والعنقُ وما دونهما.
سعيتُ إلى تلك السهرة مأخوذاً شغفاً فأدركتني حيرةُ الولع. ولم تكن للقصيدة هاويةٌ، غير تلك الحانة القصيّة بنادلتها ذات الكتف الموشومة بالأوسمة. وإرثها المكنوز بالخطّ والكتابة.

الأقاصي

في موضعٍ غامض
في القصيّ من أرجاءِ روحي
وأدْتُ جروحي.

سيحسُدني القاتلون على الحزن وهو يَحزُّ الحياةَ ويهزمني في الخفيّ من الحلم
ليس لهم فرصة يكشفونَ ارتجافَ يدي لحظة الكأس فاليأسُ سِرّي
ولن يعرفوا أنني أرِقٌ لفرط انهيارات روحي
فهذي جروحي
وليس لهم حجةٌ أن يكفُّوا عن الظنِّ
أني أباغتهم بالمزيد من البرق

صهابية العثنون

إذا أنت انحنيتَ إلى هذا الحدّ. طابَ لك عطرٌ يتفصَّدُ كأنه عُودُ الندِّ في الخمر. قهوتك الغنية ممتزجةٌ بالعسل من الإحساء و باللؤلؤ من البحرين. تقرأ ويدُكَ في المجامر. تبالغ في الولع وتكاد تركع. فتنهض لك أكثرُ الحيوانات رأفةً تحفُّ بك وتصقل المرايا لك. تسقيك الصهباء في الأصباغ والترنح.

تَشُقُّ عليَّ الهمومُ التي مَزَّقتني
أنا العاشقُ الهشُ
روحي هشيمٌ إلى النار
غضٌ على القتل مثلَ النجوم
أنا النزفُ والنازفُ
ولن يعرفوا
أنني ولِعٌ خائفُ
ففي موضعٍ غامضٍ كالوجومْ
في القصيّ من الروح
أجلسُ في خجلٍ باسلٍ
حيث لا يعرف الآخرون
سوى أنني كامنٌ للدفاع
لكي يبدأوا في الهجومْ.

أتلعُ نهّاض

الرشيقُ من الوَشَقِ الأدهم. عرشٌ لك في الحزن الشريف. يؤرجحُ الهودجَ ويحضن أجراسَ الناس ساعة الندم. تضاهيه أعناقُ الكواكب منتورةً. يَشُبُّ بهيبة الفارس ويسعى لإدراك الوحش قُبيل الفطنة.

الأيام

حكمةٌ أن تسألَ الأيامَ عن أخبارِها
حكمةٌ تصغي لها
إن كانَ كنزُك عامراً بالوقت.

عَلَمَني حريقٌ أن جمرَ العُمر يشربُ من كؤوسٍ صَبَّها رَبُ العذابِ، وصاغها حكمُ القبيلة، كي أرى في حكمةِ الأيامِ درساً سوف يقتلني قبيلَ الحانة الأخرى
وكأسُ الحكمة المكسور
نخبٌ للذي يبقى من العمر القصير
ثلاثُ جناتٍ رَسمتُ لمنتهى الأيام
إنْ تسالْ تَجدْ،

النواصفُ من دَدِ

وكنتُ إذا ما خُيرتُ بين المدينة والدين اخترتُ المدينة. وإذا خُيرتُ بين الدولة والدين اخترتُ الدولة. وإذا خيرتُ بين الدنيا والدين اخترتُ الدنيا.
فلا قِبَلَ لي بشيءٍ يملكني ويمنعني ويؤجل المتعة عني.

وإذا محوتَ حكايتي من دفتر التاريخ، يبقى عطر خولة والروايات الغريبة
واحتمال الغدر في بيت الضغينة
مثل ناقوس الكنيسة وهو يبكي
كلما تسأل تجدْ،
لا تترك الأيامَ في أخبارِها
يكفيكَ أن تُحصي جراحي كي تؤثثَ منجماً للضوء
كي تتلو مديحاً في ظلام الرمل.

تسألُ أو تجدْ،
دعني أغني خولة الأيام بعض الوقت
هل قلتُ الحقيقةَ
أم دمي في حكمةِ المعنى البعيد
قصيدتي ممحوةٌ

حرفٌ مبرد

تشفُّ الشظية عن القلب. هل اختبرتك المباردُ. أم إن حواف الكلمات دَرَج الأبجدية. هل تكلمتَ أم انتابتك النمورُ بالنواجذ. قلْ إنها القافية مشحوذة بخبرة الشِعر. قلْ إن فهارسَ العذابِ شُرفتكَ على السفن وهي تقرأ البحر وترسمُ حركة الموج.

ونجومُ أخباري محاصرةٌ بظلٍ شاحبٍ
اسألْ تجدْ
يأتيك خمسونَ احتمالاً وارتعاشةُ جنةٍ في الروح
تأتيكَ الجروحُ كنايةً عن سَلَّةِ الرؤيا بعصفٍ صاخبٍ
يأتيك بالأخبارِ شخصٌ شاخصٌ في الموت
فاسأله
تجدْ كنزاً يَزُولُ وجنةً تفنى ومحتملان للشعراء:
قتلٌ صادقٌ
وذرائعٌ للموت في أسطورةٍ تأتي بها الأيام.

سيدُ الغضا

صديقُ النجوم أيها الذئبُ يا سيد الجمر
جرحك جرحي
وأحلم أن تشتهيني دماً
أن تروّي حناياك روحي
سمعتك من بئر زنزانتي تصطفيني

شمس ثانية

مثلَ شمسٍ ثانيةٍ تَشعُّ في سريرِها، وكلما صَدَرت الإشارات الحية في أعطافها اعتدل طقسٌ واكتستْ أعضاءٌ خضراء بألوان شتى.
شمسٌ ثانيةٌ تَهَبُ الثلجَ بهجتَه ورجفة الأزاهير نشوة الفارغ تواً من لازورد القلب.
شمس ثانية تمنح الفصول ذخيرة الأسلحة الحانية، تغفو كلما اشتهت الكائنات نزهة الأحلام
بمثل هذه الشمس فقط
نقوى على الزعم بصداقة الطبيعة ورفقة الفيزياء.

سمعتك شَكُّ اليقين
صديقك،
ينتابني ولعُ الشاردين
تعالَ اسقنِي واسقنِي
أيتها النارُ هل تسمعين.

البكاء

وبكيتُ من ويل انتظاري
كلما طالَ انتحرتُ
كي أردَّ الموتَ عنك وما أتيت

بكيتُ أصقلُ دفتر الصحراء في دمع القصيدةِ
في يدي وعدٌ لديك وما أتيتُ
بكيتُ في ليلٍ نحيلِ الضوء في شغفٍ
بكيتُ كأن لي فيك احتمالاً نادراً يحنو عليك وما أتيتُ
بكيت مثل طفولة الأشياء
مثل الأخضر الوحشيّ في الغابات
مثل الحزنِ في النايات

الدجن

غيمٌ يشفُّ
تقمَّصه شاعرٌ لئلا يناله حرسٌ يسهرون على منعه في المنام عن الحلم
غيمٌ يشي بالجنون إذا جَنَّ ليلٌ
غيمٌ. هو الماء في صلوات التحول
يسعى بخولة بالمرأة المستحيلة كي تلتقي
هو الغيم، والشعر يهطل
إنْ جُنَّ عِشقٌ تجلى له الغيمُ كالأرق المُشرقِ.

وما أتيتُ
بكيتُ في بيت الطبيعة وهي تكتب شِعرَها
تفشي لي الأسرارَ مأسوراً بها
لكأنها تبكي عليَّ وما أتيت
بكيتُ وحدي والقصيدة وحدها ودمي وحيدٌ
وانتظاراتي هنا
تمحو يداً وتمدُّ أخرى
مثلما يحنو كلامُ اللّه من ولهٍ عليك
وما أتيتُ
بكيت أكرز في شعوب اللّه كي تأتين
فهل يكفي بكاءٌ صارخٌ في وحشة الصحراء
هل حبي نبيٌّ في رعيته وقلبكُ خارجٌ في الشك
هل أبكي عليك.

قرطاس الشآم

كتبتُ قرأتُ.
لذةٌ يقاتلنا عليها الملوكُ
أنتَ في النص في تخت عرشِكَ
في الشامخ من حصنك
قلعتك القانعة.

أسباب الجَرح والتعديل

- 1 -

سببٌ أن في «هجر» بيتا لأخبارها
يتقصاه أو يصطفيه الجنونْ
سببٌ أنني لستُ خصماً ولستُ عدواً
سوى للسماء التي تهبط الآن حتى العيون
سببي جارفٌ كي أرى بيتَ «هجر» سبيلي إلى الخمر
أسعى وأمحو خطاي وأوقظ في هجر أطفالها كي تكونْ
.. جرساً ناهراً للسكونْ.

فقيرٌ عن الآخرين غنيٌّ عليهم
مُلكَ لا شيء لا شيء يملك قلبك
كتبتَ قرأتَ ويكفيك.

- 2 -

لستُ في حيرةٍ
أنا جمر النهار والليل
أعرفُ أن الرمادَ خطواتي. وفي الكشف ما يَشِعُّ من الغدر. أعرفُ كم أموتُ وكم أقتَلُ. وكيف تفتك بي خطواتُ الرماد. غير أن في الحيرة من الحوانيت ما يمحو عطشَ الروح. ومن الحانات ما يصقل ماء الجسد.
تهيأت قبل كلماتي
وجدفتُ في حضرة الربّ كي يصغي لبوحي
يصدق صلاتي ويصطفيني صديقاً له
حيرتي أنني لستُ عبداً له.
لستُ في حيرةٍ
تحللتُ من حصة الرمل
حقي من الجمر والنارُ في خمرتي.

كريمٌ يروّي

لستُ من عطشٍ
ولم يعطني الرملُ غيرَ الطريق التي تنتهي
والقِرى أن تَرى في زجاجِ المسافة ما تشتهي
أن ينالَ الترنحُ حصتَه في الكتاب
ليست حياتك إن مُتَّ من خمرةٍ

- 3 -

فاضَ ظلمٌ عليها
واستخفَّ بها الأقربون
فانتهى زعفرانُ المزيج
صمتٌ سيذبحني أنني لم أمتْ عندها
وردةُ البيتِ، والبيتُ في الغدرِ في شهواتِ القتال
فاضَ ظلمٌ على قدحي المستريب
فغنيتُ في ليل وردة:
إني أموتُ بعيداً على دمعِها
دمعها سوفَ ينتابني كلما فاضَ عطرٌ على ضوئها
ما الذي ينبغي أن أفعل الآن عبر الضجيج.

ماؤكَ قنديلكَ قبل أن تنتشي
قبل أن يعتريك التهدجُ
قبل الكتابة
هذا هو النهر.

- 4 -

لم أكنْ في مكانٍ
ولا يسعُ الوقتُ وقتي ولم تنتظرني الأغاني
رأيتُ القميصَ المهلهل في العرش
مزقته بالكلام عن الشمس
والشمعُ في الشمس مثلُ الأماني.
لم أكنْ في الفهارسِ أجَّلتُ خولة للعُرسِ
لكنني لم أنمْ كي أهيئَ للحلم أسبابَه
كنتُ في أول الليل يفتحُ لي بابه كي أموتَ بطيئاً
أموتُ وخولة تفقدني في كتاب الأغاني
كتابٌ سينسى دمي في الصباح ويغتالني
لم أكنْ في القليل الأخير من النص إلا قليلاً من الصمت
أملكُ أن أستعيدَ الرواية

مخافة شرب في الممات

يقظة الجمر في موجِ الشهوة قبل البحر. ففي اليمِّ أنت عبد الدفة والشراع، ورقيق ربّانٍ لا يرحم، فاصقل تاجك بكأسك. ولا تصدق أن هناك غير العطش الأجاج. يؤوّلونك لتبحِرَ ضعيفَ العظم هشَّ المخيلة. حتى إذا ما استحوذ عليك نيلوفرُ الأعماق، ونترتَ حبلك كي يصعدوا بكَ نحو الهواء، لا يكترث بكَ أحدٌ ولا تجدُ غيرَ الموت.

أحتالُ بالأبجدية
بالمستحيل من النار بعد الرؤى الحالكة.

- 5 -

هو الموتُ
لكنني سوف أجتازه في رحيلي
دَمي وردةٌ للخلود
لمجدٍ تؤلفه الكلماتُ
وللعشق جمرٌ يُنوّرُ بعض سبيلي
هو الموت حبي بعيدٌ
وأقرب لي شاهقُ الشعر مما يرون
ويروون لي في الطريق الطويل

إن شئتَ لم ترقلْ

رقصةُ الإبل فوق الأديم. رقشٌ برشاقة القوائم الدِقاق. قفصُ الكون وهو يكبو، فيسعفه الحزام بحنانه. لترى الحيوانَ الأليف في الطاعة والوحشَ الصديق في النَّفْر. قرينُ الغياب والغربة. يقودك فتتبعه. يعرفك ويعرف طريقك ويأخذك إليه خَبَبَاً، لا سريعاً ولا هَوْنا.

أيها الموت يا هامةً كالصدى
سوف تبقى تئجُّ وتبقى تضجُّ
وأبقى بِحريةِ الحلم والمستحيل.

- 6 -

تحررتُ من مقتلي في الكتاب وأطلقتُ بابَ السماء
لتخرج كل النجوم
تُعيدُ السديمَ وتمزجُ ضوءَ المجراتِ
تمنح أخبارَها للخليقة من أوّلٍ
تحررتُ حررتُها من كلام الحَلك
تملكتها في المسافة بين الحقيقة والحلم
ساءلتها قبل أن يستحيل الجواب

ليتني أفديك

واقفٌ سرادُقه الكونُ والعشقُ بابٌ له

ماذا يريد الدمُ من بحرٍ أرحب من سماءٍ وأطول من ليل. يداه ضارعتان في الأفق. عيناه شاخصتان وبدنه تحت رحمة الوحش والجوارح. ولا يكاد يشعر بجسدٍ يذهبُ شلواً شلواً. فمن يفدي بهذا الهشيم. من يفدي بهذا اللهب. ليتني أفتديه.

أيها الحزن يا سيد الكون
يا شاهداً عند باب السماء
هل رأيت الدماء
حيث سَمَّيتُ لك
خطواتِ الفلكْ.

- 7 -

أخرجُ من زرقة الجزر المشتهاة راغباً هارباً للنجاة
ففي كل بيتٍ بنيتُ له نجمة ضللتني
وفي كل سجنٍ رسمتُ به حانةً خانني الندماءُ
انتهيتُ
اشتهيتُ
حدودَ الحياة.

أدوا الحقوق

والحقُ حفرةٌ، كلما عَمَّقْتَ نَهْبَكَ صارتْ قبراً لك. فاحذر وانتبه ودَعْ الحقَ في مكانه. لا تصدقْ صلاةً تسكتُ عن هدرٍ. كل من أمعنَ في حفرته، أوشَكَ على هاويته.

- 8 -

أصلحتُ كأساً كي أرى بزجاجها طبيعة الوحش في الحيوان. فرأيت الشخص في غابةٍ يتشهى بها يتقمصها ويَخبُّ بها عابراً سنوات القرون. الخمرة ذاتها صقلتْ لي المرآة وشفَّتْ عن بشرٍ يدَّخرُ النواجذ والأشداق ويتناسل ويمتد. وكلما انتخبتُ نجمةً في قدح انكشفتِ المخلوقات وفاض الإناء بالدم وسحقني امتحان العدم. خمرة في مقام اللغة وتفعل فعل النبي.

تعيد الخلق وتكشف السرّ.

وها أنذا

كلما أصلحتُ كأساً جرحتُ الحياة وعَدَّلتُها.

ثلاثٌ هُـنَّ من عيشة الفتى

عرشٌ شاهقٌ. حتى إن الغيمة تدخل أنفاس جسدينا، وتمسح الظلال المتأرجحة فوق رأسينا بفعل الخمرة الشريفة. امرأةٌ فسفورية ورجلٌ يطغى على المعادن.

فداء العرش وضدّه.

الجنون

هل كنتُ مجنوناً قليلاً
وهي تحدو بي وراء الريح مذهولاً كأني طفلها
ويداي في أرجوحة التلويح
هل ضاعَ الكلامُ وبالغتْ في غيِّها
مثل احتمالاتي الوحيدة وانتحاري الحرِّ.
مجنونٌ يُجَنُّ
تطير بي في عزلة الفلوات
سيدتي
ولي في حزنها الرمليّ ما يُغري الحُداةَ
تهجُّ بي في غيمةٍ
ستظل تصغي للزفير

جاشتْ إليه النفسُ

تلك جيوشٌ لا تهزم وأعداؤها لا يحصون. ما إن تَطِشْ بزبدها حتى تَقْصُرَ عنها الروحُ ويشهق لها الجسد. تقودك نحو القتال وحدك.

يستفرد بك الشغفُ فتضعفْ
تهزكَ الشهوةُ فتضعفْ
تنالك الرعشة فتضعفْ
تضعفُ وأنت في الجيوشِ تضعفُ .. وأنت الجيوشُ.

الشعر والجرح القديم
وخمرةُ النسيان وهي تفرُّ بي
تهذي بما يجلو الشغافَ
وهودجُ الذكرى بعيدٌ
تستزيدُ فيصعد الهذيانُ بي.

«جُنَّ الفتى»
ينتابني سحرُ المديح الحر
«رقلاء» انتحتْ بي خلف هذي البيدُ فازدادَ الوحيدُ
شعرتُ أن مليكتي مُلْكِي
فهل جُنَّ الفتى عبثاً وهل طاشَ القصيدُ

«رقلاء» هاتي كأسي الأخرى

إذا القوم قالوا من فتىً

هو المعدنُ الحيُّ. يسمعُ ويرى ويسعى. يعرفُ الطريقَ ويذهبُ. تخطئونه فيصيحُ ويُصِيبُ. تهملونه فيشعُّ ويرقى. الملماتُ عربته الذهبية وبيته التجربة.
ومكتوبٌ له النشيدُ:
«ليتَ الفتى حجرٌ».

لقد ضاءَ المديحُ
وآنَ للصحراء أن تحنو علينا مرةً
وحدي على ريش الفرار
وجنتي عطفُ الغريبةِ
والغريبُ مشتتٌ في التيه
والغيمُ الشفيفُ رسالتي
هل كنتُ مجنوناً وأهلي ليسَ أهلي
والكواكبُ جمةٌ
والشمسُ أنثى
كلما طابَ القصيدُ؟.

الصدق يألفه اللبيبُ

فإذا نالت الوساوسُ منكَ. فَرَطَ لبُكَ وفَشَتْ النارُ في قميصك وكَفَّ عنك اليقينُ. لن تعودَ تدركُ المسافة بين عقل الأحمق وجنون الحكيم. فتبرأَ من المُلك والضغينة. تسمو على قاتلك وتصيبك نجمةُ الأقاصي وتسكنُ المعرفةِ.

أوسمة السفر

حروفٌ، غيومٌ هشةٌ تتصاعد في نواحِ كبدٍ تتكاثف في غرفة الروح، عطشى
يقرأها ماءٌ صغيرٌ ويمنحها الشكلَ والحركة ويصبُّ عليها القميص.
حروفٌ، أصابعُ آلهةٍ تحسنُ ابتكارَ لغةٍ تؤنس الغريب
يبدأ المطرُ بإيقاظ الرمل في الصحراء، وكنز الكمأ في المخابئ،
فتكشف الحروفُ المعنى وتصقل الدلالات
حروفٌ،
خطواتُ الأدلاء في التيه
حروفٌ
أوسمة الصعاليك في ليل السفر.

حَلال التِلاع

مكانٌ يطغى. كلما انحلتْ عُرى القميصِ وانبثقَ زمنُ الروحِ في التلاشي. يذهبُ الشخصُ مشرفاً على موتٍ وشيكٍ والولعُ مجدٌ له. المكان الأعلى والزمان النافر. تشرف على الكون وتسبق الريح. لا يحلُّ لك الموتُ إلا هناك.
لا يغفلُ عنكَ ولا تتأخرَ عنه.

درس الكحول

ماذا يريد الآخرون من الفتى المجنون مكتهلاً سريعاً
مثل نسرين الجبال
ماذا يريد بقية الماضي من المستقبل المغدور
وهو يلوبُ في الذكرى من الجرح القديم
هو السديمُ
يعيدُ خلقَ الكوكبِ البدويِّ كي ينسى ملامحه،
وذاكرة لتوقظ ميتاً في النص
هذا الشخصُ مكتهلٌ يشيخ وينتحي ويؤلفُ الملكوت
سوف يموت حراً طائشاً
ماذا يريد الآخرون من الجنون.
لم أتعظ،

الظلمُ فَـرَّقَ

تقشعر ضمائرُ الحيوانِ الأليف. حَيفٌ يُحدِقُ بالخلق. يقع فيمزق البيتَ والعائلة ويفسد الخلق. يضع الفضيحة في المواعين وتكفُّ البراءةُ عن النوم. يهمُّ الليلُ على الناسِ بآلة الكوابيسِ، فلا يكادُ الأطفال يبلغون الكتابَ ولا يفكُّون الحرفَ في ظلامٍ ظالم.

ولقد سَللتُ من السماء الكأسَ
ساءلتُ انخطافاً شدَّني في صخرة النسرين
أغرى دفتري بالموت في العشرين شيخاً شامخاً
وانهرتُ في بيت الكنيسة
كنتُ في المحراب كنتُ البابَ
فَلْيَلْهُ معي نَرْدُ العذاب.

لم أتعظ،
راهنتُ بالباقي من الموت القديم
لكي ينام بقية الموتى وتصحو يقظةُ الأحياء
هذا الماءُ مجنونٌ يرى درس الكحول
فهل أنا في كوكبٍ ثملٍ؟
ترى ماذا يريد الآخرون.

ظلم ذوي القربى

مرضٌ أهونُ منه الموتُ.

تجليات الحارس

لا بابٌ ولا زنزانةٌ هذي تخاريمُ السماءْ
والماءُ فيها ليس في قدحٍ. فلا للماء أسماءٌ. ولا للماء ماءْ.

هل كنت أسهرُ عند باب الحلم
هل كان النشيدُ حفيف أجنحة الكتابةِ
هل حَرَسْتُ خرافةً من دون أن أدري؟

غيومٌ تعبر الشُبّاكَ والأفلاكُ تخطئ دربَها
تنثالُ مثل مجرةٍ في حائطٍ يحنو
بكى في الليل يطلبُ كاغداً
ودواةَ حبرٍ دافئٍ

في الحوانيت

أن تحسنَ المسافة بين الحانةِ والزنزانة. فضاءٌ تمضِي فيه قسطاً من حياتك. حتى إنكَ لن تعرفَ أيهما جنتك وأيهما جحيمُكْ. وكلما تقدَّمَ بك الوقتُ لن تدرك أيٌّ منهما حريتُك وأيٌّ قيدُك. لكن عليكَ أن تتدربَ على ذلك وتحسوه في كأسٍ وفي مرايا.

ويعود يبكي ساعةَ الرؤيا
كأن اللّه قال له.
فيكتبُ كي يرى ورقاً يطير وغيمةً في السقف
مثل يمامةٍ مذعورةٍ

هل كان طرفة شاعراً أمْ ساحراً
واللّه كلَّفَهُ وألَّفَهُ
لكي نلقاهُ مثل الحلم

كنتُ الحارس الكونيّ
أغفو، دون أن أدري،
على حلم الخليقة وهي تسهر كي أنام
فكلما رفَّتْ ملائكةٌ عرفتُ

حَقُّ وردة

شَعرُها الأصهبُ
وبحرُها الأخضرُ
وكنزها القديمُ
ونخلُها الكريمُ
وطينها الذهبُ.

وكلما صليتُ خُفْتُ
هذه زنزانة وَسِعَتْ سماءً
واستضاءت بالدم الورديّ
كانت أبجديته تَشِعُّ
إذا هَفَتْ كلماته في الكاغد الشفّاف
أسمعُ ضوءه
فأذوبُ في ولع
قصيدتُه صديقتُه
وحين يريدُ بعض الماء كان الماءُ يسمَعهُ
إذا تعبتْ عناصره جَرَتْ أخلاطُه
فبكى قليلاً ريثما تستيقظ الشهوات
يُنشِدُ ساعةً فيهذِّبُ الأخطاء
أفتحُ بابَه فيكون في جلبابِه
ويقول لي: هاتِ النبيذ.

يتعاورون عليها بالرُفوش والجنازير. يَغرفُونَ منها بالقُفَّةِ والخُرْجِ. وكلما أمعنوا وبالغوا في الجمع والمنع فاضتْ عليهم بالعطرِ والمغانم وبالمسكِ والعنبر.
وأنتَ في الفَقر
تعرفُ أن لكَ في الحق ما يكفي ويزيد
فهي تمسِكُ وهُمْ يعبَثُونَ ويعيثون.

العبء

كتفاي

أم مقعدٌ وثيرٌ لعبء زمنٍ يمضي. تختُ عظامٍ واهنٌ يتكئ عليه جيش العابرين. يتصاعد إيقاعٌ ويحتدم جدلٌ ويتقدّم سجالٌ فيما كتفاي تصدران الصوت المألوف. عندما تتحطم كواثل السفن فوق صلادة الصخور المتلفعة بالموج الطائش. كتفاي تنطويان متدرعتين بهشيم الجسد. كتفان تكتمان الأنين الضاري لئلا يرتاع المسافرون الأسرى وهم يعبرون الأنواء مكنوزين بأحلامهم الطرية. الكتفان بالوجع ذي الأوسمة الدامية المحفورة بأنياب السنوات.

كتفان شقيقتان للوقت.

ولو حَلَّ بيتٌ

فإذا رَسَمْتَ خطَّ الأفق. وانحنيتَ نصف قوسٍ. فسوف تجِدُ من يأخذك للمكان. ليستْ عُزلةً. لكنها نزهةُ المريضِ بعد الجَرح. وكلما عَمُقَ جرحُ المريضِ طالتْ غربتُه واستخفى مكانه. وبعدَ الأفقِ بقليلٍ قبلَ القوسِ ببرهةٍ. يظلُ للشاعرِ مكانٌ فيه يسهرُ مريضاً على الكلمات النشيطة. فإذا طالته الأيدي القاسية قبل القصيدة. سوفَ نراهُ في حسرةٍ وهو ينأى.

العرار

أشمُّ رائحةَ العرارِ محملقاً في ضوء أحلامي
وأبكي ضائعاً كستارةٍ تهمي على جرح الطبيعة وهي تنفي طفلها، فتغيب شمعة ظلها محسورةً. لم تبق في غيمِ المسافة نجمةٌ، إلا أضاءت لي طريقَ الوقت في ليل الغبارِ
أجَّلتُ أخطائي
أُصَلِّي كي أتوبَ، فلا أتوبُ
خمرٌ وشهقةُ شاردٍ وصداقة المظلوم يا عطرَ العرارِ
خذني إليك بحانةٍ أُحصِي مراياها، وأكتبُ في زجاج بكائها شعري
وخذني مثلَ أخذِ العِشقِ
عطركَ غامرٌ
والحيرة البيضاء غير بعيدةٍ عني
ولي فيها اشتهاءٌ واحتمالاتٌ ونخبٌ صارمٌ قبل الفرار.

بَضَّةُ المتجرد

بِنتُ اللبن العاري واللذة الطائشة. تُقَسِّمُ ضوءَها في الأقداح. وتسَمِّي رعشةً للجسدِ وتنسكبُ في سرير الأقاصي.
فاتنةٌ وتعرفُ
فاجرةٌ وتعرفُ

الغريب

أيهذا الغريبُ
فُجِعَ الرملُ وهو يهذي لفرط وقعكَ في ليلهِ، في البرد
في خطوك المستوحش المستريب
أيهذا الغريبُ
لا مكانٌ هنا لا زمانٌ، وليس يؤويكَ بيتُ
ينتابكَ الشغفُ المرُّ مثل الغزال الشريد
تفرُّ من الريح من طيفِ سهمٍ طائشٍ
من صدىً يحرسُ الماءَ
من طائرٍ مرهقٍ بالرحيلِ الطويلِ
أيهذا الغريبُ
اطمأنتْ لكَ الخيلُ

تُبيحُ جيبَ صدرها لعبث أخطائي
وتقول: اشربْ.
فأعرفُ أن اليومَ خمرٌ
وغداً خمرٌ
وخمرٌ إلى الأبد.
فأذهبُ في لبنٍ فاجرٍ حتى مطلعِ الفجرْ.

تصقلُ صهوتَها بالصهيلِ الأصيلِ
وبالصهدِ
كلما جئتَ أرضاً حللتَ مثلَ الطريدِ
انتقلتَ لأرضٍ سواها
أيهذا الغريبُ
ما الذي تفعلُ الآنَ في لا مكانٍ
وجوهُكَ في كلِ ضوءٍ من الأرضِ
ثوبٌ لأجسادنا و روحٌ لنا
كلما انتابنا شغفٌ عارمٌ
حَلِلتَ بنا
أيهذا الغريب
اهْدِنا أن نخففَ عن روحكَ العبء
أن نمسح الغربة عن خطاك

انبرتْ على رسِلها

تلك هي حياةٌ تنالُها كلما منحتَها بياضَ عينيك وقُرمزَ قلبك وزهرةَ دَمِكْ. تأتيكَ. تأتيكَ. تُغنِّي لك النشيدَ. صوتها يعالجُ المرضَ ويصدُّ عنكَ العدوّ. حياةٌ تشدُّ ما يتلاشى تَنْهَرُ ما يَفنى. لبكائِكَ عندها مكانةُ الحكمةِ. وللشكوى رحمةُ الكليم.

اسمعْ الصوتَ. أسمعُهُ.
حياة أعطيتها، كما أعطيتَها .. خُذْها.

ونجلو مثل الصلاة
شَقَّ أن نتبع رؤاكَ
انتهينا قُبيلكَ، فاشفقْ علينا
نُغنِّيك يا ذا الغريبُ المعذبُ بالحب
حتى إذا الموتُ
حتى إذا متَّ وحدك نرثيك بالمستحيل
ونبكيك نبكيك
أيهذا الحبيبُ الغريبُ.

الموتُ ما أخطأ الفتى

وكلما داريتَه وَسِعَت أرديتُه وطالت أطرافُه واندلعَ معناه. لسهمِه أحداقٌ صارمةٌ. أسماؤه لا تحصى وَخَبرُه واحدٌ، تقصرُ عنه المعاجمُ. يعرفُ ماذا يريدُ. يُمعِنُ ولا يكترث.

معنى الموت

لم اكتشف سِرَّ ابتسامتكِ الغريبةِ وقتَها
كنا نذوبُ عذوبةً وأنوثةً
كانَ العناقُ الحرُّ والمجنونُ يأخذنا هنالك
كانت الكلمات لا تقوى على المعنى
يدانا ريشة في الغيم نلهو عن مشاغلنا.

كتفان في شغفٍ، ووشمُكَ نافرٌ
أسماؤنا في الأرض
نكبحُ شهقنا ونعالج البركان
نغفو في شظايانا فنوقظها بصمتٍ طائشٍ ونَفُزُّ في خيلِ القبائل. حولنا نارُ العناقات الوشيكة. لا نؤجلُ ما يحضّ على الرهائن. بغتةً تبدو ابتسامتك

تشرابي الخمور

أشربُ عشراً وألتذُّ بتسعٍ وأبذخُ بما طاب. الخمرةُ قنديلُ ندمي ونديمي في الحزن والمسرَّة.
وحكمةُ القلبِ دليلُ فتىً شاردٍ في تجاعيد طغاةٍ لا ينقرضون ولا يكفُّونَ عن الناس.
أنفُرُ،
فأضعُ الكأسَ في الرأسِ وأمجِّدُ الخيال.

الغريبة ضحكة مكبوتة.
كنتِ تدارين انتظاراً ما
فألمحُ عابراً يجتازنا
سرُّ الغريبة فيكِ لا يخفيك
شيءٌ شابحٌ عبرَ احتضانتنا
أرى عينيكِ لا تريانني
ويداكِ تلتمسان أشياءً
وصوت الناي يأتي من مكانٍ ما
كخيطٍ غامضٍ يمتدُّ فينا الآن.

أذكرُ أنني حاولتُ شَدَّكِ فانتفضتِ
كأنما شخصٌ غريبٌ يعتريك
نهرتِني
فصرختُ في الشهوات عن نوم القبيلة وانتباه الخيل:

جَرأتي عليهم

على أنْ لا تصدقَ ملكاً قبل أن يموت، ولا تجرّدَ آلةً قبل أن تعمل، ولا تقايض على دمك. فجرحك لا يلتئمُ بملحٍ فاسدٍ. فلا تفرّط في جرأةِ السؤال فهو سلاحٌ لا يصدأ. وما عليك إلا أن تصغي إلى حركة البلور وهو يتفصَّدُ في روحك. تؤلفُ به الكتبَ وتوزعه في القناديل. وتنأى بنفسكَ تِسعِينَ يقظةٍ عن المال والسلطان.

«أنْ يكفي جنوناً»
وابتسمتِ.
لم أكتشفْ سرَّ ابتسامتكِ
فما الشيء الذي تخفينَه ويُخيفُ
مرَّتْ غيمةٌ
فارتجَّ في الجسدين برقٌ. وانتبهتُ لكل أعضائي تكابر
بغتةً غابَ الهواءُ
وكَفَّتْ الأنفاسُ عن جريانها.

لم أدرك المعنى. ولكني شعرتُ بأننا مِتنا. فهل كنتِ ترينَ بأننا في شرفةٍ تهوي بنا، من دون أن ندري؟ فهل في لحظةِ الحبِ انتهاءٌ موشكٌ.
هل للقبيلة للسلالة لاحتقانِ الدمّ
شكلٌ شاخصٌ يطغى علينا عندما نفنى
وهل كنا نموتُ؟

أرى الموت

مثل ناي. تصغي إليه فيستحوذ على لُبِّكَ ويأخذك محملقاً في عيونه. ولا تعرف هل ترى إليه أم يرى إليك.
أنت وموتُك، تدخلان معاً في الرؤية والرواية. في نزهة المرايا، يغلبك بالنظر وتغلبه بالتحديق. تسبقه بالبصر ويسبقك بالبصيرة. لاتعرفان أيكما العُريُ وأيكما الكساء.

النبيذ

هذا نبيذك فاستعده واستعدَّ له.
لا جنةٌ
إلا إذا كان النبيذُ شفيعكَ التالي
جحيمٌ أم جناحٌ شامخٌ.
يتفصَّدُ الترتيلُ من شريانكِ الكونيِّ.
عرشك في الغيوم وكاحلاك يؤلفان النهر
للّهِ ابتكارٌ آخر:
يخفي ملاكاً في قميص الشعر
يوحي للنبي بأن يبشِّرَ بانتخابٍ فادحٍ في الموت.

هل هذا نبيذك أم دمٌ حرٌ من الترهيب

بنو غبراء لا ينكرونني

ذلك هو الإكليل. أصقلُه كلما تبادلتُ أنخابَ الخروج مع الكائنات المستوحشة. هناك تسمعُ وجيبَ فراشاتِ قلبي وإلى هناك تنتمي عضلةُ روحي. وحين تخلعني القبائلُ أجدُ في الأرض حضناً يعرفني. إلى هناك أنتمي. والبريقُ الذي تراه يصدر من ناحية الأوج إنما هو تاجُ الصداقة يمنحني إياه صعاليكُ الأرض. فتحتُ لهم مائدتي وقلبي فجاءوا.

أكمل كأسك الأخرى

ودَعْ شعراً ومُتْ حُراً من الموت

انتخبْ خمراً وتِهْ في غيبةِ الملكوت

نحن في انتظار خروجك الكونيِّ

لا ماءٌ لنا في جنةٍ

هذا نبيذك فاستعده ...

واستعد له.

هل أنت مخلدي

للملكِ أن يأخذَ الدرسَ من حقائب الندم في كتب الضغينة. للمشتهيات. للماء وهو يبرأ من طبيعته فيأخذ الموعظة.

مَنْ أنتَ لكي تقولَ لي مَنْ أنت.

الندماء

صَدَّ عني الرعاةُ تصانيفَهم
وانتحوا بي إلى حانةٍ يسردونَ بها فهرساً للخسارات :
لستَ الذي يفقدُ الإبلَ وحدكَ
لستَ سليلَ الغبار ومستوحش الريح وحدك
ليستْ بلادكَ وحدكَ
تلكَ التي شردتك وأعطتك للغرباء.
نحنُ مَعَكْ
ننتمي للنشيد الوحيد معك
ونرعى نجومَ الإشارة في آخر الليل والمستحيل معك
ومعك في انتخاب الكؤوس
نداماكَ نحنُ

شخصٌ ينشأ من الكلمات الكتابةُ تمحوه.

«عجبتُ لمن يمرّ من مجرى البول مرتين كيف يغترّ».

فصلُ النهاية أيها الملك.

ومستوحشون
نؤانسُ وحشَ انتظارِكَ في البردِ
نُخفي كتابَكَ عن عسسٍ يخفرونك كي نتبعكْ.
وحدنا.
نحن بيتُ القصيدةِ
نجلو التصانيفَ في النص نحصي اللصوصَ
يسوقون أنعامَنا في الظهيرة
نخسَرُها بمزاجٍ يروقُ لنا
ونُفرِّطُ في حقنا المستباح
نضاهيكَ في الفقدِ كي نستحقَ الذهابَ معك
فلستَ الوحيد الذي يقتلونك ..
نحن معك.

كتابة الحلم

أكتبُ كي أمنعَ الرملَ عن وشمِها
وهي مرتاحة في غريبِ الكلام
أرى الريح أقوى قليلاً من الشِعر
والساحرات يهدهدنَ خولة،
والوشمُ تاريخُها.
أكتبُ،
تختارني هامشاً في سديم الخيام
أكتُبها كي أرى شاهداً واحداً يقرأ الوشمَ عني
كأنّي أصدُّ عن الحب رملَ الظلام
فينتابني حلمها.

عين في الموت

عيناي في عين الكلام ولا أرى
عيناي تِسعُ شواخصَ ارتاعتْ
وقلبٌ واحدٌ وقبيلةٌ تسعى لتفسير الخيام
عيناي تائهتان في غيم وخلفي إخوةٌ يسعونَ
لو أني أرى في الموت غيرَ الموت كنت ارتحتُ
وانتاب الفتى المقتولَ تسعُ نوادمَ انهارت
تَرى عيناي في بعض البكاء نقيصةً
وتَرى ظلاماً في الكلام
عيناي في عين القبيلة
وهي تمحو نجمةً في عتمة القنديل
شاهدتان
لا عيناي زنبقة المرايا كي تنام،
ولا السلامُ جريرةٌ في الحرب
خمسُ ثواكلٍ يبكينني لأعيشَ فاتحةَ الصدى
وأموت وحدي في الختام.

تضرع

قال لي :
مطرٌ علينا. نحن في الصحراء
هل نبكي قليلاً كي نؤانس حزنه. نصغي إليه
يقول : هل نتركه يبكي وهل نخفي له في الطين كمأته
لكي ينسى اكتشاف الماء
حيٌّ ميتٌ
وعليه أن يبكي طويلاً دون أن ينسى
البكاءُ يعالج الأخطاءَ
أن يبكي طويلا قبل أن تعفو الطبيعة عن خليقتها
مطرٌ علينا. كلما متنا قليلا، جاء من يبكي لنا
يبكي ويرعى كمأة في الطين
حيٌّ ميتٌ مطرٌ
كأن الله يبكي شاعراً سيموت في العشرين.

جنة الكاس

حين انحسرتُ إلى حدود الله، كانت جنتي كأسي،
وقافيتي دليلي في سؤال الليل أبذلُ من دمِي، ومن القصيدة ما تولاهُ الجنونُ
لو بدأتُ الشعرَ خمراً
لانتحرتُ ثلاثَ مراتٍ قبيلَ الموت
كي أهجو الحياة وأستعير زجاجة التأويل
أعطي للملوك ذريعة أخرى
لأعرف أن أكون مغامراً أو ساهراً أغوي الندامى
أوقظ الفتن الشهية. أنتمي للضالعين،
وأطلق الأسرى ليبتدئ المجونُ
كنت في حلم الجناح
أرى غيوماً كلما حدقت في حريتي حراً
ولي مستقبل القتلى
فلا أملٌ بقافلةٍ تخونُ.

زائرون

لم يكن قيدُهم يحجبُ الغيبَ عني
كأني بجدران سجني زجاجٌ يشفُّ
هنا كان عروة يأتي
ووردة مثل حياء الأميرات تأتي
وأختي تؤثثُ لي بالقصائد أشهى الموائد
تأتي التآويلُ
أدعو النبيذَ فيأتي بأقداحه المترعات
ويكشفُ لي السرّ ما كان في الغيب
أعرف عتمة هذا القميص الممزق ضوءاً يشعُّ
أرى الموتَ منتظراً ذاوياً في القصيِّ من الوقت
أضعف من خطوات البريد وأنأى
أرى الموتَ أقصر من أن يراني
أرى كل شيء هنا
برزخاً يسبق المنحنى.

جناح خولة

لخولة رَفٌّ جناحٍ،
لها وهي تفتتح الشعرَ بالوشم شالٌ من الضوء ينثال مثل الهلال
لها أن تؤجلَ أطلالَها كلما آنَ وقتُ الزوال.
لها الشعرُ والنثرُ
تشهدُ لي أنني لم أمتْ بعد قتلي
لها. حبها بيتُ شعريَ أنْ تهملَ الضوء حولي
وتحفظ لي أنني ذاهبٌ في جنوني حراً
وتشهدُ أن الذي سوف يغتالني .. ماتَ قبلي .

شهوة الخلق

هل قلتَ عن باب الخليقة وهو موصودٌ
وعن طُرقٍ يصادفُ أنها صِفةٌ لآلهة تعثر خلقها
هل قلتَ إن طبيعة التكوين تخذلنا إذا متنا جزافاً وانتهتْ أخبارُنا في النص.
في كتبٍ وفي غيم الحقيقة وهو يجتاز انتحاري كي يظل الباب موصوداً
وتبقى جنة وطريقة للخلق تبقى خولة
قالت لنا ما يرفع المعنى لنا ويُحرّرُ الرؤيا
يجيز الشك أن الله موجودٌ
لكي يملي قصيدته على ماءٍ وصلصالٍ وشهوة خالقٍ فينا.

صارخ في الكون

هذا هو الكون
غرفتي الاثيرة وخزانة أخباري وصفحة كتابي الأخير.
ليستْ البيوتُ منازلي ولا مستقرات العيش سكناً لي
لي أن أرى السديم حبرَ أقلامي وطين الخلق سداةَ أشعاري
مواقع أقدامي أبهى وابعدُ. وجهتي إلى خارجٍ
أكتبهم في مجازات الأفق ويقرأونني متعثرين بالتخوم
أنتخبُ لهم الكأسَ فيترنحون بلا انتشاءٍ ولا لذّةٍ
يتقصّون صوتي
يرصدونه ويصِفونه لصائدي الجوائز
أيها الموت يا صديقي
غرفة الكون لك
ولك الشخص والكتابة.

مكاشفة

أنظر إليَّ وخَلّصنِي وداوِ دمي
ودعْ لي حجةً أسعى بها
فأفُكُّ حبسَ الناس
روحي غيمةٌ. وجميع أسمائي أدلاءُ الضياع
وردةُ أمي. مشاعٌ عطرُها. ويداك فوقي
هل ذكرتَ اللّه هل أنتَ الإله
وهل حقيقتك انتهتْ في دفترٍ
دعْ لي رواقاً أشتهي فيه وأفجُرُ كلما
جدَّفتُ كي أنجو بروحي من سلالتكَ. انتظرْ وانظرْ
دعِ الأخطاءَ لي. وامسحْ جراحي
لا تصدّقْ أن صلباناً سترفعُ كاحليك إلى سديم العرش. مَنْ يرقى إليكَ وأنت مأسورٌ بصمتك. سيدٌ في العرس. خلصني من الشك. انفصلْ عن خرقةِ التاريخ. دعْ أسطورةً تنساكَ
دع لي أن أعالجَ حيرتي بدمي. وعطر الوردة المنهوب
دعني أقرأ المكتوب.

النقائض

ليس لهذا السعي ولا لهذا الدعاء. قدماي متعثرتان بما لا تعرف كيف تسعى لما تجهل ويداي ضارعتان في غيم تائهٍ وليس لهما التشبث بهيكل الوهن. أنظرُ إليهم وهم يرسمون دوائرهم حول وثنٍ وأنصاب يصنعونها آلهةً يخضعون لها ويؤلفون لها صلاةً وقرابين. آلهةٌ ينبغي أن تخلق. ليست لسعي ولا طواف. جئتُ أسأل

أين أضع الكلمة وكيف أكتبها ومتى يَصحُّ أن أقرأ.

شعرٌ خالقٌ ينشأ مثل العذب في الأجاج.

مبدعٌ. فاتنٌ. يضع القلادة في عنق الشمس. يأتيه المكان يصوغ له الوقت لازورداً ونَيلجاً في البحر والبحيرة. أراهم يتراكمون حول حجرٍ يَجبُّ حجراً ولا يرد النيازك عن البيت

ليس لهذا جئتُ

جئت أكتب القصيدة وأقول للأيام:

يا أخباري الآتية

لستُ لآلهةٍ

ولا قدماي في جنةٍ

وليستْ النارُ في يديّ.

مديح النعش

أوقفْ جنودكَ عند حد العرش
واحرسنا بعيداً
نحن في أسرٍ
أضئ ناراً وجرِّدْ وحشَكَ المحبوس
لا تغفل
جباةٌ يمدحونَ النعش.
أوقفْ جنودَكَ عند حق العرش
فالرومُ انتهوا من درسهم ورَمُوكَ
والفرسُ استعاروا من خيامك ما يَليقُ بقصرهم
كي يصقلوا بك سيفهم
فافهمْ غموضاً واضحاً. واخلعْ نياشينَ الولايةِ من دمائك
واستعدْ شعباً بلا جندٍ
ودعْ للشعر أن يهجوكَ
كي يفضح ضلوعك
لا تقفْ واسبقْ دموعك
سوف تبكي. مثلما فَقْدٌ على حكم يزولُ
وسوف تنسى كيف كان الشاعرُ المقتولُ يمحوكَ ارتجالاً قبل أن يأتي الأفولُ.
دَعْ جنودك وانتحرْ بالشعر أو دعني أقولُ.

منعطف الكلام

لم أشدّ السرجَ قبل الكأس
لم أشحذْ سيوفاً قبل أقلامي
لماذا حانةٌ ريّانةٌ تحنو، وتنهرني خيامي.

لمَ انتفضتْ ضعافُ الخيل حين انتابني شغفُ القصيدة
وانتضتْ فرسٌ جناحاً شاهقاً وسردتُ أخطائي
لماذا لم أمتْ قبل انتحاري كي أُريحَ القومَ من قتلي
وهل يومي مضى،
أم إن حتفي عند منعطف الكلام.

لو أنّ خولة

لو أن خولة، وهي تهملُ ما تركتُ من الرسائل،
تَقبلُ الأعذار
كنتُ ارتحتُ قبل القتل
قبَّلتُ ارتعاشة شالها. وبكى لها قلبي قليلا وانتشى ولعاً بها
لو أن خولة، وهي تعلم أن وشماً لم يزل في زندها،
تروي دماً يلتاعُ بالباقي من الكلمات
لو ضوءٌ لها
لو أن معجمها يَحنُّ
كتبتُ عن أسمائها لو أنها
لكنني وحدي هنا وقصيدتي
والأبجدية قد تخون

لو أن خولة، كلما لاحتْ لها نارٌ وَرَتْ في وردة الأسرار، مالتْ بي على نهر الفرات. وأطفأتني. وانحنتْ تحنو. وسرتْ لي بما يمحو العذابَ ويكتبُ الأشجارَ.

مجاز

لولا ثلاثتكَ التي تحيا بها لمَ تَكْفِنِي تِسعٌ
فلا خمرٌ ولا امرأةٌ
وليس بطولة الفرسان لي
لم يبق لي غير انتظارٍ فادحٍ في ملتقى النهرين
شعبٌ شطَّ عن ميزانِه
فجنائزُ الأسرى تجوبُ البيت. أصحابٌ يصحُّ لهم. وشمسٌ في الشراك
ونسوة يبكينَ، كي أحظى بسطرٍ واحدٍ في لحظةِ التكوين
هل بيني وبينك ما يَشِي بالخوفِ من موتٍ وشيكٍ
من شريكٍ خائنٍ في غيمة الميزان
هل بيني وبينك شاهدٌ في شبهة الأسرى
وتحرير القصيدة وانفجار الذات بالشهوات
لولا نزهةٌ نالَ الفتى منها ثلاثاً
جنةٌ وجنونُ قلبٍ واشتهاءُ الجمر
لم يُكتبْ لنا في دفتر التكوين
لم يُقرأ لنا نصٌ ولم نسكرْ معاً
أكملْ كتابكَ
سوف يكفيني مجازٌ واحدٌ أحظى به ليضلّل التأويل.

نزهة السجين

ليس للنوم معنى هنا
جسدٌ خفيفٌ يخدع الفيزياء ويبتكر الوقت. أعضاؤك تتلو تراتيلها وعيناك في قبة الحلم. كنيسة أخطائك مصقولة
يأتيك حلمٌ وتأتي جنةٌ
ويذهب عنك الجحيم وتعرف أن الملاك سيحرس أحلامك وتخدمك أجراس المعنى.
تصح لك الدلالات فتبوح وتغمض وتحظى بحبر البدايات ويدور الكاغد بين يديك
تهذي وتكتب
زنزانة الليل وهجٌ يشعُّ والفراشات تنساب في كاغدٍ في كتابٍ
وتهذي كما يطلق الطفل ألوانه في العصافير والريش
تبكي وتهذي.

هجاء العبيد

حَطّوا دفاترَهم على رملِ الصحارى، وانتحوا يبكونَ
كنتُ هُمُ. وكان الأهلُ أقسى من عدوٍ صارمٍ
تاهوا
وباعوني رخيصاً للملوك. وأعرضوا عني
وأسلَمني رفاقُ الأمسِ تحت الشمسِ
جيشٌ خادمٌ يهجو العبيدَ ويَمدحُ الصحراء
كي تحنو على مرض النصوص
كأن في قلب اللصوص شرارةً تحنو علينا.

آه مِنْ نحنُ
إذا أهلٌ لنا ظنوا بأن دفاترَ الأخبارِ فوق الرمل تمحونا
إذا غفلوا وباعونا إلى أعدائنا
ضاعوا نسوا أحلامنا
وضعوا دفاترَهم على مستقبل الصحراء
ما اختلطوا
وما من حكمةٍ فينا إذا جُنّوا.

الوشم

هل كلما ارتاحتْ يدٌ
تعبتْ يدُ
هل كل وشم أخضرٍ
يخفيه وشمٌ أسودُ.

ترنمية القتلى

جاءني أصحابي القتلى ومدُّوا لي يداً مقطوعةً :
« خُذها،
فَدَينا نصفَ أشعارٍ لك،
احتلنا لكي يمحونها
مُتنا لكي نحميكَ من أخبارِهم
خُذْها، يدٌ مأخوذة بنبوءة المعنى
فَدَينا حلمَكَ المغدور قاتلنا قُتلنا
وانتهتْ أشلاؤنا مكتوبةً عنا
تولعنا بما يختارنا من شِعرِكَ المنهوب
خُذْ يدَنا لماء الشعر
تفدي شاعراً، وتضيع في أخطائنا لتوبّخ الكسلى»

يدُ القتلى تلوّحُ لي، كأن الشعر جوهرة المراصد
كلما حدَّقتَ فيها حاورتني مثل عين الليل
لا تغفو ولا تبلى.

الرواة

جُنَّ الرواةُ فلم أعُدْ أدري
أكنتُ حقيقةً
هل كنت في أسطورة التأويل
في التاريخ يهذي شارداً.

كَذبَ الرواةُ وبالغوا حدّ الجنون
ولم أعد أدري
أكنتُ سرادقَ السلوى
لما يُروى عن الشعراء عند خروجهم في الليل عن نص الحياة
جُنَّ الرواةُ
فكيف أعرفُ أن لي إرثَ القبائل
أن لي في وردة الشعر احتمالاً صارماً في الموت
يحرسه الرماةُ.

سورة الخمر

الحمدُ للخمر. أرخَتْ ليَ الموتَ. سَلَّته مثل الحرير من الليل. خمرةُ الروح. جاءتْ على رسلها في دمي، تنتمي للرحيل النحيل، فتنتابني مثل أرجوحةٍ.

ألفُ حَمْدٍ لها،

على مهلها

مثل نسغ النخيل. التراتيلُ والنومُ والسلسبيل

وعشرون قافيةً سوف ترثي غيابي

إذا متُّ وحدي، وأرخيتُ نهرَ الدم المستحيل، وعبأته في القوارير

وزَّعتُه في القبائل شعراً لمن كاد ينسى

عشرون قافيةً سوف تكفي

سأحمد للخمر تأويلَها الملكيّ. وأجثو لها

أنها بالغتْ في الكحول لتخلطَ موتيَ بالنوم. أحمدُ خمراً تُغيِّرُ أحوالها.

وحشة الفقد

التفاصيلُ لا تنتهي. والسهوبُ الموحشة مثل قلب الضبع.
مكانٌ موغلٌ في الطبيعة.
أصغي لوجيب الدم وهو يطفرُ ويتناثر ويطيرُ في أروقة القلب.
أخرج من بيت القبيلة وأنتهي في وحشة الفقد.
غرفة الكون مدخرة منذ الأزل. أكثر اتساعاً من أبجدية التأويل.
هذه زجاجة تحضن رعشة ذبالتها.
دليلُ لَبُؤاتٍ مذعوراتٍ. حيث التفاصيل لا تنتهي.
كلما خرجتُ من قومٍ نفرتُ من أقوام.
ليس ثمة فرقٌ بينهمٍ إلا فرق الناب عن الناب.

الحجارة

جلبوا الحجارة من حيرة الناس
من محاجرهم
للقصور التي ضاهت الشمس وانتخبتْ بابها الملكيّ
الحجارة في الماء
في ورق الغار
في مستهل الحديقة وهي انتحابتنا التالية
الحجارة في الماء
حنجرة في الصهيل
كأن التراتيل حجتنا الواهية.

أيقونة السفر

للسفر قنديلٌ يقرأهُ العابرون
له زهرةٌ في الضلالة. له فراشة العتم وتجاعيدُ تتعثر بها الأقدامُ. وله أدلاء ثملون يأخذون بأيدي المسافرين
يدربونهم على الترنح ويتركون أعضاءهم ترتخي وتسيل في مقاعد حجرية
للسفر معاجم تتهجى المسافة وتختم أفئدة المسافرين بطبيعة الصبر وله خبزٌ تعدّه ملائكة الطريق
يضعه المسافر في فمه فيعرف أنه يوشك على الوصول
غير أنه لا يصل
فالسفر ليس لكي تصل
السفر لئلا تقف
سفرٌ له خرائط وإشارات ونصائح تأخذك إلى المداخل
وله شموعٌ في العتمة الكثيفة
وله صديق ينتظرك... هناك.

انقراض

مشرقٌ. وَجِلٌ على مستقبلٍ يأتي
وتنقرضون

أشْخَصُ
ملءَ أحداقي رؤى البلور تبحر نحو عشاقٍ
وتنحدرون
أستعصي على تفسيركم
ودمي بعيدٌ عن سيوف خيولكم وأغضُّ شِعري عن خطاياكم
وتبتذلون
صوتُ صلاتكم سَقْطُ الصواري وهي تنكسر
انتهتْ أسطورةٌ وهَوَتْ بلادٌ. واستعارت أمةٌ أخبارَها من دفترٍ يمضي
وعند أصابعي خيطٌ. كأن النجم يسمعُ. والأقاصي في انتظاري
والمدى مستقبلي وتفاؤلي حولي
وتنقرضون.

نار زرقاء

فتحتُ بابَ السجن يا جنتي
فاندلعت شمسٌ وطاشتْ نمور
فتحتُ كان الوقتُ أرجوحتي
فازرورقتْ نارٌ وفاضتْ بحور.

صقل الحق

طفقَ الخطاطون يجوبون الحانات
يصوغون الأيقونات بشعرٍ وقصائدَ
تصقل أخطاءَ ملوك الحيرة
تكشف أسماءَ الشعراء المقتولين
تفهرسها
وتؤججُ نطق الحكمةِ فيها
خطاطون يؤدون الحق الأبيض بالحبر الأسود.

على رسلها

وهي تنهال بالصوت
هل كان في صوتها بعضُ عمري
هل كان فجري يغني لها
أيها البحرُ
يا سيدي يا قريني بعد الرحيل
على رسلها
سوف تبقى وردة الكأس تتركني
- على رسلها-

كالقتيل.

على ماءٍ مشيتُ

على ماءٍ مشيتُ أقيس ما ينتابني من قسوة الصحراء كان الماءُ محض خرافةٍ ورأيتُ عن كثبٍ مراياه الأكاذيب الخدائع والشراك لكي يراك الموتُ لكني مشيتُ كأنه في الخطوة الأخرى أقيس ضراوة الصحراء وهي تهيبُ بالأسرى وتمكُرُ بالضحايا بالمرايا تعكس العطشى جنائز راكضاتٍ كانت الصحراء ناعسة الحديث تفيضُ أخطاءً وتأخذني لما لا يُستهان به من الإغراء كنت ذريعة الصحراء وهي تخاتل العطشى وتمحو ماءها كي يستمر السعيُ نحو الأفق كان الرمل بوصلةَ المسافرِ والغريبِ وضاربٍ في التيه كنت متيماً وجلاً وأعرف أن أشعاري قرينتهم لقتلي غير أن الماء يسمعني ويكتبني على الأسماء أمشي فوقه ويدي جناحُ فراشةٍ في النار أقداري مؤجلةٌ وصوتي طائشٌ يهذي وعيني في تفاصيل الخريطة كلما ناديتُ في ليلِ القبيلة رَدتْ الصحراء ردَّ الماءُ في جرح الزجاج وضاعت الأنواء لن يأتي سوى خبرٍ بأن الماء طاقية المهرج وهو يصعد ضاعت الأنباء هذا الماء محضُ خرافةٍ منذورةٍ لدلالة الأخطاء.

قميص النبيّ

فلما ركع في المذبح لكي يقول صلاته
فاح من ثوبه عطرٌ غريبٌ
جعل المصلين يلتفتون صوبه مأخوذين.
لم يكن يصلي،
كان يقول شعره،
فطفق المصلون يرددون كلامه.
وهم عن صلاتهم ساهون.
وكان الله يسمع ويغفر
يصغي لكلام الشاعر أكثر مما يصغي لصلاتهم.

المقتول بالأحباب

على مضضٍ تجرعتُ الضواري من ذوي القربى
وأرخيتُ الخيامَ لكي أنامْ
قدحي تفيضُ بماء قلبي
والندامى يحصدون الجمرَ في صدري
وأهلي يغدرون:
هل اكتفيتَ؟
مضاضةُ المقتول بالأحباب أين الباب
قبرٌ أو جدارٌ أم جنائزُ مشرفاتٌ في السديمِ
يا نديمي أيها الحجر الكريم
ما اكتفيتُ
رأيتُ في وحش الرحيل مرارةً تغري بما يشفي
فأرخيتُ القصيدة في اليمامْ.

كيف له

كيف للربّ أن يغفلَ الآنَ عن رسولٍ له
كيف يُهملنا بين أيدي الطغاة
أذلاء
كيف انتهينا نؤدي صلاةً له
وهو في غيهِ
يسأل العابد الكافر عن دربه
ذائباً في الصلاة؟

قل له

لا تقلْ للهواء إنني هيأتُ للنوم
قل له أخبار خولة
وهي الوحيدة في الليل
لا تقل للهواء عن الوله الطفل
عن وحشة طالت الروح
عن مستحيل الفتى وهو في الذبح.
قل له ... علّه .

ماء يفسد

كيف ستحجب شمس الحق الواضح
كيف تنام على ماء يَفسُدُ
مثل الخوف على ساقيك.
وكيف يسوق الفطر إليك غنائمه
فطرٌ فاجرٌ يكمن كي يغدر بالحق الواضح
كيف تقول لنا إنك تحمينا
وأنت تنام على ماءٍ يفسد.

ظلام المرايا

- 1 -

ستون ظلاماً وانتحاران وحبرٌ واحدٌ
كيف تسنى لك أن تبقى وحيداً كل هذا النص.

- 2 -

أنهيتُ زجاجاً كاملا أبكي
لكي أجلو مراياك
وأستجوب أسراكَ
وأحتال على القاموس بالتأويل.

- 3 -

هل كان الأحباءُ يحبونك حقاً
هل نداماك يصبُّون لك الشعرَ
يغنون الرباعيات
كي تسكب نصفَ الحبر في النص.

- 4 -

ستون ظلاما
منذ أن قاومتُ هذا الموت
كي أمحو غيابك
كنت أبكي
لم أعد وحدي هنا بعد كتابك
منذ ستين ظلاماً وانتحارين وحبرٍ فادحٍ
أسألُ كي يأتي جوابك.

رقصة الغجر

- 1 -

وكنت إذا مشوا في الرمل أقرأ خطوهَم
وأصيبُ ناياتٍ وأستهدي بحزن صليلهم في الليل
كانوا يسألون عن الصبايا
يشرحون المعجزات لهن
سربُ قواقعٍ ونثارُ أحجارِ الغياب وجنة مخبوءة والوردة المكتومة الأحلام.
كانوا يسهرون ثلاث آياتٍ على الفجر المريض. يبنون بالباقي من الأحلام
مأدبةً وطيشَ غرانق ورُقىً يُصَلُّونَ الغرامَ بها
وكنت قرينَهم في الأبجدية. منتهى قمصانهم. وهي ارتعاشة رقصة الأخطاء
صرخة روحِهم مذبوحة في سيرة السفر الطويل
وكنت أسعى كي أكون دلالة التأويل. لم أقبل بتفسيرٍ يطاردهم. ولي في خضرة الوشم القديم إشارةٌ تغري ببعض الموت
خيطُ الناي والشعبُ الذي يبكي كماناً ضائعاً
سيظل يبكي مثل ثاكلةٍ:
فتىً في روعة العشرين. تأنيب الضمير. خيانة الذكرى. هدية عاشقٍ مغدور. موجاً تائهاً وقبيلة أخرى

كتاب الخمر والكلمات في كيس الخراب
وأمة تسعى لتقديس العذاب.

- 2 -

كان الرمل حبر كتابهم
وخيامهم بيتُ القصيد
وكان شعرُ الخوف نجمهم البعيد
أقرأ خطوهم
كي أخطئَ التفسير في ليل الكتاب:
ذعرُ الغزالة عند نبع الماء. تجْعيدُ القميص تزيحه القبلُ السريعة. نزّةُ الدمِّ ساعة النصل المباغت وازدهارُ الطفل في حضنٍ على فرس المسافة.
منتهى شعبِ الخرائط في ضياع الليل. وردُ الكبرياء وجنةُ الخسران
رقصٌ صارمٌ لسلالة الأخطاء.
عرسٌ عاجلٌ يجتازنا
أسماؤنا الحسنى
تجاعيدٌ ملفقة لوجهٍ حالم.

- 3 -

شعبٌ سينسى أنني أجَّلتُ موتي تسعَ مراتٍ لكي أحظى بيقظته
نصبتُ له الخدائعَ وانتحلتُ النصَ والأنخابَ والغجر السكارى بالجمال
ورِقَّةَ التهذيب بالخمر الغريب
وتسعَ مراتٍ نجوتُ بزهرة الميزان

كنتُ إذا مشوا في الرمل. أسمعُ خوفَهم في ملتقى الأنهار
أخشى أنني لن أعرف المعنى
وإن أجلتُ تسعاً عشرَ مراتٍ
ففي بعض التفاصيل اختزالٌ لا يجوز مع الغجرْ.

- 4 -

إلى غجرٍ تعود قصيدتي لتنال معناها
لتفسيرٍ مزاجيّ لشعبٍ يفقد الإيقاع
أسلمَ واستراحَ وغادر القاموس
لا غجرٌ له
شعبٌ أضاعَ كمانَه
نسيَ الأغاني واستقر بلا سفر
شعبٌ يفرّط في الغجر.

الأزرق في وحدته

(كتاب البحر)

روحٌ تفيضُ على القدح

(شذرات طرفة)

«وَكرِّي إذا نَادَى
المُضَافُ مُجَنَّباً
كسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَورِّدِ»

طرفة

«كأنّ حدوج المالكية غدوة

خلايا سفين بالنواصف من دد»

طرفة

منتهى المرآة

خلفي قواميسُ الرمال
وجثتي مهدورةٌ
وضراوة الفتوى تجيز لمن يصادف جنةً في النص
أن يمحو كلامي
شَدُّوا سرادقَهم ودقّوا رقصة الأقداح وانتهبوا
وغَطوا وردةً في الليل
قالوا: لم تكنْ. ونسوا خيامي
زمني عصيٌّ
لا طريقَ سوى دمي وتوهج المرآة يغويني
أرى موتي وأقرأ ليلهم في معجمٍ يمضي
كأن المنتهى
وكأنني لغةُ القيام.

- 1 -
ما تنظرون بحق وردة فيكم

- 2 -
قد يبعث الأمر العظيم صغيره

- 3 -
ان الكريم، إذا يحرّب، يغضب

- 4 -
كيف يرجي المرء دهراً

- 5 -
أسْلَمَنِي قومي

ترجمة النحيب

كيف نترجمُ كلَ هذا النحيبُ
محنةٌ أن ترى بحراً هائلاً وتسمعه يصدر صوتاً كهذا. ولا تكادُ تدركُ هل هو نحيبٌ صادرٌ عن البحر من موجِه، أم إنه نحيبُ كائناتِ الأعماق اللازوردية الغامضة، حيث القواقع متمترسةٌ في عزلتها والصَدفُ مكنوزٌ في زَرَدِ المَحار الزاهي بِسمْتِه المَهيب.
كائنات تتفجّع مستجيرةً بالمجاهيل. تعلنُ عن وحشتها في المهاوي القصيَّة. أم هو نحيبٌ يتفصّدُ عن خشبٍ خفيفٍ وحطبٍ كثيفٍ يتجشَّمُ أنواءَ الرحيل والسفر عبر يمٍّ بهيم في نزهةِ البراري والسديم. هل هي لحظةُ الامتزاج الكونيّ بين عناصر يختصرُها صوتٌ بشريٌّ يتصاعدُ من الحنجرة الجريحة، في غناء بحريّ لشخص مصلوب في متوازيات السواحل ومتقاطعات الموج والملح والمحار والنيلوفر السحيق مأسوراً بصوارٍ متعاليةٍ وقلوعٍ ناصعةٍ تضاهي سماء زرقاء شاهقة تكاد تسقط.

- 6 -
كل خليلٍ كنتُ خاللته لا
ترَكَ اللهُ له واضحة

- 7 -
كلهم أرْوَغُ من ثعلبٍ

- 8 -
ما القلب سالم

- 9 -
كأني مثقلٌ بجراحي

- 10 -
كباقي الوشم في ظاهر اليد

نحيبٌ يستعصي على الوصف.
حنجرةٌ مفدوحةٌ تبوحُ مثل فحول الخيل المنذورة
لافتضاض بكورية الأفراس الهاشلة في أفقٍ بلا
حدود. مخلوقات مرصودة لاقتحام المتاريس
وحماية الفرسان وصيانة الأسلحة وإحراز
الهزائم والدفاع عن القتلى ونسيان المفقودين
تلك هي موسيقى الأرواح المنتحبة
قادرة على المسافة واجتراح الخسارات
في بحرٍ يضع الصحراء على المحكِّ لتبرأ من
التجربة.

- 11 -
ابكي وابكي إلى الغد

- 12 -
يقولون: لا تهلكْ أسىً

- 13 -
كما قسّم التربَ المفايلُ باليد

- 14 -
الشمس ألقتْ رداءها

- 15 -
صهابية العثنون

- 16 -
جَنوحٌ، دفاقٌ، عندلٌ، ثم أفرغتْ

- 17 -
إذا أقبلتْ قالوا تأخَّر رَحْلُها

- 18 -
بنائقُ غرٌّ في قميصٍ مقدد

- 19 -
أتلعُ نَهّاضٍ

- 20 -
كمكحولتي مذعورة

- 21 -
وإن شئتَ لم تَرْقَلْ، وإن شئتَ أرقلتْ

الفراشة في الشفتين

ستبقى هادئا، الريحُ تصخبُ حول جيشك
هادئاً مثل اختناقةِ حالمٍ في بحره تبقى،
ويأتي الشعرُ عصفاً صامتاً كفراشةٍ تغفو على شفتيك
تبقى صامتاً كي لا تفرّ فراشة العينين
هذا الشعر يغوينا.
احتمالاتُ انهدامٍ واختراق النصل
والنار الجريحةً وانتحابٌ فادحٌ
وضراوةٌ وضغينةٌ والغدرُ مثل البحر
غابةُ أنجمٍ شكوى بلا جدوى
ووحدك هادئً،
تبقى فراشتك الحزينة وحدها
شفتان شاخصتان تبقى هادئاً
نَصْلٌ يصلّي قربَ جرحك
والفراشة صمتك النبويّ
والصحراءُ بيتك...
هادئاً تبقى قبيلَ البحر.

البحر الأوّل

- 1 -

جُنَّت « الرقلاء».

وطاشَ صوابُ الحيوان العاقل الأليف، ولم أعد قادراً على كبح جماحها، فقد انطلقتْ تاركةً مسار القافلة التي كنا نسير فيها. كلما شددتُ قيادَها نَتَرتْ رأسَها وجدَّتْ في المسير الهميم. تطردُ وتخُبُّ وترقلُ منطلقةً حتى يستقيم رأسُها مستوياً مع عنقها بالركاب صانعةً جسراً نحو ما لا أدري.

لم أرَ «الرقلاء» في هذه الحال من قبل. رحت أتشبث بالركاب والتلابيب خشية الانفلات والسقوطَ لفرط حركتها القوية المضطربة غير المكترثةِ بي. ظننتُ أنها في حالٍ من إثنتين، إما أنها قد شَمَّتْ رائحةَ ماءٍ قريبٍ فطارتْ إليه بعد أيام العطش التي صرمناها في الصحراء، أو أنَّ لوثةَ الجوع قد أفقدتها عقلها.

قلت: دعها فهي في الحالين مأمورةٌ بما لا سلطة لي عليه.

- 22 -

ألا ليتني أفديك منها
وأفتدي

- 23 -

جاشتْ إليه النفسُ خوفاً

- 24 -

اذا القوم قالوا من فتىً
خلتُ أنني

- 25 -

ولستُ بحلال التلاع مخافةً

- 26 -

إن تقتنصني في الحوانيت
تصطد

- 27 -
نداماي بيضٌ كالنجوم

- 28 -
رحيبٌ قطابُ الجيبِ منها

- 29 -
على رسلها مطروقةٌ لم تشدد

- 30 -
مازال تشرابي الخمور ولذتي

- 31 -
تحامتني العشيرة كلها

- 32 -
أفردتُ إفرادَ البعير المعبّد

وفيما نحن طائران إذا بنا نسمع صوتاً هو بين النحيب الجماعي واصطفاق الأجنحة العظيمة. صوتٌ لم نعهده طوال الصحراء. فلم يزد هذا الصوت «الرقلاء» إلا انطلاقاً ناحية الصوت كأنها كانت تعرف إلى أين تذهب. وسرعان ما ظهر لنا في أفق نظرنا بريقٌ لازورديّ لم يسبق لي أن شاهدته في سفر ولا في إقامة. حين أبصرت «الرقلاء» تلك الزرقة نترتْ عنقها عالياً والتفتتْ تنظرُ في عينيّ كأنها تقول لي: «هل رأيت ؟!».

أرخيت لها القياد أكثر. ربتُّ بساقيّ المتوترتين على جانبيها مطمئناً أنني أرى ما تراه. وصارَ لذلك السطح اللازوردي لمعةٌ تخطفُ البصر. حتى إنني لم أجدْ ما يدفعني لقبول الظنّ بأن ذلك ضربٌ من السراب. إن أحداً لن يصدق ذلك. فلم يصادفنا سرابٌ مثل هذا قط.

ثم أخذ الصوت العظيم يتصاعدُ ويقتربُ متوضحاً دونَ أن يشبه صوتاً سمعناهُ في حياتنا. و«الرقلاء» تتقدم بالخِفّة التي يساويها بالطائر. وكأن فرحاً غامضاً بدأ يتسرب في كيانها لينعش أعطافها

المتعبة. سَرَتْ من جسدها حرارةٌ في جسمي متحوّلة إلى برودةٍ من يقف في مهبّ هواءٍ. صارت «الرقلاء» أكثرَ خفَّةً وهي تباعد بين مواقع أطرافها موشكةً على أن تخفَّ عن الأرض. وجاءتْ لنا الزرقةُ مشوبةً باخضرارٍ طريّ. تتقدم نحونا أسرع مما نذهبُ إليها. لونٌ غريبٌ عجيبٌ شاسعٌ هو الآن يملأ الأفق أمامنا وتكتنز به أبصارُنا. شعرت كأن عاطفة توحد بيننا أنا و«الرقلاء». أحاسيس تمزجُ بين روحينا وجسدينا في آن. لم أكد أمسك حبلَ قيادِها، ولم تعُد تشعر بي خارجَ حدود الطبيعة المستيقظة في جسدها. ها نحنُ نذهبُ إلى شيءٍ هو أجملُ مجهولٍ صادفناه طوال حياتنا.

وفجأة،

وقفت «الرقلاء» متسمّرةً مثلَ صخرةٍ على حافة ماءٍ عظيمٍ من اللازوَرد وهو يَصْخَبُ ويتلاطمُ ويصرخُ بنا أن : قِفا.

فوقفنا.

وقد تملكنا ارتعاشٌ لهول ما رأينا. كان ذلك فوق طاقة خيالنا بكامله.

صرخت: ما هذا يا «رقلاء» ؟

فسمعتها تقول: هذا ما أريدُ أن أعرفه.

- 33 -
هل أنت مُخْلِدي

- 34 -
دعني أبادرها بما ملكتْ يدي

- 35 -
أرى العيش كنزًا ناقصاً كل ليلة

- 36 -
ما أقرب اليوم من غد

- 37 -
متى ما تعلَ بالماء تزبد

لم نشاهد ماءً بهذا الحجم والضخامة والهول أبداً. إذن كانت «الرقلاء» تتبعُ رائحةَ الماء. والآن وقعت على ماءٍ أكبر من الصحراء التي نعرفها. فكرتُ. لابد أن طوفاناً قد حدثَ في غفلةٍ من الناس. وأنه قد ابتلعَ الخلقَ جميعه. نحن لا نرى بشراً هنا. حين لم نلحظ حالاً يستجيبُ لذعرنا، تَبيَّنَ لنا أن لا مخافة مما نراه، سوى أن صوتَ الاصطخاب المتواتر قد أقلقنا خشية أن كلاماً يتحدث به هذا الماء يتوجَّبُ علينا فهمه وإدراك فحواه.

شعرتُ بعضلاتِ جسد «الرقلاء» ترتخي وتبردُ ويتحدَّرُ عرقها مثل سيلٍ يَصُبُّ على جوانبها. تحركتْ حول نفسها تدور. نزلتُ تاركاً لها قيادَها مرخياً على رملٍ هو من البياض والنعومة بحيث يحلو لها أن ترسمَ فوقه بقوادِمها ما يجول بخيالها اليقظ. تقدمتُ ناحية الحافة الطريّة كأني أريد أن ألمسَ الماءَ العظيم بكامل حواسِّي. لكي أتيقن من طبيعته السائلة. فأطلقت «الرقلاء» رغاءها تحذرني من مغبة ما أنا مقدمٌ عليه. فأومأتُ لها أن تهدأ. لامستْ قدماي الرملَ الناعم الرطب. تقدمت. رشت موجة صغيرة

- 38 -
ذرني أرويّ هامتي في حياتها

- 39 -
أرى الموت

- 40 -
لعمركَ أن الموت ما أخطأ الفتى

- 41 -
رأيتُ بني غبراء لا ينكرونني

- 42 -
لا خيرَ في خيرٍ ترى الشرَ دونه

قدمي ببرودة جديدة. كان عليَّ أن أعرفَ أمراً واحداً قبل كل شيء.. أمراً لا يفكرُ البدويُّ في شيءٍ قبله: هل هذا ماءٌ عذبٌ يروي العطش؟ كانت خيبتي تضاهي لذةَ اكتشافي الأول لهذا الذي سيقال لنا، فيما بعد، إنه البحر قرين السفر المستمر. الأمرُ نفسه سيخالجُ «الرقلاء» التي ستعرفُ سريعاً أنه ماءٌ لن ينقص غناه وكرمه إلا كونه يقْصُرُ عن العطش. غير أننا قد وقعنا ساعتها على ما سيجعل حياتنا في التجربة الفاتنة.

وكان ذلك أول عهدي بالبحر.

- 2 -

ومن يومها لم أعرف مَلِكاً مثله.

هذا الكائن الضخم المنبسط بشموخ. الأقوى بهذه الليونة التي لا تضاهى. المكافئ الأعظم لصحراء الأرض قاطبة. من يومها. كلما اتجهتُ إليه ينتابني شعورُ الخاشع ذاهباً إلى صلاةٍ مشتهاة. ليستْ قسراً ولا نَذراً ولا شكاية. صلاةُ الروحِ السائلةِ في الجسدِ الهش. أذهبُ إلى ملكٍ كريمٍ بلا

- 43 -
وإن أُدعَ للجُلى أكنْ من حماتها

- 44 -
ولكنَّ مولاي امرؤ هو خانقي

- 45 -
كرأس الحية المتوقد

- 46 -
إذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدتني

- 47 -
ماذا ترون بشاربٍ شديدٍ علينا

مِنَّةٍ رحيم بلا رجاءٍ. أجلسُ إليه. أصغي لحديثٍ أفهمه وأتفاهمُ معه. يسمع مني صمتاً لا يدركه سواه.

عرفتُ البحرَ، ورسمتُ فيه سفناً وفلكاً وهوادجَ تصلُ الرملَ بالموج، وأضعُ في زرقتهِ جسدي كلما تعبتُ.

مثل سيفٍ يستريحُ في غمده.

قبل البحر كانت الصحراءُ تكفينا

وبعد البحر،

ما أضيقَ الكون وما أقلَ القصيدة.

- 48 -

موطنٌ يخشى الفتى عنده الردى

- 49 -

أفي اليوم إقدامُ المنية أم غد

- 50 -

فإن متُّ فانعيني بما أنا أهله

- 51 -

نفى عني الرجالُ جراءتي عليهم
وإقدامي وصدقي ومحتدي

- 52 -

ما الأيام إلا معارة

الحُداة يبتكرون البحر

الآن أعرفُ البحرَ،
كائناته. مخلوقاتِ زرقتِه الغامضة.
ليس لبدويّ مثلي أن يدركَ ذلك قبل
أن يضعَ كيانَه في رحاب هذا الماء
الهائل، ويؤرجحُ قدميه بين الرمل
الناعم والنيلوفر البعيد.
سريرُ القواقع ونزهة الحيتان.

أعرف البحرَ،
رجاله الذين أنجبتهم ملكة الموج
وربَّتهُم النساءُ البحريات. رجالٌ هم
إما مسافرون أوعائدون أو مستعدون
للسفر. رحيلٌ في الزرقة غوصاً حتى
الجُمان. حيث يولدُ الحجرُ الكريمُ
من حكمةِ اللحظة المريضةِ ساعةَ
اصطفاقِ العذبِ بالمالحِ في بياضِ
الصَدفة المكنوزة في السحيق مكترثاً
بالهواء. يغمسون أجسادَهم النحيلة
المعروقة في غفلة الوحش الحكيم،

- 53 -
ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً

- 54 -
فليت لنا مكان الملك

- 55 -
ومن الحب جنونٌ مستعر

- 56 -
حيثما قاظوا بنجدٍ وشتوا

- 57 -
وإذا تلسنني ألسنها

- 58 -
أرهبُ الليل

موثِقين أجسادَهم بالمثاقيل من أجل مباغتة القاع لإنقاذ الدرّ المكنون في زرد الأزل.

البحرُ،
النجارونَ، مهندسو المسافات، أساتذةُ الغياب، مروّضو الخشبِ اليابسِ. ليصيرَ هوادجَ تجوبُ تجاعيدَ الأنواءِ مستجيبةً لنداء الأقاصي. حيثُ الصحراءُ وحيدة بسفرها الذي يبدأ ولا ينتهي. مروضو الخشب الهارب من عتمة الغابات نحو مساقط الوهج الشاهق على مصابِّ الأنهار وأرخبيل الليل. خشبٌ هو الآن سريرٌ وشرفة ودرجٌ تصعدُ إليه أبراجُ الموجِ وتيجانِه الطائشة. الحدادونَ، مطوِّعو الفولاذ بولعِ الأفئدةِ. طارقو الأشكال والمهاميز. ملوحين بالمراسي لارتياد الأنواء واكتساب راحة السفن ونزهة البحار وخبرة المسافرين. حديدُهم أخفَّ من الغبار وأكثرُ رشاقةً من أصائل الخيل. يَخِيطُونَ صفائحَ الخشبِ بمغازلَ مثلَ أناملِ النساءِ المنتظراتِ في وحشةِ السواحل.

المغنون. حُداة البحر. نواح الأكباد. جوقة الحناجر. يحتلون حواف السفن الطوّافة يهدهدون بكلماتهم يقظة الغواصين في غفلة

- 59 -
تتقي الأرض

- 60 -
إنك من قومٍ صبر

- 61 -
إذا ما فزعوا

- 62 -
تساقى القوم كأساً مرةً

- 63 -
فإذا ما شربوها وانتشوا

- 64 -
عبق المسك بهم

الماء والريح. تتدلّى أطرافهم المتعبة مغموسة في البحر. دافقين أصواتهم حتى الأجرام الغاطسة وهي تتلمس حراشف المحار. مرتعشة الفرائص في انتظار الشهقة العظيمة لحظة ينترون أعناقَهم خارجَ الغمر. مغنونَ يَرتِّلونَ الألمَ في سورة السفر في رعايةِ قمرٍ شاحبٍ فوق خشبٍ مغسولٍ في مراقدَ ضاريةٍ لفرط المَحارِ فوق السطح الثملْ.

البحرُ،
النوارسُ المُحلِّقة، المنسابةَ، المتوترةَ، المنقضَّة، الأليفةُ، النافرةُ، الضائعة، الدليلُ، بريدُ السواحلِ، حارسةُ الموجِ، رعاةُ الزبد الطائشْ.
ببريق ريشِها يُتقنُ البحارةُ هندسةَ المكانِ والطقسِ وملامحِ الأفق.
شعوبٌ رَبَّتها النساءُ البحريات، ونذرتْ لها الماءَ الهائل، وأطلقتها في هوادجَ تتأرجحُ في أردانِ الموج بمزاجه العاصف. أعرف لهم أجنحة الفقد والفرح وأشداق الآفاق. في انتظارٍ صارمٍ تتناوبُ على رعايتِه النساءُ البحريات مع رجالهن في السفر والإقامة.

- 65 -
نمسك الخيل

- 66 -
كجذوع شذبت منها القشر

- 67 -
أرسل حكيماً ولا توصِه

- 68 -
ولا تنأ عنه ولا تُقْصِه

- 69 -
وذو الحق لا تنتقص حقه

- 70 -
ويأتيك بالأمر من فَصِّهِ

البحرُ،
المناديلُ البيضاءُ الشاسعة، منشورة في مهب الصواري الشاهقة. تلك هي رسائلُ يبعثها الناسُ في بريد السماء غداةَ سفرٍ يأخذُ الرجالَ في الغيم. رسائل الصلاة والتضرّع لئلا يغفل اللّه عن أفئدة النساء. يحمي رجالهن. يصون غوصهم. ويجعل عودتهم نعمة الآلهة. أعرف النساء يمدحن البحر حين يرجع الرجال، ويهجونه حين يتأخرون في العودة، ويحرقنه بجمر القلوب إذا هو تهاون عنهم وأهملهم وأضَاعَهُم في تيه اللجِّ وطَرَحَهم ضحية الأنواء والمجاهيل.

أعرف البحر،
حكمةُ الماءِ العظيم الذي يسهرُ على هندسة الحجوم والمسافات في ميزان الأرض وإسطرلاب الغيم ويُسعدُ السفن. ماءٌ كثيرٌ يزداد بمزاج القمر. يلقن الصحراء درس الكرم ولين العريكة وصرامة التجربة. يروي رسائلَ السفر. يحنو على كائناته الطرية. يَعِدُها بالعودة والعطايا ويرعى ضيوفه

- 71 -
حلفتُ بربِّ الراقصات

- 72 -
خُذوا حِذْرَكم

- 73 -
هي الميتة الأولى

- 74 -
بعض الشر أهونُ من بعض

- 75 -
وجردا على الغدر خيلاً ما تمل من الركض

- 76 -
إذا ما الغيم أمسى

الموسميين ويُصغي لحُداة السفن وأناشيد السواحل. سجالٌ يتبادله بشرٌ تطيشُ بهم المغامرةُ يزعمُون البسالةَ ويستبدلون الجموحَ بالندم. ماءٌ كثيرٌ. أجاجٌ واضحٌ وعذبٌ كامنٌ في التجاعيد. تكتشفه النساءُ ويرشفه الرجالُ بالقِرَبِ والمجارير كلما جَفَّتْ السفنُ واقتحمتْ الصحراءُ برمالها الفجةِ فرادةَ الأرخبيل النبيل.

حكمةٌ من البحر تأتي إلى البحر تذهبُ.

وما إن يكتشفَ شاعرٌ بحراً جديداً حتى تبدأ الأسطورةُ في النحول. كأنما القصيدة بيتُ الصحراء، والبحر فارسُها المنتَظرْ. هديتها اللؤلؤُ وبلورة الماء والعذوبة الهاربة.

أعرف الآن لِمَ يَعْتَرِكُ الملوكُ ويقتتلون على هذا الأرخبيل المنسيّ. فلن يكونَ لتيجانهم قيمةٌ أو مكانةٌ إن هي خلتْ من لؤلؤ البحرين.

الآن أعرف.

الآن.

كيف لن يكتفي الملوكُ بالأرض،

ولن يكفيهم بحرٌ واحدٌ ..

ولا يروي عطشهم ماءُ الأبد.

- 77 -
يرقص قبلها الدفءُ

- 78 -
لا تعجلا بالبكاء

- 79 -
ولا أَغِيرُ على الأشعار أسرقها

- 80 -
هل لنا أهل ؟

- 81 -
ترد عليّ الروحُ ثوبي

- 82 -
وسيفي حسامٌ

- 83 -

فليت غراباً في السماء

- 84 -

وبالسفح آيات

- 85 -

وأسحمَ وكّافِ العشيّ

- 86 -

وليس على ريب الزمان كفيل

- 87 -

نَظَرٌ ساجٍ إليك

- 88 -

غنينا وما نخشى التفرق

بحر / حلم

يده على ماء الرحيل،
وقلبه في الخوف
عينان في وَجلٍ
على مهلٍ
يسيلُ
وينتهي
ويموتْ.

بحر / ثالث

سأعرفُ كيف أن البحرَ كان ذريعة لأبي
لكي يبكي ثمانين اختناقاً صارماً بكمانه المكسور
زاغ نشيدُه واحتارَ موجٌ طائشٌ بنحيبه
الآن أعرفُ
كان ملاحٌ يجورُ به
ويجثو عند صاريةٍ تميلُ به
أهيمُ به
ويتركني لملكة الغبار تشدُّني فأضيعُ في الأمواج
كنتُ نحيبه في البحر. يتركني لصاريةٍ تمزقني
سأعرف أنني ولدٌ يشيخ وأنني طفلٌ يشيب
ونطفةٌ للموت
كان أبي يؤلفني ويكتبني
لتمحوني يدٌ ويشدني غيمٌ لمحتمل الحوارِ
الآن أعرفُ أن بحراً ثالثاً ينتابني بدمٍ ونارِ.

- 89 -
كلانا غريرٌ

- 90 -
سما لك من سلمى خيالٌ

- 91 -
حبٌّ كلمع البرق

- 92 -
و ما زَادَك الشكوى

- 93 -
فإني واصلٌ حبلَ من وَصَل

لازورد القميص

أكثر حرية من الماء هذا الأزرق الرحب.
الأزرق الرحيم. هذا اللازورد الذي يبدأ
كلما وضع شاعرٌ قلبه في القميص المجعّد.
ماءٌ يحضن بعذوبته الغامضة روحاً هائمة
شاردة من تخوم الممالك.
أكثر حرية هذا البحر، أيها الملك، من كل
نصوص خطبك المشحونة بقواقع يابسة
وأسماك ميتة ومراكب مهجورة.
أيامي الأخيرة قبل الرحيل الأخير. تريثت
لكي أقول لك ما فاتك إدراكه وما غفلتَ
عن فهمه وما تعثرت لغتك في قراءته.
أقول لك
مستعينا بالمعجم الصغير في صدور الناس،
معجمٍ يرث القواميس ويرتعش صوته
الخفيض بالخفقان كلما أوشكتْ الزرقةُ
على النوم.
أيامي الأخيرة هنا

- 94 -
أبكي ليومٍ لقيته

- 95 -
أبكي أسْوَدَ حالكاً

- 96 -
إذا جاء ما لابد منه فمرحبا

- 97 -
وتصدُّ عنكَ مخيلة الرجل

سوف أذهبُ لئلا يقال إن أياماً بخيلة ضاقت على الكلمات في حضرة البحر تحت شرفة الملك:

- 98 -
كسطور الرقِّ رَقَّشَهُ

أيها الملك
هذا أزرقُ خارجٌ عن تخومك لا يطاله سلطانٌ وليس لك سطوةٌ عليه. بحرٌ ليس لك أيها الملك

- 99 -
حابسي رسمٌ وقفتُ به

لا صحراؤك ولا جيشك ولا حرائقك
بحرٌ سَهَرَ عليه مهندسون كثيرون. وغَزَلَهَ غواصون من بياض أحداقهم وحلكة لياليهم وقرمز قلوبهم، وزرعوا أحشاءه باللؤلؤ الكريم، ومنحوا أسماكه الألوان وحرية الماء.

- 100 -
وقد يبلغ الأنباء عنك رسولُ

بحرٌ هو الباقي لشعوبٍ هائمةٍ في وحشة أرض صغيرة تستضيق ولا يقدر الشعر على حزنها.
خُذْ الصحراء كاملةً كلها
ولتدع البحرَ نزهة للغرق.

فوضى

دَع ماءك الكوني يُصغي للأقاصي
وانتظرْ ترنيمةَ الكابوسِ
مثل فراشةٍ،
وانهرْ سلالتكَ المضاعة
وانتظرْ تهويدةَ القاموس
ماءٌ في مكانٍ غامضٍ.
ماءٌ وليلٌ باهظٌ
دَع لي كتابك قبل أن تقرأ،
وقبل البحر، قبل صلافة التفسير
دعني للأقاصي
أستعيد تحيةَ الفوضى وأخطاءَ السلالة
غفلةَ الفانوس.

الأمثولة

(شهادات وثيقة)

«الهوة القائمة بين الميثولوجيا والتاريخ يمكن ردمها بدراسة التواريخ التي يجري تصورها، لا على أنها منفصلة عن الميثولوجيا، بل هي استمرارٌ لها».

كتاب«الأسطورة و المعنى»
كلود ليفي شتراوس
ترجمة: صبحي حديدي

ابن سلام

«أشعَر الناس بعد امرئ القيس».

«معظم شعره ضاعَ، حتى لم يبق منه بأيدي المصححين لشعره إلا بقدر عشر قصائد. مع أنه كان من أقدم الفحول. وقد حُمِلَ عليه كثيرٌ من الشعر»

كتاب «طبقات فحول الشعراء»

بروكلمان

«هو طرفة بن عمرو بن العبد البكري. كان ابن أخي المرقش الأصغر. وقضى شطراً من حياته في بلاط عمرو ابن هند، الذي ملك الحيرة حتى سنة ٥٦٨ أو ٥٦٩م. لكن يبدو أن طرفة لم ينادم أبا قابوس في الحيرة، إنما أخا الملك من أبيه، وهو عمرو بن أمامة، في اليمامة، وكان التجأ إلى قبيلة مراد من عداوة أخيه. فعاقب الملك طرفة بأخذ إبله التي تركها في «تبالة» من ديار بني لخم، فهجاه طرفة بأشعار مقذعة. وقد فَضَّلَ النقادُ طرفة على سائر الشعراء بإجادته وصف الناقة في معلقته على نحو لم يسبق إليه، ويميل بعضهم إلى عَدِّه أشعرَ شعراء الجاهلية».

كتاب «تاريخ الآداب العربية»

ابن حبيب

اعتبرَ ابنُ حبيب في كتابه «عقلاء المجانين» سلوكَ طرفة بن العبد وخاله المتلمس، إذا صحَّ تصرفهما بحمل رسالة ملك الحيرة إلى عامله في البحرين وهي تحمل أمر الفتك بهما، إنما هو ضربٌ من الحماقة والبلاهة التي قد تصدر عن أكثر الناس سذاجة ولا تناسب شاعراً مثل «طرفة» صاحب المعلقة الزاخرة بالحكمة.

كتاب «عقلاء المجانين»

ابن قتيبة

_ 1 _

«أجودهم طويلة. وكان في حسبٍ من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم. وكانٍ أحدث الشعراء سناً وأقلهم عمراً»

_ 2 _

«أضربهم مثلاً طرفة»

كتاب «الشعر والشعراء»

أسقف البحرين

وكان لـ «هجر»، قصبةُ البحرين، أسقفٌ يدعى «إسحاق»، ذكر في مجمع النساطرة سنة ٥٧٦ ميلادية. أن «طرفة قد وُلدَ في عام ٥٤٣ ميلادية. وقتل في عهد عمرو بن هند ملك الحيرة سنة ٥٦٩ ميلادية.

كتاب «ملوك الحيرة»

أبو بكر الأنباري

«أخبرنا الحسن بن علي العنزي قال: أخبرنا العباس بن الفرج الرياشي قال: أخبرنا عمر بن بكير، قال: حدثنا الهيثم بن عدي قال: حدثنا حمّاد الراوية عن سِماك بن حري قال: حدثني عُبيد راوية الأعشى قال: حدثني الأعشى قال: حدثني المتلمّس قال : قدمتُ أنا وطرفة بن العبد على عمرو بن هند، وكان طرفة غلاماً معجباً تائهاً يتخلّج في مشيته بين يديه، فنظر إليه نظرةً كادت تقتلعه من مجلسه، وكان عمرو لا يبتسم ولا يضحك، وكانت العرب تسميه «مضرّط الحجارة»، وملك ثلثمائة وخمسين سنة، وكانت العرب تهابه هيبة شديدة»

كتاب (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات)

ياقوت الحموي

عن «الأغاني» للأصفهاني، يقول ياقوت:
« ... والأصوات المائة هي تسعٌ وتسعون، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط سهواً، أو يكون النسيان قد غلبَ عليه والله أعلم، فهو قال في أكثر من موقع أنه سيقول عن هذا الشاعر في موضع آخر.. ولم يفعل»

كتاب «معجم الأدباء»

الشريف المرتضى

ليس كما قيل عن إنه عمرو بن هند، فإن مَنْ أَمَرَ بقتل المتلمس وطرفة هو «النعمان بن المنذر» بشهادة طرفة ذاته الذي يقول في قصيدة له يخاطب فيها الملك النعمان:

«أبا منذر كانت غروراً صحيفتي...»

كتاب «الأمالي»

عائشة

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمثلُ بشعرٍ غير
بيت طرفة بن العبد:
(ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود)
ويصفه بأن هذا من كلام الأنبياء.

كتاب «مصادر الشعر الجاهلي»
ناصر الدين الأسد

جواد علي

«تاريخُ ما قبل الإسلام هو أضعفُ قسم كتبه المؤرخونَ العرب في تاريخ العرب، يعوزه التحقيق والتدقيق والغربلة، وأكثر ما ذكروه على أنه تاريخ هذه الحقبة، هو أساطير وقصص شعبي وأخبار أُخذتْ عن أهل الكتاب ولا سيما اليهود، وأشياء وضعها الوضاعون في الإسلام لمآرب أخرى».

كتاب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»

طه حسين

_ 1 _

«شخصيةٌ قويةٌ ومذهبٌ في الحياة واضحٌ جليّ. مذهبُ اللهو واللذة يعمد إليهما من لا يؤمن بشيءٍ بعد الموت. ولا يطمع من الحياة إلا فيما تتيح له من نعيم بريء من الإثم والعار. على ما كان يفهمهما عليه هؤلاء الناس.

شخصية بارزة لا يستطيع من يلمحها أن يزعم أنها متكلفة أو منتحلة أو مستعارة. وهذه الشخصية ظاهرةُ البداوةِ واضحةُ الإلحادِ بيِّنةُ الحزنِ واليأسِ والميلِ إلى الإباحةِ في قصدٍ واعتدال».

_ 2 _

«وكيف يستطيع عاقلٌ أن يصدقَ أن القرآن قد ظهر في أمة جاهلة همجية»

_ 3 _

«زعموا أن المتلمس كان خال طرفة. ولم يرو ابن سلام للمتلمس شيئاً ولم يسمِّ له قصيدة».

كتاب «في الأدب الجاهلي»

ناصر الدين الأسد

«القول بأمية الجاهلية فرضٌ وهمٍ يجب أن نسقط جميع ما رُتب عليه من نتائج باطلة»

كتاب «مصادر الشعر الجاهلي»

المفضل الضبّي

«كان شاعراً جريئاً على الشعر»

كتاب «المفضليات»

الجاحظ

«ليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث، فإن قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية».

كتاب «البيان والتبيين»

الأصمعي

سئل عبدالرحمن ابن أخ الأصمعي عن عمه :

- ماذا يفعل عمك؟

فقال : قاعدٌ في الشمس يكذب على العرب.

كتاب «المزهر» للسيوطي

ليدي آن بلنت

«يعتقد أن هذه المعلقة أكثر انتظاماً في بنيتها من كل المعلقات الأخرى. من المؤكد أن مطلع معلقة طرفة انتحال من معلمه العظيم امرئ القيس. ولا يبرر أي جمال فكري خاص أو أسلوب بياني، الحكم على ما تبقى من القصيدة».

كتاب « القصائد السبع المذهبات»

ترجمة (صلاح صلاح)

إدوارد فنديك

«هو عمرو بن العبد بن سفيان البكري وطرفة لقب غلب عليه و هو شاعر مجيد مقدم من فحول شعراء الجاهلية من أهل البحرين كان قد بلغ مع حداثة سنه ما بلغ القوم مع طول أعمارهم وكان في حسب من قومه جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم وهو من أصحاب المعلقات السبعة وله المعلقة الدالية المشهورة. وله أخت اسمها خرنق وهي شاعرة نظيرة أيضاً. قتله عمرو ابن هند بسبب هجائه لأخيه قابوس وكان ذلك قبل ظهور الإسلام بنحو سبعين سنة. وطبعت معلقته سنة ١٨٢٩م في مدينة بون مع شرح الزوزني لها»

كتاب «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع»

طبع في مدينة غرايفسوالد سنة ١٨٦٩م.

المعري

« يا ابن أخي ، يا طرفة، خفف اللّه عنك»

كتاب (رسالة الغفران)

محمود درويش

« أيها الموتُ
انتظرني
ريثما أُنهي قراءةَ
طرفةَ بن العبد».

كتاب «الجدارية»

كتاب الجَرح والتعديل

(في مديح الحيوان)

الأسطورة

(دفتر التجربة)

«وَإِنْ شئتُ لم تُرْقِل وَإِن شئتُ أرْقلتْ»

طرفة

«سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهلا»

طرفة

المخيلة في النزهة

ليس في الحكاية من الحقيقة شيء رصين الفكرة متماسكٌ يكتمل. فهي أدخلُ إلى الأسطورة منها إلى التاريخ. ولعل في ذلك رحمة لمن يريد أن يرى إلى المعرفة بوصفها ضرباً من نتاج المخيلة البشرية التي تقبل الأخذ والعطاء. كأنما السجال فعل إبداع إنساني حرّ.

الشعر يكتبه

- 1 -

عند ابن قتيبة والمرزباني والزوزني والتبريزي والسيوطي والبغدادي هو «عمرو». وعند السُكري «عبيد». وقيل أن كنيته أبو إسحاق وأبو سعيد. وقال ابن دريد أن كنيته «أبو عمرو».

كأن بروز النصوص الرئيسية في شعر عرب ما قبل الإسلام، التي عرفت بالمعلقات، واهتمام الرواة وجامعي الشعر القدماء ومصنفيه بهذه المعلقات دون- أو أكثر من- غيرها، لهو إشارة تؤكد، بمراجعة المجموعات اللاحقة، على أن هذه القصائد هي، بحق، الأجمل والأهم من بين مجمل ما وصلنا من شعر ما قبل الإسلام قاطبة.

ومن المحتمل أن يتأكد هذا مجدداً، إذا أنت تمكنت من قراءة مصنفات الشعر القديم منذ ابن سلام حتى العصور المتأخرة، حيث لن تجد ما يضاهي شعر المعلقات غير مقطوعات وأبيات متفرقة متناثرة قليلة، ولا تشكل، لدى شاعرها، نصاً شعريا مكتملا أو متكاملاً. وفي الأغلب لن تجد تجربة شعرية مكتملة خارج المعلقات، ومن المتوقع أنك لن تعثر عند صاحب إحدى هذه المعلقات قصائد أخرى ترقى إلى نص معلقته بالذات.

- 2 -

اختلف الرواةُ في مولده وموته. قال الزركلي أنه ولد سنة ٥٣٨ وقتل عام ٥٦٣. والأب لويس شيخو اليسوعي صاحب «شعراء النصرانية» حَسَبَ عام ٥٦٣ وقت موته. واعتبر المؤرخ الفرنسي «دير سغال» عام ٥٦٣ تاريخاً محتملاً لموته. غير أن أحمد الشنقيطي يشير انه مات بين عامي ٥٥٠ و ٥٥٢.

- 3 -

قيل أن عامل عمرو بن هند على البحرين وقت طلبه طرفة كان أبو بكر ربيعة الحرث، وهو

الجيل الناضج

جاء طرفة في الجيل الثاني من شعراء ما قبل الإسلام وما بعد حرب البسوس. وقد انتقل هذا الجيل بالقول الشعري من السياق الفطري المنحصر في التداول العام، بتأليف المقاطع والأراجيز وارتجالها، إلى تأليف النص الكبير الأرقى، والذي سوف يتمثل في المعلقات المتقدمة فنياً.

ربما جاء جيل طرفة الشعري إلى التجربة الناضجة بعد مسارٍ أولٍ من محاولات الاكتشاف والتأسيس. تلك البدايات التي وُلدتْ في مقاطع صغيرة خَضَعَتْ لمفهوم القصيدة التي لا تتجاوز سبعة أبيات.. حسب تقدير منظّري نقد الشعر اللاحقين.

وجاء جيل طرفة أيضاً باقتراح ناضجٍ من القوانين الدقيقة لفن الشعر بوصفه نصاً عميقاً عموديا وأفقياً، حيث التدفق الشعري سوف يقوم

من أقارب طرفة. مما دفعه إلى رفض الانصياع لأمر الملك في تنفيذ القتل في طرفة. وقيل أن عمرو بن هند قد بادر بعزل أبي بكر وعيّن والياً جديداً اسمه «عبد عمرو». ولعل في هذا الاسم ما يشي بدلالة بالغة الغرابة، بحيث يبدو هذا الوالي «عبداً» يمتثل لعمرو بن هند. ثم قيل أن عامل البحرين الذي قَتلَ طرفة هو شخص اسمه «المكعبر». وأن الذي قام بتنفيذ الحكم رجلٌ من «الحواثر» اسمه «الربيع بن حوثرة» ويلقب بأبي ريشة.

«أو : أبو رائشة الحوثري». وقد اختاره عمرو بن هند لذلك.

كما قيل أن قاتل طرفة هو «المعلى بن حنش العبدي». غير أن «معلى» هذا هو من كلفه عمرو بن هند بقتل طرفة لحظة انفعاله عند سماع هجاء طرفة له. وأن الذي تولى تنفيذ

على «التلقائية والعفوية من غير تكلف أو مكابرة أو معاناة»، مع إعمال معطيات التأمل في تجربة الحياة والتخيل من فعل المعرفة.

لعل عنصر الخيال الشعري سيكون من بين أهم العناصر التي وضعها جيل طرفة تحت الفحص العملي، وهو عنصر لم يكن واضحاً في المتون النادرة التي وصلتنا في شعر ما قبل جيل امرئ القيس وطرفة، ففي قصائد هؤلاء مفهوم خاص للتشبيه تحاول معلقة طرفة مثلا أن تتجاوزه بتفعيلِ أنشط للمخيلة الفطرية.

وسوف نجد شعراء الجيل الثاني يعيدون تشغيل الأدوات الأولى التي ستصبح تقليدا (التشبيه، الاستعارة، الكناية).. وهي وسائط تكاد تكون منطقية، ذهنية، لفرط واقعيتها وآلية توليدها. وحاولوا إنضاج مفهوم خاصٍ للتشبيه اقترحته معلّقتا امرئ القيس وطرفة، اتصالا بفعل المخيلةً الفطرية لدى الشاعر الأول.

القتل بيده هو «معاوية بن مرة الأيفلي» من حي «طسم».

روايات لا تتفق على أمرٍ واحدٍ يتصل بتنفيذ القتل.

وقد وصل أمر الاختلاف في هذا الخبر إلى أن أبا العلاء المعري قد أشار في «رسالة الغفران» إلى كون طرفة ربما اعتقل في زمن النعمان بن المنذر وليس في عهد عمرو بن هند.

كما ذكر الشريف الرضي في أماليه عن احتمال أن يكون قاتل طرفة هو النعمان بن المنذر، وكان والي البحرين وقتها هو «المعلى بن حنش العبدي».

خارج المحفل

هل في حكاية طرفة نقضٌ وتقويضٌ صارمٌ، لما روّجته روايات العرب، عن احتفالهم بولادة الشاعر في القبيلة، لنعرف أنهم إنما كانوا يحتفلون بموت الشاعر بعد فنائه أكثر مما يفعلون ذلك في حياته.. ولكأني بالعرب لا يزالون يفعلون ذلك حتى الساعة.

- 4 -

أعمال عمرو بن هند:

- بَقَرَ بطنَ امرأة زرارة وهي حامل
- جاءَ بأبناء زرارة السبعة وقتلهم
- أمَرَ بحرق مائة رجل من بني دارم من تميم أخَذَ ثمانية وتسعين رجلا وانتهى بهم في مكان في البحرين يسمى اوارة، وأمَرَ بحفر خندق كبير ثم أضرمَ فيه النار، فلما احتدمتْ قذف بهم فيه، وأضاف إليهم رجلاً وامرأة صادف وجودهم في الناحية.
- أحْرَقَ تميم بن الجعيد المرادي، بعد أن نفذ القتل في عمرو بن أمامة أخيه غير الشقيق

فتنة الأسطورة

قرأتُ ما وصلتُ إليه من الرواة والقراء والمؤرخين، فلم أجد ما يخرج النص والشخص من الأسطورة، ولم أتصل إلا بما يضعني معهما في الشعر، فأعجبني ذلك وأحببته، إذ ليس مثل المخيلة مصدرٌ فاتنٌ للخلق.

الذي طالب بالحكم من عمرو بن هند.

كتاب «أيام العرب»

- 5 -

لم يبق جانبٌ من سيرة طرفة وأخباره وشعره إلا وكان موضعَ خلافٍ واختلاف. ففي مجمل الروايات ومصادرها ثمة عدم اتفاق عميق بين مختلف الأخبار. بل أن كثيراً من تلك المرويات تنفي بعضَها وتنقضُ البعضَ الآخر لفرط تناقضِها. فأنتَ لا تكادُ أن تقفَ على خبرٍ واحدٍ تُجْمِعُ على صحته الرواياتُ بشكلٍ يمنحكَ الشعورَ بأن الأمر يمكن، بطرفٍ ما، أن يتصلَ بالتاريخ أو بما يقاربه. فليس لك أن تتأكدَ من حقيقةٍ واحدةٍ عن

صلاة الإبل

لغةٌ في مجملها بسيطة التركيب عميقة المعاني لا يشوبها تعقيدٌ في الصورة أو التعبير، ولا تتسم بفذلكة لغوية. /

ثقافياً ينسجم النص مع القول بحداثة سن كاتبه، فثمة خبرات بلاغية وجماليات تتجاوز السن المفترضة للشاعر، مما يعزز طابع الحكمة في نزوعه الفكري، فهذه لا ترتبط بالسن، حيث الحكمة حسٌّ نفساني وتأمل، والثقافة عنصر معرفي مكتسب. /

وفي وصف الناقة سبرٌ تأمليٌ يدفع إلى الاعتقاد بأن ثمة دوافع روحانية يصدر عنها هذا المقطع بالذات. فهنا اشتغال على موضوعٍ واحدٍ على وجه التعيين، والعمل بدأب الناسك على وصف الشيء والشغف به والتضرع إليه في آن. فهل يكون هذا المقطع قد وضعه الشاعر كصلاة؟ / ففي تصيعدٍ روحي يكاد يمتزج فيه الشخص بالنص، يحدث جوٌّ من

تاريخ مولده ولا مكان نشأته ولا سبب وزمن مقتله. وليس ثمة ما يستقرُ عليه الرواةُ في ما يتصلُ باسمِه ونسبِه واسم أبيه وأسماء أخته وأخيه ومعظم أفراد عائلته. ولن يتاح لك أن تتبين الأكيدَ في أمر علاقته بأعمامه ومسألة اختلافه معهم حول إرثه وإرث أمه من أبيه. كما ليس سهلاً الجزم أو الاستهانة بملابسات ذهابه إلى بلاط الحيرة ولقاء الملك. وثمة خلاف على أي ملكٍ من ملوك الحيرة على وجه التعيين هو من التقى به وأمرَ بقتله. الغموضُ سيبدو أكثر حين يجري الكلام عن حادثة القتل. بدءاً من الدوافع والأسباب، مروراً بالصحيفة (رسالة القتل)، وصولاً إلى اسم والي البحرين الذي تلقى الرسالة أو الشخص المكلف بتنفيذ القتل في الشاعر.

قبل ذلك، سيكون علينا قبول التناقضات الفادحة بين القول بهجاء طرفة للملك ثم

التماهي الصوفي في الموصوف، كما لو أن الناقة هي المعشوقة والإلهة في آن واحد. وفي مقطع الوصف هذا ما يشي بقدرٍ كبيرٍ من الاستقرار النفسي المطمئن لحظة النص، مما لا ينسجم مع حياة البدوي المتنقل على الدوام. /

وقد أعجم وصف الناقة على قراء ونقاد زمانه وتعسر فَهْم ذلك الفصل الناجز الذي اشتهر في قصيدته وتفسيره، فقد كان الوصف فيها من الدقة والتحديق والتشخيص ما يجعل النص متميزاً في سياقه، حتى لكأنه ضربٌ من النص الخارجي الملصق بالمتن، بل إن هناك من اجتهد بالقول إنه نص دخيل على القصيدة، كتبه النحاة لفرط تقعره اللغوي والتعبيري، وانتحله الرواة لشدة حاجتهم لتكثير شعر قبيلة بني بكر كعادة صناع كتب القبائل آنذاك. /

قبل طرفة لم يصفْ شاعرٌ ناقةً مثله، ولم يفعل ذلك شاعرٌ بعده، حتى حين وصف امرؤ القيس وعنترة وزهير والنابغة ولبيد الناقة فإنّ وصفاً

ذهابه إليه سعياً للمنح والعطايا، حسبَ بعض الروايات. ليبدو لنا الشاعر على درجة من السذاجة، لئلا نقول الحماقة، لا تدانيها حماقة إلا فكرة حمله كتاب مقتله بيده، وقوله – بمكابرة فارغة – بعدم تجرؤ الملك عليه. كما يتوجب علينا خلال ذلك أن نتخيل هذا الإصرار الغريب لدى شخصٍ قام قبل قليل بالتغزل الصريح بأخت الملك في قصره وفي حضرته، حسب ما يروون. ثم بعد ذلك كله سوف تتوقع منا الروايات أن نقبل بفكرة جهل شاعر مثل طرفة القراءة والكتابة، في حين أن صبياً عابراً في طُرقات الحيرة تسنى له أن يفعلَ ذلكَ، مستخفاً بالغباء التَعِسِ الذي يتميز به شخصٌ يحملُ أمرَ موته بيده.

لكن هذا ليس كل شيء،

كالذي صاغه طرفه يكاد يجعله صاحب النص الأشهر في هذا الحقل. / حتى إذا عبرتُ على وصف الناقة في المعلقة أبحث في قلق يكاد يضعني على شفير الشك في مجمل النسيج الذي تقمشتْ به المعلقة، تيسر أن أرى ثمة ما يتجاوز الناقة إلى الولع الإنساني بالكائن القرين، مما ينجذب إليه حس الشاعر لكي يتعرف على تلك الأسرار الغامضة التي تمنح النص شعريته بفعل صنيع المخيلة وهي ترى ما لا تراه اللغة العابرة، وهو أمرٌ شدني للتحديق الحميم في نص هو الأبعد في دواخل شخصٍ يصف حيواناً يكاد يتحول، بفعل الإبداع، إلى نوعٍ من الحياة الإنسانية الباهرة. وفيما كنتُ أجوب جوانب حياة الشاعر وسبل معيشته وتفاصيل المشهد الذي احتضنه وأنشأه ورباه، ومن ثم دفعه للخروج عنه والخروج على واقعه، فإذا بي أصادف ما منحني شُرفةً تتيح لي الإطلال على ما كانت القبائل تذهب إليه في باب «العبادات قبل الإسلام»، حيث تبين أن قبيلة طرفة، بكر بن وائل، قد اتخذت الإبل آلهةً لها، فإذا صح هذا

فالأسطورة ليست هنا فحسب، لكنها سوف تجعل ملكاً- اشتهر بالبطش والوحشية مع خصومه، بصلافة التعامل مع ضيوفه، وسوداوية مزاجه مع طراق قصره، هو بالذات وليس أحداً غيره- مقصداً لشعراء عصره قاطبة، حتى ليصبح بلاطه الملتقى الثقافي الأرقى الذي تهفو نحوه قلوبُ أهل الأدب ويسعى إليه الشعراء، حيث المكان الرحب للثقافة والمصدر الأكيد للعطايا والمكافآت. سيقال ذلك كله في الوقت نفسه الذي تذكر فيه قصص الرعب الرهيبة عن العلاقات العنيفة التي اشتهر به ملوكُ الحيرة، فيما يفتكون بالشعراء الذين اضطربتْ العلاقة معهم وفي مقدمتهم عمرو بن هند. فأي انسجامٍ وتماسكٍ واستقامةٍ يمكننا أن نراها في ملكٍ طابَ له أن ينادونه بلقب «مضرِّط

الخبر، كما نتخيل، نستطيع أن نرى تأثير هذا السلوك الديني على طفلٍ ينشأ وهو يرى الناقة مقدسةً بالشكل الذي تصبح فيه حاضرة في حياته من كل جانب، مما ربّى لدى الشاعر منذ طفولته حساسية خاصة تجاه الحيوان الذي سيشكل لديه في ما بعد مكوناً حيويا ويرتقي إلى مرتبة بالغة الخصوصية. فإذا لم يكن طرفة الطفل قد حضر طقوس عبادة الإبل وشارك فيها، فهو على الأرجح قد تشرب علاقةً متميزةً بالناقة. فهي إلى جانب كونها مقدسة في حي بكر بن وائل، فإنها قرينته في الرحيل المستمر الذي لم يتوقف طوال حياته القصيرة المشحونة بالتجارب والمنعطفات، وسوف يساعد هذا على فهم تلك الخبرة والمعرفة والولع المتصل بالحضور الفاتن للناقة في نص الشاعر وتفسيرها، مما منحه التميز الحاسم عن وصف سواه من الشعراء للناقة في مجمل المعلقات والنصوص الأخرى، المعاصرة واللاحقة لطرفة. /

وقياساً إلى بقية أقسام المعلقة، سيبدو مقطع وصف الناقة لافتاً، كما الجزء النافر في رسم مستوٍ في اللوحة. حتى إن القدر الكبير من ذلك

الحجارة» لفرط وحشيته يمكن أن يرعى مجالسَ الشعر والأدب، فيما يسهرُ على تخطيطِ أكثرَ الأساليبِ دمويةٍ للغدر بأحد أكثر شعراء ذلك العصر رقةً وشفافية وتحرراً من ربقةِ سلطان قبيلته وأعراف مجتمعه، لترتيب قتله بدم بارد؟

يبقى علينا أخيراً أن نرى إلى ما هو أدخَلُ إلى صُلب التجربة شعرياً وإنسانياً. فعندما يتعلق الأمر بالشعر المنسوب إلى طرفة، سنصادف ما هو أكثر فداحة من تناقضات أخبار السيرة. ففي تلك الأشعار ما يجعلنا نشعر بأن ثمة افتعالاً وانتحالاً وارتجالاً يضربُ عرضَ الحائط بأبسط شروط الشعر وأصول الأدب، ليس قياساً لشعر طرفة فحسب، لكن لمجمل شعر ذلك الزمان.

التأمل قد أوشك أن يكون فكراً خالصاً يجافي عفوية اندفاقه عاطفياً وتلقائيته، كما في باقي النص، لفرط الذهنية التي تطلبتها تجربة وصف الناقة. /

سوف تبدو المسافةُ بين الشاعر وقصيدته الدالية المعروفة بالمعلقة، وبين معظم الأشعار المنسوبة إليه، واسعة جداً. فثمة بونٌ شاسعٌ من الفضيحة التي تجعلنا لا نستطيع أن نتخيل حجم الضمير التاريخي الذي يريد لنا أن نقبلَ أشعاراً على هذه الدرجة من الركاكة بوصفها الديوان الكامل لطرفة، وهي أشعارٌ لا تحتاج إلى كثير جهد من أجل اكتشاف ضحالة لغتها وضعف أسلوبها وسذاجة فكرتها وسطحية صورها وفقر الخيال فيها، قياساً لنص الشاعر الوحيد: «المعلقة». حتى أننا لا نكاد نتصور بأن الشخص نفسه هو الذي قال هذه وتلك. لقد عمل رواة كثيرون بقيادة «حمّاد» على تأليف الأشعار واختلاق المقاطع المفتعلة في أزمان مختلفة، في سبيل غايات كثيرة ليس أقلها تكثير ديوان الشاعر لندرة

التباس

الخلط الفادح في السرد العربي، بين الراوي الأدبي كصوتٍ شعري، وبين والنص التاريخي كصوتٍ واقعي، أساسه التباس الظن العربي بحتمية الشعر وواقعيته وقدسية الموروث.

قصائده، ولهدف تكثير كتّاب قبيلة هنا وحيٍّ هناك. والشنيع أن هذا الانتحال قد حدث باعتراف صريح، سَجَّلتْ طرفاً منه الروايات النادرة بالذات. الأمر الذي يجعلنا نتخيل حجم العسف الذي تعرض له طرفة في غير جانب من حياته ولم ينج منه شعره. وقد رأينا أن هذا النوع من الظلم قد أضرَّ بطرفة وجعله ضحية تنكيلٍ مضاعفٍ لا يضاهيه إلا إظهاره في صورة ذلك الشخص المتهور بسذاجة والمكابر بحماقة ليتنافى هذا مع صورة الحكمة النبيلة التي يقدمها لنا نصُّه الوحيد: المعلقة.

أمية الأنبياء

عَمَدَ العربُ إلى إضافة طابع أسطوري على شعرائهم في سيرهم، ليضفوا عليهم صفة التميز والفرادة حد المعجز، من أجل تصويرهم في مصاف الخارق. ولكي يكون طرفة مستكملاً لشروط النبي، فإن أول ما قالوا به هو أمّية طرفة، وهي الأمية التي تتصل بانقطاع الشاعر القديم عن شئون الثقافة التي تضعف من فطرية موهبته، حسب منظورهم لموهبة الشاعر./ ولعل مقتل طرفة المبكر قد رشحه أكثر من غيره لهذه الصفة، التي لم يرد الكلام عنها في سير حياة شعراء عصره مثل امرؤ امرئ القيس وعنترة ولبيد وزهير، وقد استدعى بالتالي تأثيث سيرة طرفة بالمزيد من عناصر السيرة لتكتمل صورته الأسطورية.

- 6 -

يحرّض الملك عمرو بن هند قبيلة «مضر» على نهب إبل طرفة، وهو من قبيلة «بكر». ليدبَّ خلافٌ بين القبيلتين ويحقق انتقامه من الشاعر، الذي رفضَ الانصياع لسلطة الملك وأعرض عن مدحه.

- 7 -

اتفق معظم الرواة والمؤرخين على أن معلقة طرفة تجيء في المرتبة الثانية بعد امرئ القيس، منهم أبو بكر الأنباري والزوزني والتبريزي وبروكلمان وفؤاد افرام البستاني واحمد الشنقيطي وفوزي عطوي. وجعلها ابن عبد ربه في عقده في المرتبة الثالثة بعد

هندسة الميزان

كلّ قصيدة هي التجلي الأرقى لإيقاع الطبيعة المتمثلة في حركة حيوان الشاعر. قصيدة امرئ القيس أخذت جوهر حركيتها وإيقاعها من حيوية وعنفوان حصان الشاعر. أما طرفة فإنه دون التأمل في حركة «ناقته» سوف يستعصي إدراك السر الجمالي الباقي في قصيدته الوحيدة. لهذا، ربما سيكون على كل شاعر أن يبتكر لقصيدته حيواناً يمنح الإيقاع موسيقاه الخاصة. هكذا سوف يحمل طرفة معه آلة عمله في السفر والإقامة : حروف وكلمات كثيرة وقليل من الزاد، واستسلام كامل لحركة الناقة وهي تسبح به في سديم خالقٍ، لا يكتب الشعر منه ولكن يصوغ به موسيقاه بإيقاعٍ، هو في العمق كشفٌ باهر لامتزاج الشخص بالحيوان، والقصيدة بالناقة، وموسيقى الكلمات بالحركة الشاملة: الإنسان والحيوان والطبيعة وفيزياء الوقت والمسافة.

امرئ القيس وزهير. وذكر ابن سلام طرفة في أول الطبقة الرابعة، بالرغم من قوله أن طرفة «أشهر الناس واحدة». وقد روى ابن قتيبة عن أبي عبيدة أن طرفة « أجودهم واحدة». كما أنه أشار إلى معلقته بقوله أنها أجود «طويلة».

بهذا يكون أبو عبيدة وابن سلام وابن قتيبة قد فضلوا معلقة طرفة على جميع المعلقات الطوال. وجعل ابن خلدون معلقة طرفة في المرتبة الخامسة. أما أبو زيد القرشي فجعلها في المرتبة السابعة. وجعلها جرجي زيدان في المرتبة الثامنة.

- 8 -

تراوحت أبيات المعلقة بين ١٠٢- ١١٧ بيتاً. ففي رواية الأنباري والزوزني عدتها ١٠٢. وفي

أسطورة وشيكة

لا نزال نأتي من تلك الأشعار القليلة النادرة التي توشك أن تكون مفقودة.

الشعر قبل الإسلام تلك هي أساطيرنا

ولو أن ذلك الشعر نجا من سلطة الدين وسطوته، لأصبح لدينا من الأساطير ما يغني ويفيض ويضع تجربة الشعر العربي في مهب الابداع الكوني، بوصفه أحد معطيات المخيلة البشرية.

لو أن الدين أصغى إلى الشعر الذي سبقه لصار أكثر حريةً وجمالاً.

رواية التبريزي عدتها ١٠٥. وفي رواية الشنقيطي عدتها ١٠٦، وفي رواية فوزي عطوي عدتها ١٠٩، وفي رواية القرشي عدتها ١١٧.

- 9 -

حظيت معلقة طرفة بالشروح وبالترجمات إلى لغات غربية وشرقية.

- 10 -

نسبه، اسمه، لقبه، كنيته

هو «طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلب بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنيب بن افصى بن دعميّ بن جديلة بن

أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

وقد اختلف الرواة في اسمه، بيد أن اسم عمرو غلب عليه. وقيل «عبيد» في رواية ابي سعيد السكري، ويقال «معبد» (وهو اسم أخيه)، ولم يروها سواه.

أما طرفة فمشهور به، وقد أجمع الرواة على ذلك، وهو لقب له ببيت قاله. وجاء في لسان العرب، عن ابن سيده، أن «الطرفة» نوع من الشجر العضاه، ليس له خشب، وإنما يخرج عصياً سمحة. وفي «خزانة الأدب» أن الطرفة محركة، واحدة طرفاء، وبها لقب طرفة بن العبد.

اختلف الرواة أيضا في كنيته، فهو أبو إسحاق، ويقال أبو سعيد. أما ابن دريد فقال: كنيته

خُطط الحيرة

(كتاب البحرين)

أبو عمرو، وهي المشهورة. وقيل غيرها، وتفرد بذكر «أبي نضلة» الخالديان.

عائلته

أمه: وردة بنت قتادة بن شنوه بن عمرو بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن بكر بن ربيعة من عدنان. من رهط أبيه.

أبوه : العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة (توفى وطرفة طفل)

أخته : الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك بن بني ضبيعة البكرية العدنانية أخت طرفة لأمه. تزوجها بشر بن عمرو بن مرشد سيد بني أسد.

«عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْدَهُ الرّدَى»

طرفة

أخوه: معبد. (طالب بدية أخيه طرفة وأخذها من الحواثر كون قاتله من الحواثر)

عمومته

المرقش الأصغر- هو ربيعة بن حرملة بن سفيان بن سعد ين مالك.

المرقش الأكبر. هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة..

ومن أعمامه : مالك.

خاله: المتلمس. اختلف الرواة على اسمه. ابن سلام وابن قتيبة وابن عبدربه وصاحب الأغاني قالوا أنه جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة من ربيعة. وروى القرشي أنه عمرو

البحرين

(تارةً يوسعونها، وتارةً يقلصونها)

قال ابن خرداذبة في وصفه البحرين: هو اسمٌ جامعٌ لبلاد كبيرة مفتوحة الأرجاء تمتد على بحر الهند بين البصرة وعُمان. قيل إنه قصبة هجر، وقيل هجر قصبة البحرين. وقد مدّها البعض من اليمن، وجعلها آخرون قصبة وحدها. وفيها عيون مياه عذبة. وربما حسب البعض اليمامة فيها. فيما اليمامة عملٌ برأسه بين مكة والبحرين. ولفرط شساعة الأرض وتداخل الخطط وامتزاج البشر فإن بعضهم رأى أن البحرين حتى العراق أو من أعمالها. وقد حدّ البحرين عُمان من ناحية جلفار واليمامة على جبالها، وربما ضمت اليمامة إلى المدينة وربما أفردت.

قال أبو عبيدة : بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام، وبين هجر مدينة البحرين والبصرة مسيرة خمسة عشر يوما على الإبل،

بن عبد المسيح. وقال ابن الأنباري أنه عبد المسيح بن جرير. وقال ابن المعتز انه ابن عبدالعزى.

خالته : فكيهة بنت قتادة بن مشنوء

اختلف الرواة في اسم العمة والأخت : القرشي سماها (الخرنق) والأنباري سماها (كبيشة)

على أن بعضهم ينسب قصيدة رثاء طرفة إلى الخرنق بنت هفان بن تيم بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن وائل.

وهي الخرنق أخت طرفة. لذلك بعضهم جعل الخرنق أخت طرفة لأمه. وروى المرزباني عن المفضل الضبي بأن الخرنق هي عمة طرفة وليست أخته.. لكي يقال بأن أخت طرفة

وبينها وبين عُمان مسيرة شهر. قال : والبحرين هي الخطّ والقطيف والآرة وهجر وبينونة والزارة وجواثا والسابور ودارين والغابة. قال : وقصبة هجر الصفا والمشقر.

وقال أبو بكر محمد بن القاسم : في اشتقاق اسم البحرين وجهان، يجوز أن يكون مأخوذاً من قول العرب (بحرت الناقة) إذا شققت أذنها، والبحيرة المشقوقة الأذن. وقال: يجوز أن يكون البحرين من قول العرب قد بحر البعير بحراً إذا أولع بالماء فأصابه منه داء.

قال ابن خرداذبه: «هذا كله تعسف لا يشبه أن يكون اشتقاقاً للبحرين»، والصحيح قد ذكره أبو منصور الأزهري في قوله :« إنما سموها البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الإحساء وقرى هجر بينها وبين البحر الأخضر عشرة فراسخ. وقدرة هذه البحيرة ثلاثة أميال في مثلها، وماؤه راكد زعاف».

كتاب «المسالك والممالك»

هي كبيشة زوجة عبد عمرو بن بشر.

جده : سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. له شعر في حرب البسوس (بين بكر ووائل)

(أنظر شجرة نسب طرفة من وضع محمد علي حمدالله

محقق «شرح المعلقات السبع» للزوزني) صفحة(521)

عن كتاب «دفاع في طريق المعلقة، وطرفة ابن العبد»(قراءة جديدة) لثريا عبد الفتاح ملحس

فضاء الحيرة

أجمع المؤرخون، اعتماداً على المصادر العربية، أن سكان الحيرة كوّنوا تآلفاً من ثلاث مجاميع بشرية، هي:

1 - اللخميون: (آل نصر بن ربيعة): النازحون من الجزيرة.

2 - العباد: من السكان الأصليين (أي من قبائل كلدة التي كانت تسكن المنطقة نفسها).

3 - الأحلاف: عربٌ مهاجرون نزلوا في المنطقة، وحالفوا تنوخ والعباد.

كان سادة الحيرة أكثر تحرراً في أمورهم وسياسيتهم من منافسيهم الغساسنة، وكان نفوذ الفرس خفيفاً عليهم.

وكانت البحرين تابعة للحيرة، يحكمها عامل يعيّنه ملك الحيرة، كما كان نفوذ الملوك يمتد إلى نجد فاليمامة، ولملوك الحيرة مصالح

سياسية خاصة في منطقة واسعة من جزيرة العرب، ولهم روابط مع سادات القبائل، ونظراً إلى ما للشعر و الشعراء من أهمية في التأثير بالرأي العام، اضطروا إلى مداهنة الشعراء والإغداق عليهم والترحيب بهم، لشراء ألسنتهم، أما من كان يوشى به عندهم فيغضبون عليه، أو يجد أنه لم يكافأ على مدحه لهم وقيامه بشعره بالدعاية لهم، مكافأة عادلة، فكان يهرب إلى أعداء آل لخم الغساسنة، ليجد له مأوى عندهم، كما فعل النابغة والمتلمس.

كيمياء المُحَرّق

نصادف كلمة «المحرق» و«محرق» و«آل محرق» في مواضع من التواريخ المتعلقة بالحيرة. وقد أطلقها بعض الإخباريين على الغساسنة أيضا. وهم يرون أنها لقب ألحق باؤلئك الملوك، لأنهم عاقبوا أعداءهم في أثناء غزوهم لهم بحرق أماكنهم بالنار. ويرى (روتشتاين) أنه تفسير لظاهر الكلمة، وهو تفسير مغلوط. والصحيح في نظره أنها اسم علم لأشخاص عرفوا بـ«محرق»، ولذلك قيل (آل محرق) لا (آل المحرق).

وفي أصنام الجاهلية صنم يدعى «محرق» و«المحرق»، تعبدت له بعض القبائل، مثل بكر بن وائل وربيعة في موضع سلمان. وقد ورد بين أسماء الجاهليين اسم له علاقة بهذا الصنم، هو «عبد محرق». أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذن علاقة بهذا الصنم، كأن يكون قد اتخذ من باب التيمن والتبرك للملك الذي عرف بالمحرق، أو أنه قدم قرباناً لهذا الإله، أحرقه على مذبحه بالنار، وكان يكثر من حرق القرابين للآلهة. وتلك عادة معروفة وردت أيضاً عند العبرانيين، فقيل له لذلك «المحرق». ويظهر أن محرقاً كان من الشخصيات الجاهلية القديمة الواردة في الأساطير، وقد اقترن اسمه بالدروع.

«وتعد البحرين من أكثف المناطق في جزيرة العرب. إن نسبة عدد سكانها بالقياس إلى مساحة أرضها عالية نسبياً قبل الإسلام وفي الإسلام. وسبب ذلك هو توفر الماء فيها، واعتمادها على استخراج اللؤلؤ من البحر وعلى صيد السمك الذي يقدم للأهلين المادة الأولى للمعيشة. والماء غير عميق عن سطح الأرض وقد موّن عيوناً في بعض الأماكن ولهذه المميزات صارت موطناً للحضر قبل الإسلام بزمن طويل».

أما «الهمداني»، فقد عدّ كل القبائل التي أولها «جاسم» وآخرها «عَبس الأولى» من العرب العاربة. والقبائل المذكورة هي «جاسم» الذين نزلوا بعمان والبحرين، وبنو هيف، وسعد، وهزان الأولى، وبنو مطر، وبنو الأزرق، وبنو بديل، وراجل، وغفار، وتيماء، وبنو أثابر، وبنو عبد ضخم.

«ومن الأماكن المذكورة «المشقر»، وهو حصن بين نجران والبحرين على تل عال، يقابله حصن سدوس، وهو من أمكنة «طسم». وقد نسب بعض الرواة بناءه - كعادتهم عند جهلهم أسماء الأماكن - إلى سليمان، وقد سكنته عبد القيس أهل البحرين. و «معنق» من قصور اليمامة على أكمة مرتفعة. و «الشموس» قيل: انه من بناء «جديس».»

«وقد عرف «ياقوت» البحرين بأنها الأرضون التي على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان، وذكر أن من الناس من يزعم أن البحرين قصبة هجر، و أن منهم من يرى العكس، أي إن هجراً هي قصبة البحرين.

أما «أبو الفداء» فذكر إن البحرين هي ناحية على «شط بحر فارس»، وهي ديار القرامطة ولها قرى كثيرة، وبلاد البحرين هي هجر. وذكر أيضا إن من الناس من يرى إن هجراً اسم يشتمل جميع البحرين كالشام والعراق، وليس هو مدينة بعينها. ويظهر من دراسة ما ذكره العلماء عن البحرين أن رأيهم في حدودها كان متبايناً، وأنهم لم يكونوا على اتفاق في تحديدها، فتارةً يوسعونها، وتارة يقلصونها.»

كتاب: المفصل (جواد علي)

وصف الكتاب

صدر كتاب "طرفة بن الوردة" في نسختين، مطبوعة ومخطوطة:

النسخة المخطوطة:

نسخة أصلية واحدة، بخط الشاعر، مكتوبة في ١٣ كتاباً:

- كتابان على ورق يدوي "Fabriano fein" - الإيطالي:

كتاب الفصول: "الأناشيد - التحولات - الاشراقات" - ٥١ ورقة - قياس (٥٦ × ٣٨سم)

"كتاب البحر" ٣٧ ورقة - قياس (٣٦ × ٢٩سم)

- عشرة كتب مخطوطة في دفاتر فنية بأوراق مصنعة يدوياً، بالقياسات التالية:

اسم الكتاب	القياس	عدد الصفحات
كتاب السيرة - كتاب البحرين	٢٤ × ١٧ سم	٢٢٠
دفتر طرفة - باب الغرائز	١٦ × ٢٢ سم	٩٦
دفتر قاسم - فصوص الحلم - دفتر السجن - اشرقات طرفة بن الوردة	٢١ × ٢٧ سم	١١٦
الأمثولة والأسطورة	١٥ × ٢١ سم	٢٥
كتاب الشهادات - كتاب النساء	٢٣ × ٣١ سم	٨٤
كتاب الملك	٢٠ × ٢٠ سم	٣٦
دفتر خولة - شذرات طرفة	١٤ × ١٤ سم	١٢٤
كتاب الجرح والتعديل	٢٥ × ١٧ سم	٦٨
كتاب الشعراء - تحولات طرفة بن الوردة	٢٨ × ٣٩ سم	٨٠
كتاب التأويل	١٧ × ٢٢ سم	٦٠
موسيقى بعنوان "طرفة" - من تأليف محمد حداد		
"زرقة الظل" كتاب فوتوغرافي بعدسة طفول حداد		

طبعة محدودة من المخطوطة

١٢ نسخة مطبوعة على ورق "Fabriano fein" إيطالي، مرقمة وموقعة، بنفس قياسات النسخة الأصلية.

٣٨ نسخة، مرقمة وموقعة، مطبوعة عل ورق "Conqueror High Whit Wove"، بنفس قياسات النسخة الأصلية.

موسيقى بعنوان "طرفة" - من تأليف محمد حداد.

"زرقة الظل" - كتاب فوتوغرافي بعدسة طفول حداد

عناوين المخطوطة من الفنان تاج السر حسن – السودان.

جميع نسخ المخطوطة مجلدة ومحفوظة في صندوق فني خاص.

تم تنفيذ وطباعة المخطوطة في المطبعة الشرقية – البحرين.

النسخة المطبوعة

٥٠٠ نسخة طبعة ممتازة، ملونة، على ورق "شامواه"، وغلاف سميك. موقعة.

١٠٠٠ نسخة ملونة، على ورق أسمر.

النسخة المطبوعة من تنفيذ "المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت"

***

جميع طبعات الكتاب تحتوي على قرصين مدمجين (CD). يشتملان على:

- عمل موسيقي بعنوان (طرفة)، من تأليف محمد حداد.
- نص الكتاب في صيغة (pdf).
- صور من المخطوطة.
- صور من ورشة عمل المخطوطة الفنية بعدسة طفول حداد
- مختارات شعرية بصوت الشاعر.

***

عنوان الكتاب على شبكة الانترنت:

www.tarafaibnalwardah.com

الفهرس

فصل الأناشيد..... 10
دفتر خولة 62
دفتر طرفة 76
دفتر النساء 123
فصل التحويلات 135
دفتر السجن 172
دفتر قاسم 211
كتاب الشعراء 267
كتاب الشهادات 317
دفتر الملك 359
فصل الإشراقات 375
كتاب البحر 455
الأمثولة 477
كتاب الجرح والتعديل 499

الفهرس

كتاب السيرة 10
دفتر الصحراء 233
فصوص الحلم 317
كتاب التأويل 359
شذرات طرفة 455
الأسطورة 499

صدر للمؤلف

- البشارة- ١٩٧٠
- خروج رأس الحسين من المدن الخائنة- ١٩٧٢
- الدم الثاني- ١٩٧٥
- قلب الحب- ١٩٨٠
- القيامة- ١٩٨٠
- شظايا- ١٩٨٢
- انتماءات- ١٩٨٢
- الجواشن- (نص مشترك مع أمين صالح) ١٩٨٩- ٢٠٠٤
- يمشي مخفوراً بالوعول – ١٩٩٠
- عزلة الملكات- ١٩٩٢
- نقد الأمل- ١٩٩٥
- أخبار مجنون ليلى-(بالاشتراك مع الفنان ضياء العزاوي) - ١٩٩٦
- ليس بهذا الشكل ولا بشكل آخر- ١٩٩٧
- الأعمال الشعرية (مجلدان)- ٢٠٠٠
- علاج المسافة- ٢٠٠٠- ٢٠٠٢
- له حصة في الولع- ٢٠٠٠
- المستحيل الأزرق- (مشترك مع المصور صالح العزاز)- ٢٠٠١
- ورشة الأمل- (سيرة شخصية لمدينة المحرق) ٢٠٠٤- ٢٠٠٧
- أيقظتني الساحرة - ٢٠٠٤
- ما أجملك أيها الذئب- ٢٠٠٦
- لستَ ضيفاً على أحد –٢٠٠٧

- فتنة السؤال- ٢٠٠٨
- دع الملاك – ٢٠٠٨
- الأزرق المستحيل ويليه أخبار مجنون ليلى- ٢٠٠٩
- إيقاظ الفراشة التي هناك "مختارات" – ٢٠٠٩
- الغزالة يوم الأحد "شذرات"- ٢٠١٠

www.jehat.com
email-qassim@qhaddad.com

TARAFAH IBN AL-WARDAH

POEMS

طرفة بن الورد

حتّى إذا سألته: وما البحرين؟

قال: «إذا كنت تقصد البحرين عندنا، فهي الّتي إن بدأت في رأس عُمان فلن تنتهي عند نهر البصرة، وإنّ كلّ ما بينهما فضاء مزيج بين الوقت والمكان، سوف يشمل أقاليم ساحل البحر وداخل الجبل، ويطال هجر والإحساء جميعها. غير أنّ هذا كلّه لم يكن ليعني شيئًا عندما نهمّ نزوحًا عن مكان أو نسعى رحيلاً إلى مكان، فالبحرين عندنا هي الآفاق الّتي تستعصي على التخوم وتفوق الوصف، فإذا انتهى بنا الزمان إلى هذا اليوم وسمعنا أنّ قومًا، في جزيرة صغيرة إلى هذا الحدّ، قد طفقوا يزعمون نسبة شاعر إلى بلد محدود، من أجل اختزال حقبة شاسعة من التاريخ في فرسخ من الجغرافيا، ويقيمون السرادقات والمهرجانات بوصفه شاعرهم فحسب، لعمري إنّني لن أصادف خبرًا أكذب من هذا. فكيف تسنّى لهم حبس حلم شاسع مشحون بالروح والتجربة في وهمٍ ضئيل الدلالة، بائس المعرفة، شاحب المعنى؟

فإذا سألوك عن البحرين، قل لهم، إذا هم رأوا ذلك المكان رحبًا شاسعًا مفتوحًا متّصلاً متواصلاً بالشكل الّذي رأيناه، فسوف يصحّ لهم الظنّ بأنّ بلادًا تتجاوز البحرين لتصير بحارًا كثيرة، فيها من الشعر ما يكفيها، وتزداد بحرًا كلّما استيقظ في زرقتها شاعر جديد. وإذا كنت تعني أرضًا مجزّأة ممزّقةً أمضيت عمري القصير أرفوها بالشعر شلوًا شلوًا، وأخيط فتوقًا سحيقة فيها، أنشد في جبال عمان فيسمعني أهل البصرة. إن كنت تعني أقاليم مقسّمةً سهرت أزكّيها بكلماتي، وأمشي في عطر لياليها بالنخل والورد واللؤلؤ،

إن كنت تعني حدود الأفق ذاك.. فذلك بيتي».

من (كتاب السيرة)

ISBN 978-9953-36-119-3
9 789953 361192

41 عامًا في خدمة الثقافة العربية
2010
عبد العزيز المقالح
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، الصنايع، بناية عبد بن سالم، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
هاتف: ٧٥١٤٣٨/٧٥٢٣٠٨
http://www.airpbooks.com
الدوحة عاصمة الثقافة العربية
Al Doha Capital of Arab Culture 2010